

مهندس محمد عميرة

ثقافة العرب فلاذ الجاهلية



دار المعارف

ثقافة العرب في الجاهلية

The Culture of Arabs in Jahiliyya

مهند محمد عميره

Mohannad Mohammad Amireh

٢٠٢٩ م





رئيس مجلس الإدارة
سعيد عبد مصطفى

كتب ثقافية

تصميم الغلاف:
محمد عطية

عميرة، مهند محمد.
ثقافة العرب في الجاهلية = The culture of Arabs in Jahiliyya / مهند محمد عميرة.
ط 1 - القاهرة: دار المعارف، 2018.
368 ص، 19.5 سم
تدمك 7 8862 02 977 978
1 - الثقافة العربية.
2 - الحضارة العربية.
(أ) العنوان.
تصنيف ديوي: 301.2
رقم الإيداع: 2018/23389
رقم أمر التسجيل: 1/2018/62
رقم الكونجرس: 3 - 840389 - 01 - 2

لا يجوز استئصال أو جزء من هذا الكتاب بأي طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابي من دار المعارف.

تم التنقيذ بمركز زايد للنشر الإلكتروني
بدار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل -
القاهرة - جمهورية مصر العربية

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهداء

إلى زوجتي العزيزة / د. سلمى غنيم

مقدمة

اعتنى كثير من الدارسين بحضارة العرب قبل الإسلام، وأسلوب حياتهم، ولطالما كانت هذه الحضارة محط اهتمام الباحثين بمختلف مجالاتهم، فدرسها علماء الاجتماع، والنفس، والأنثروبولوجيا، واللغة، والأديان، والجغرافيا، والحيوان، والنبات، وغيرها من العلوم، واهتم بها باحثون من مختلف أنحاء العالم، وعبر عصور مختلفة.

وكان الشعر هو مفتاح دراسة هذه الحضارة، وأحد مصادرها المهمة، إذ اهتم به العرب الجاهليون، ونظموه في كل مناسباتهم، ومواقفهم، فتركوا إرثاً شعرياً كبيراً عكس أسلوب حياتهم وسلوكهم.

وبالإضافة لكل هذا التنوع والثراء المتعلق بدراسة هذه الفترة من الزمان، إلا أن أهداف الدارسين أيضاً قد تنوعت - وهذا منطقي لحساسية هذه الفترة، وارتباطها الوثيق بظهور الدين الإسلامي - فدرسها بعضهم مدفوعاً بالعاطفة، أو الحماسة، أو الفخر، وحمل آخرون لواء الدفاع عن أديان معينة، أو البحث عن عثراتها، وجاء آخرون مدفوعين بنية تشويه الشرق وتاريخه، ومن العيوب العلمية والأخلاقية للبحث العلمي دراسة قضية ما بتوجيه معين، فليس للباحث إلا الحياد.

كما أن أغلب الدراسات التي تناولت الشعر الجاهلي لم تتقيد

بنظرية معينة. فغلبيت عليها العشوائية والدوجمائية، والأحكام الشخصية للكاتب في كثير من الأحيان، التي لم تخضع لآليات التقنين التي وصل إليها العلم الحديث.

يقدم هذا الكتاب دراسة موضوعية لثقافة العرب في فترة قبل الإسلام، والمعروفة في الأدب بالجاهلية. وقد تم التعامل مع شعراء هذه الفترة على أنهم عينة الدراسة. فتم البحث عن شعرهم في مراجع الأدب العربي. وتحليل هذا الشعر بناء على نظرية حديثة نسبياً في الثقافة. ولم يسبق عرضها في أي كتاب اهتم بنفس الهدف، وقد تم استثناء الكثير من شعر الشعراء المخضرمين - وهم الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام - مثل الحطيئة، وحسان بن ثابت، وحميد بن ثور، وعمرو بن معد يكرب، والشماخ، وسويد بن أبي كاهل، وقيس بن عاصم، وأمّية بن الأسكر، وهذا الاستثناء قد شمل الشعر الذي صُعب التحقق من فترته، أما ما تم التأكد من المصادر أنه جاهلي فقد شُمل، وهذا الاستثناء قد حدث لأن الإسلام غير كثيراً في ثقافة المجتمع، ودراسة ثقافة المجتمع العربي بعد الإسلام تخرج من أهداف هذا البحث.

ويتعرض الكتاب لأحداث مهمة في هذه الفترة مثل حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء، وقتل عمرو بن كلثوم لملك الحيرة عمرو بن هند، وظهور الصعاليك، وقدم تفسيرات مبنية على ثقافة المجموعة لسلوك الأفراد الذي أدّى لهذه الأحداث.

ولهذا البحث - شأنه شأن أى بحث علمى - سلبيات من شأنها إضعافه، ومن الممكن حصرها باثنتين، الأولى تتعلق بآلية جمع المعلومات - وهى مشكلة تواجه البحث العلمى الحديث المعنى بالمجالات الإنسانية - حيث لا يستطيع الباحث ضمان صدق عينته، ومما يعمق هذه المشكلة فى هذا الكتاب أن العينة شعرية، مما يخضع المادة المدروسة بشكل كبير لخيال الشاعر، فبالنظر هناك فرصة ليست باليسيرة لابتعادها عن الحقيقة.

أما السلبية الثانية فتتعلق بصحة وجود المادة الأدبية محور الدراسة، وهى القضية التى عُرِفَت فى الأدب بالانتحال، والذي يشير إلى نسب شعر إلى غير شاعره الحقيقى، مما يعنى إمكانية الإضافة، أو الحذف، أو التعديل فى الشعر الجاهلى، وقد تناول العديد من الباحثين هذه القضية، منهم -على سبيل المثال - ابن سلام الجهمى، وطه حسين، وثيودور نولدكه Theodor Nöldeke، وبالرغم من إثارة الموضوع منذ أكثر من ألف عام، وكثرة الردود عليه، إلا أنه ما يزال يشغل حيزاً مهماً فى الأدب، لأن الردود عليه غير مقنعة ولا علمية، بل ردود عاطفية اتسمت بالهجوم أكثر من الإقناع، وبالتزمت أكثر من الموضوعية، بالإضافة إلى عدم طرح آلية تاريخية أو لغوية للتحقق من صحة الروايات الشعرية.

وقبل الحديث عن ما آلت إليه نتائج هذا الكتاب، فإنه يستوجب

توضيح معنى الثقافة، والتي لا يوجد اتفاق على تعريف واحد لها شأنها شأن أغلب المفاهيم الخاصة بالعلوم الإنسانية، إلا أنه من الممكن تقديمها على أنها أنماط التفكير، والشعور، والتصرف التي يكتسبها ويتعلمها مجموعة من الأفراد من بيئتهم، وتتضح في أبسط سلوكياتهم، مثل التحية، وطريقة الأكل (غيرت هوفستيد Geert Hofstede وآخرون، ٢٠١٠). وعرف سبينسر-واتي Spencer-Oatey (٢٠١٠) الثقافة على أنها «مجموعة من الافتراضات الأساسية، والقيم، والتوجهات الحياتية، والسياسات، والطرق، والتصرفات، المشتركة بين مجموعة من الأفراد، والتي توجه -وليس بالضرورة أن تحدد- سلوك كل فرد، وتفسيراته لمعاني تصرفات الآخرين». وتبنى الثقافة مجموعة من العوامل منها الدين، واللغة، والتاريخ، وطبيعة العمل، وجغرافيا المنطقة السكنية.

والثقافة تمثل المفتاح الأساسي للسلوك الإنساني، ومن هنا تبرز أهمية دراستها، وقد اتجه العلم الحديث لربط الثقافة، ودراسة تأثيراتها، على السياسة، والاقتصاد، والفنون، والرياضة، والحضارة بشكل عام، وقد تختلف الثقافة داخل نفس المنطقة الجغرافية، إلا أنه من الممكن دراسة الثقافة على مستوى عرق، أو دولة، أو مجموعة من الدول، وقد تمت دراسة المجتمع العربي في هذا البحث كأنه وحدة واحدة، إلا أن هذا لا ينفي وجود اختلافات

في الثقافة بين المجتمعات العربية المختلفة المتمثلة بالقبائل. ودراسة التاريخ مهمة لفهم عوامل نمو أو انهيار الحضارات، كما أنه جزء من شخصية الحاضر، إذ لا تتطور ثقافة مجموعة من الأفراد بمعزل عن تاريخهم، وبالإضافة للأهمية التاريخية لفترة الجاهلية، فإن لها أيضاً أهمية دينية كبيرة، إذ أنها تمثل البيئة التي ظهر فيها الدين الإسلامي، الذي يُعد من أكثر الديانات اتباعاً، ويقدر مركز «يو» للبحث العلمي Pew Research Center (٢٠١٠) نسبة المسلمين في العالم لعام ٢٠١٠ بـ ٢٣.٢٪، وهو أكثر الديانات نمواً، والجاهلية مصطلح يطلق على العصر الذي عاش فيه العرب في الجزيرة العربية، وبعض المناطق في العراق والشام، لمدة تراوح ١٥٠ عاماً، وتنتهي بظهور الإسلام (ضيف، ٢٠٠٨). وأخيراً فإن تحليل الشعر الجاهلي قد تم باستخدام نظرية حديثة نسبياً قدمها غيرت هوفستيد Geert Hofstede عام ١٩٨٠، وتضمنت هذه النظرية تحليل الثقافة بناءً على أربعة أبعاد رئيسية:

- بُعد المسافة، ويشير إلى الفجوة بين الأفراد أصحاب الأدوار المختلفة.
- الذكورة، ويشير إلى فرق الأدوار بين الرجل والمرأة.
- الفردية، ويشير إلى مدى ارتباط الأفراد فكرياً، واجتماعياً بمجموعاتهم الأكبر.

- عدم التيقن، ويشير إلى مدى القلق من الغموض.
- وتوالى الأبحاث العلمية من هوفستيد نفسه، ومن باحثين آخرين حول العالم، وأسفرت نتائج أبحاثهم عن إضافة بعدين آخرين حتى اللحظة وهما:
- التوجه طويل المدى، الذى أضيف عام ١٩٩١، ويشير إلى المدى المستقبلى للتخطيط وتركيز جهود الأفراد.
- التساهل، الذى أضيف عام ٢٠١٠، ويشير إلى مدى القدرة على التعبير عن الرغبات الأساسية المرتبطة بالمرح.
- ولكل بُعد مقياس من ٠ إلى ١٠٠، بحيث يكون لكل مجموعة موقع على هذا المقياس بناءً على سلوك أفرادها، وكلما اتجهنا نحو ١٠٠، كلما ازداد البعد، مثلاً درجة ٨٠ على مقياس بُعد المسافة تعنى فجوة كبيرة بين الرئيس والرؤوس، بينما تعنى درجة ٢٠ على نفس البعد فجوة قليلة بينهما، فالثقافة ليس فيها مفاضلة، بل هى وصف وأنواع.
- يهدف هذا البحث دراسة ثقافة المجتمع العربى الجاهلى باستخدام شعر تلك الفترة، والتعرف على موقعه على المقاييس الخاصة بالأبعاد الثقافية الستة، وتأثير هذا الموقع على الأسرة والمجتمع.

• • •

بُعد المسافة

تعريف ببُعد المسافة

هناك عدم مساواة في الأدوار بين الناس دائماً في أى مجموعة، حيث هناك الرئيس والرؤوس، ويملك بعض الأشخاص قوة، أو نفوذ، أو مكانة اجتماعية أعلى من غيرهم، والأمثلة على اختلاف الأدوار كثيرة، فمنها مثلاً، علاقة الابن مع أبيه، وعلاقة المواطن مع حاكمه، وتلعب عدّة عوامل أدواراً متفاوتة في صنع هذا الاختلاف بين الناس، مثل النسب، والعمر، والثروة، والمكانة الوظيفية، والمنصب السياسى.

تختلف المجموعات من حيث تعامل أفرادها مع عدم المساواة، ويشير البعد الثقافى الخاص ببعد المسافة إلى الفجوة التى تعصل الأفراد الأدنى مكانة عن الأفراد نوى المكانة الأعلى، ويتم قياس هذا البعد بالاعتماد على وجهة نظر الأفراد أصحاب المكانة الأدنى، أى كيف ينظر الابن لأبيه، وكيف ينظر المواطن لحاكمه.

بناءً على ما سبق، يمكن تعريف بُعد المسافة على أنه مدى توقع وتقبل الأفراد نوى المكانة الأقل لفكرة عدم التساوى في الأدوار بين أفراد المجتمع، أو نظرة الأفراد الأقل شأنًا في المجتمع للأفراد

الأكثر شأنًا، وتنعكس درجة بعد المسافة - التي تتمتع بها أي مجموعة - على سلوك الأفراد وعلاقتهم ببعضهم البعض - في الأسرة والمجتمع - بشكل كبير، فنجد اختلافًا واضحًا في علاقات أفراد الأسرة مع بعضهم، أو أفراد المجتمع فيما بينهم، بين المجتمعات عالية بعد المسافة عن المجتمعات منخفضة بعد المسافة.

تأثير بعد المسافة في الأسرة

تعرض الأسر المتبعية للمجتمعات عالية بعد المسافة على أفرادها اختلافًا في المكانة الاجتماعية والنَّفوذ داخل البيت، ويحكم هذا الاختلاف العمر والدور، وهذا يخلق وضعًا أشبه بترتيب لأفراد بناءً على مكانتهم داخل البيت، فنجد الأب والأم في الصف الأول، ثم الإخوة والأخوات في صفوف مختلفة، غالبًا ما يحكم تنظيمها العمر، أي نجد الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى في الصف التالي، ثم الأقل عمراً، وهكذا وصولاً إلى الصف الأخير الذي يشغله الأخ الأصغر أو الأخت الصغرى.

وتفرض هذه الأسر على أفرادها الأقل شأنًا احترام وتبجيل الأفراد الأكثر شأنًا، بل والخوف منهم أحيانًا، فنجد الأخ الأصغر يحترم الأخ الأكبر، ويوقرون ويخافون الأب، أو الأم، أو كبير السن، مثل الجدّ والعمّ والخال، ويستمر هذا الوضع طوال حياة هؤلاء الأفراد، ويفرض القانون غير المكتوب لهذه الأسر طاعة الأقل

شأننا للأعلى شأنًا. فتوجيهات الآباء للأبناء تعدّ بمثابة الأوامر التي لا يرفضها الأبناء. ففى المقابل. فإن الأفراد الأعلى مكانة ينظرون للأفراد الأدنى مكانة نظرة مسؤولية. فيقومون برعايتهم. والاعتناء بهم. وتأمين احتياجاتهم. وبعد أن يكسب الآباء فى السن. يقوم أبنائهم برعايتهم. مع حفظ مكانتهم الأعلى. التي تظهر فى استئثارهم فى صنع القرار. وتقديم النصيحة للأبناء فى شؤون الحياة المختلفة.

على الطرف الآخر من المقياس. هناك الأسر التي تنتمى لمجتمعات منخفضة بعد المسافة. حيث تتركز على العلاقات بين الأفراد فيها المساواة والندية. ولا يلعب العمر أو الدور أية أدوار فى تحديد المكانة الاجتماعية والنفوذ داخل البيت. فالأب والأم والإخوة والأخوات الصغار والكبار لديهم حقوق متساوية.

تفرض الأسر منخفضة بعد المسافة على جميع الأفراد احترام بعضهم البعض بشكل متساو. أى لا تفرض تقاليد هذه الأسر طاعة الأقل شأنًا للأعلى شأنًا. فالكبير. والصغير. والأم. والأب. وجميع أفراد الأسرة يتخذون القرارات المهمة. فلا تأتى التوجيهات بشكل مركزى من رب البيت. ومن الممكن أن لا يستشير الأبناء آباءهم فى القرارات المهمة. وأن يتخذوها وحدهم. كما يستطيع الأبناء رفض توجيهات آباءهم. أما الآباء فإنهم لا يعيلون أبنائهم لفترات طويلة من حياتهم. إذ يستقل الأبناء بحياة خاصة بهم فى أعمار

مبكرة، وبعد أن يكبر الآباء في السن، تصبح علاقتهم بأبنائهم أشبه بعلاقة الأصدقاء، ولا يتوقع الآباء مساعدة أبنائهم.

الأسرة العربية الجاهلية على مقياس بُعد المسافة

عناية الأبناء بأبنائهم عند كبر سنهم

يشير الشعر الجاهلي إلى أن الأسرة العربية في الجاهلية كانت ذات درجة عالية من بُعد المسافة. ذكر أمية بن أبي الصلت كيف كان يعتنى بابنه وهو طفل صغير، ويسهر على راحته، وانتظر أمية عناية ابنه به عند كبر سنّه، وهذا بحكم الواجب في الأسر ذات الدرجة العالية من بُعد المسافة - كما ذكر سابقاً - وهذا ما توقعه أمية نتيجة ما رآه، وألفه، واعتاد عليه، ولما لم يجد هذا المعتاد، عاتب ابنه على معاملته الفظة معه، قال أمية (الأصفهاني، ٢٠١٠):

غذوتك مولوداً وعنتك يافعاً
تعلّ بما أجنّبي عليك وتنهّل
إذا ليلة آبتك بالشجو لم أبت
لشكواك إلا ساهراً أتملّل
كأنّي أنا المطروق بونك بالذي
طرقت به دوني فعينى تهمل

تخاف الردى نفسى عليك واننى
لأعلم أن المسوت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والعاية التى
إليها مدى ما كنت فيك أومل
جعلت جزائى غلطة وفطاة
كأنك أنت المنعم المتفضل

احترام الأبناء لوصايا الآباء

ويحترم الأبناء وصايا آباءهم، ويعملون بنصائحهم. والآباء سلطة أعلى من الأبناء، ومن واجب الأبناء احترام هذه السلطة. ومن الأمثلة على احترام الأبناء لوصايا آبائهم قول طرفة بن العبد يشير إلى احترامه وصية والده (القيسى، ٢٠٠٢):

ومثل الذى أوصى به غبذل أمضى قد أمضيت هذا من وصية غبذل

دراسات سابقة عن احترام الأبناء لوصايا الآباء

ذكر الهاشمى (١٩٦٩) سلطة الأب المطلقة فى الأسرة العربية الجاهلية، حيث كان الآباء يتصرفون فى أموال وشؤون أبنائهم، كما أكد خضر (٢٠٠٥) على احترام الأبناء فى الجاهلية لوصايا آبائهم والتزامهم التام والمطلق بها.

احترام الأبناء لوصايا كبار السن

وليس فقط الوالد الذي كان يوصي، بل أي شخص في العائلة لديه دور أعلى، مثل العم. ذكر عنقرة بن شداد احترامه لوصية عمه له بأن يقاتل بشجاعة في الحروب، قال عنقرة (التبريزي، ١٩٨٠):

ولقد حفظتُ وصاة عمي بالضحي
إذ تقلص الشفتان عن وضع الفم
في حومة الحرب التي لا تشتكي
غمراتها الأبطال غير تغمغم

تأثير بعد المسافة في المجتمع

وعلى مستوى المجتمع، فهذه اختلاف أيضًا في سلوك الأفراد بناءً على درجة المجتمع على مقياس بعد المسافة، فالعلاقات بين الناس في المجتمعات عالية بعد المسافة يسودها شكل من أشكال الطبقة، حيث ينقسم الناس إلى طبقات اجتماعية ومادية مختلفة، يحدد هذه الطبقات الثروة، والنفوذ، والنسب، ويسمى أصحاب الرتب العالية في إحداها إلى العلو أكثر في المحددات الأخرى، فمثلاً يسمى رجال الأعمال الأثرياء لدخول المعتزك السياسي لزيادة نفوذهم أكثر، ويسمى المشاهير في المجتمع لدخول عالم

الأعمال لزيادة ثروتهم بالإضافة إلى نفوذهم. فتتسع الفجوة أكثر بين الطبقات الاجتماعية وتتضح، فيملك الثروة والجاه فئة قليلة، وتختفى في معظم الحالات الطبقة الوسطى، وليس سعى الأفراد لزيادة نفوذهم إلا بسبب فكرة نظرة الأفراد الأقل شأنًا لهم بعين من الاحترام والخوف، واستئثارهم بصنع القرار.

يحترم الناس ذوو الوضع الاجتماعي الأقل في هذه المجتمعات تصنيفهم المجتمعي، ويخافون الأكثر سطوة، ولا يتكلمون عادة في أمور العامة، أما ذوو الوضع الاجتماعي الأعلى فإنهم يستخدمون القوة كثيرًا لإثبات سطوتهم ونفوذهم، ونتيجة لهذه الفجوة الكبيرة فإن تغيير السلطة أو محاسبة السادة غير شائع، ولا يتم قبوله من السادة، بل يُرفض غالبًا بالقوة.

على الطرف الآخر، هناك المجتمعات ذات بعد المسافة المنخفض، حيث يقل فيها وضوح الطبقيّة، ولا يعنى انتماء فرد ما فيها إلى طبقة مادية أو اجتماعية أعلى حصوله على حقوق أكثر من الآخرين، لذلك فإن الأفراد ذوي الوضع الأعلى في إحدى محددات درجة الرتبة الاجتماعية لا يسعون إلى وضع أعلى في باقي المحددات، فيصبح مألوفًا أن يعمل شخص غني في وظيفة عادية، مما يساعد في توزيع أكثر تساويًا لموارد المجتمع، والحفاظ على وجود الطبقة المتوسطة لفترات أطول.

يحترم الناس ذوو الوضع الاجتماعي الأعلى في هذه المجتمعات

القانون، ولا يسعون لإثبات سطوتهم ونفوذهم بالقوة، فمن غير المؤلف استخدام القوة في غير مواضعها القانونية، ويتكلم الجميع في شؤون العامة، وتسود الديمقراطية وتساوى الآراء، ونتيجة لعدم وجود فجوة بين أفراد المجتمع، فإن محاسبة السادة - وربما فضحهم أحياناً - يعتبر أمراً عادياً، ويتم تغيير السلطة بسلاسة ويسر، ويقبل أفرادها هذا الأمر.

المجتمع العربي الجاهلي على مقياس بُعد المسافة

الطبقية

وبدراسة المجتمع الجاهلي، نجد أنه على بُعد المسافة، وهذا منطقي ويتفق مع النتيجة السابقة للأسرة الجاهلية على المقياس، إذ أن الفرد يخرج إلى المجتمع ويتفاعل معه بناءً على ما اعتاده في بيته، والمجتمع هو بناء تتكوّن لبناته من الأسر. اتّصحت الطبقة في المجتمع الجاهلي بوجود السادة والعبيد، قال عنتر بن شدّاد العبسي (العبسي، ٢٠٠٤):

إِنْ كُنْتُ فِي عَدْبِ الْعَبِيدِ فَهَمَّتِي
فَوْقَ الثَّرِيَا وَالسَّمَاكِ الْأَعْزَلِ
أَوْ أَنْكَرْتُ فَرَسَانُ عَبْسٍ نَسَبَتِي
فِي سَنَانٍ رَمَحِي وَالْحَسَامُ يَقْرَأُ لِي

وبذابلي ومهندي نلتُ العلا

لا بالقرابة والعديد الأجرل

ولم يخف عنثرة العسّي إحساسه بمكانة اجتماعيّة متدنيّة
ناتجة عن لونه، فسعى للحصول على شأن اجتماعي أعلى عن طريق
شجاعته وفروسيّته، قل عنثرة (الهاشمي، ١٩٦٩):

لئن يعيبوا سوادى فهو لي نسب

يَوْمَ النَّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ

دراسات سابقة عن الطبقيّة

أكد ضيف (٢٠٠٨) على وجود الطبقيّة في المجتمع الجاهلي،
الذي تألّفت القبيلة فيه من ثلاث طبقات: أبناء القبيلة، والعبيد،
والموالي، وكانت النساء يقسّمن إلى حرّات وإماء، وهناك تصنيفات
داخل كلّ طبقة أيضًا، فكان من الحرّات الشريقات ممّن لديهنّ المنزلة
الأعلى في قومهنّ، أمّا الإماء ففي طبقة أقلّ، ومنهنّ عاهرات،
وقيان، ورعاة إبل وغنم، وبلغ من دنوّ منزلتهنّ أن العرب لا
يعترفون بأبنائهم منهنّ.

أهميّة النسب القبلي

وكان النسب القبلي معياراً مهمّاً وأساسياً لتحديد المكانة داخل

القبيلة نفسها - التي تمثل المجتمع - وسيتم مناقشة هذا بالتفصيل
في الفصل الخاص بالفردية، قال أمية بن أبي الصلت مفتخرا
بنسبه (القرشي، ١٩٨١):

فَأَمَّا تَسْأَلِي عَنِّي لُبِّي
وَعَنْ نَفْسِي أَخْبِرْكَ الْيَقِينُ
ثَقِيَ أَنِّي الْعَبِيَّةُ أَبَا وَأُمَا
وَأَجْدَانَا سَفَوْا فِي الْأَقْدَمِينَا
لَأَفْصَى عِصْفَةِ الْأَفْصَى قَسَى
عَلَى أَفْصَى بْنِ دُعْمَى بُنِينَا
وَدُعْمَى بِهِ يُكْنَى إِيَادُ
إِلَيْهِ تَنْسَبِي كُنَى تَعْلَمِينَا
وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ كُحَبَرَا نِزَارِ
فَأُورَثْنَا مَا يُرَثُنَا الْبَنِينَا

وفي المقابل شَمَزَ عروة بن الورد العبسي بالعار بسبب نسب
أخواله إلى قبيلة نهد، وهي قبيلة ذات شأن قليل، قال عروة
(العبسي، ١٩٩٨):

ما بَسَى مِنْ عَارٍ إِخْصَالُ غِلْمَتُهُ
 بِسَوَى أَنْ أَخْوَإِي إِذَا نُسِبُوا نَهْدُ
 إِذَا مَا أَرَدْتَ الْمَجْدَ قَصْرُ مَجْدُهُمْ
 فَأَعْيَا عَلَيَّ أَنْ يُقَارِبَنِي الْمَجْدُ
 وَرَدَّ عَمْتَرَةُ بْنُ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ عَلَى عِمَارَةَ بْنِ زِيَادٍ، لِمَعَايِرَتِهِ بِلَوْنِ
 أُمِّهِ، مِمَّا يَعْنِي بِأَنَّهُ أَقْلٌ شَانًا، فَقَالَ (الْعَبْسِيُّ، ٢٠٠٤):
 فَإِنْ تَكُ أُمِّي غُرَابِيَّةً
 مِنْ أَبْنَاءِ حَامٍ بِهَا عِبْتَنِي
 فَإِنِّي لَطِيفٌ بَبِيضِ الظُّبَى
 وَسُوءِ الْقَوَالِي إِذَا جُنْتَنِي

احترام الأعلى شأنًا

ولأنَّ بعد المسافة عالى فى المجتمع الجاهلى، فيجب على أفراد القبائل الأقل شأنًا إظهار احترام أكبر للأفراد الأعلى، قال الشنفرى الأزدي لجارية لظمته، ولم تحترم هذا العرف المسائد (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ولو علمت قُصُوسُ أَنْسَابِ وَالِدِي
 وَوَالِدِيهَا ظَلَمْتُ تَقَاصِرُ دُونَهَا

أنا ابن خيـار الحـجر بيتـا ومنـصبا

وأقـى ابنة الأحرار لو تعرّفـينها

واستهجن عنقرة بن شداد العبسي أسـر وقـتل بنـى العـشـراء
لقرواش بن هـنـى، وقد جاء هذا الاستهجان من عنقرة بسبب أفضلية
نسب قرواش على بنى العشراء، قال عنقرة (العبسي، ٢٠٠٤):

هـديـكـم خـير أبـا من أبـيـكـم

أعـف وأوفـى بالجـوار وأحمـد

كان الحارث بن ظالم المرّي سيّدا من سادة غطفان، وفاتكا
مشهورا، فكان أن أسرف في هـزّان، فاشتراه القيسيون منهم بزق
خمر وشاة، فقال مستنكرا هذه الواقعة، وهو السيّد الذي لا تليق
به هذه المعاملة (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أبـلـغ لـديـك بنـى قـيسٍ مُـغـلـعـة

أنـى أقـسـم فـى هـزّان أرباعا

ابنـا حـلـاكـة باعـانـى بـلا ثـمـن

وباع ذو آل هـزّان بما باعا

يا ابنـى حـلـاكـة لما تاخـذا ثـمـنى

حتـى أقـسـم أفراسا وأدراعـا

قتادة الخَيْرُ بالتنسي حذيقته

وكان قدما إلى الخيرات طلاء

تكافؤ المستهدف بالشار مع القتل

وأنا قتل رجل شريف. صاحب مكانة كبيرة. فإن ثأره لا يتحقق
بقتل رجل ذي مكانة أقل به. بل يحب أن يكون المستهدف للقتل
كفؤا للقتيل. قال الأعشى ميمون في هذا المعنى (التبريزي. ١٩٨٠).

لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا

لنقتلن مثله منكم فدمتل

دراسات سابقة عن تكافؤ المستهدف بالشار مع القتل

وأكد المجاوي وآخرون (٢٠١٤) أن الإمام الشافعي قد فسر
معنى حكم الجاهلية في الآية الكريمة «أفحکم الجاهلیة یبغون
ومن أحسن من الله حكما یقوم یوقنون» بنفس المعنى. أي المفاضلة
في ديّات الرجال.

طاعة الأفراد للسلادة والملوك

أما علاقة العربي في الجاهلية بحاكمه وأشراف قبيلته، فهي
علاقة أكثر تعقيدا من أن يحكمها بعد ثقافي واحد، ولعربي يخشى
سأده، ويمدحهم، ويناشدهم لحل شؤونه وشؤون قبيلته، وقد

يهرب إذا أساء إليهم، وقد يعتذر أيضاً على ذلك، وينتظر الحاكم انصياع الأتباع المطلق لأوامره بسبب علو درجة بعد المسافة، ولكنّ العربيّ - بالرغم من ذلك - قد يتوعّد، ويهدّد سادته، وقد تصل الأمور لقتلهم في بعض الأحيان، وهذا نتاج أعراف أخرى تدرج تحت أبعاد ثقافية أخرى تلعب أدواراً مهمّة أيضاً في تشكيل هذه العلاقة، مثل الذكورة، والفردية، وسيتمّ دراستها في فصول لاحقة من الكتاب، فالأصل هو طاعة الأفراد للملوك والسادة، والاستثناء هو تهديدهم أو التعرّض لهم.

قل امرؤ القيس الكنديّ مادحاً خالد بن سدوس، وواصفاً صورة السيّد القدوة الذي يطيعه أتباعه في كلّ الأحوال والظروف (الكنديّ، ٢٠٠٤):

إذا ما كنت مُفْتَخراً فمأخِز
ببيتٍ مثل بيت بني سدوسا
ببيت تبصرُ الرؤساء فيه
قيامسا لا تنازعُ أو جلوسا

وافتحز ذو الإصبع العدوانيّ بسادات قومه، حيث أنهم يأمرّون فيطاعون (الأصفهانيّ، ٢٠١٠)، فوصفهم قائلاً:

ومنهم من يُجيزُ النّاسَ
سَ بالسُّنةِ والفِرضِ
ومنهم خَكَمُ يَقْضِي
فَلا يُنْقِضُ ما يَقْضِي

وقال امرؤ القيس واصفاً علاقة أهله الملوك بأتباعهم، فهم السادة
الأرباب، والناس أقل شأنًا (الكندى، ٢٠٠٤):

ما يُنْكِرُ النَّاسُ مَنّا حينَ نَمْلِكُهُم
كانوا عبيدًا وكنا نحن أربابا

مدح الملوك والسادة

وكان المألوف مدح الحكّام، والأشراف، والسادة، قال أمية بن
أبى الصلت الثقفى فى مدح سيف بن ذى يزن (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لا يَطْلُبُ الثَّارَ إِلَّا كاتِبُ ذِي يَزَنَ
فِي الْبَحْرِ خَيْمٌ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوالا
أَتى هِرْقَلٌ وَقَدْ شالَتْ نَعامَتُهُ
فَلَم يَجِدْ عِنْدَهُ النَّصْرَ الَّذى سالا
ثَمَ انْتَحى نَحْوَ كِسْرى بَعْدَ عاشرَةٍ
مِنَ السَّفينِ يُهينُ النَّفْسَ والمالا

حَتَّى أَتَى بَنَى الْأَحْرَارِ يُقَدِّمُهُمْ
 تَخَالَهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ أَجْبَالًا
 اللَّهُ دَرُّهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ صَبَرُوا
 مَا إِنْ رَأَيْتَ لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالًا
 بَيْضُ مَرَاذِبَةٍ غَلَبَ أَسَاوِرَةٌ
 أَسَدُ تُرْبَتُ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبَالًا
 فَالْقَطُ مِنَ الْمَسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ
 وَأَنْسَبِ الْيَوْمَ فِي بُرْذِيكَ إِسْبَالًا
 وَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ الْقَاحُ مَرْتَفَقًا
 فِي رَأْسِ عُفْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مَحَلًّا
 تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانُ مِنْ لَبَنٍ
 شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا
 وَمَدَحَ عَبِيدُ بْنُ سَالِمٍ الْخَزْرَجِيُّ الْمَلِكُ الْغَسَّانِيَّ أَبَا جُبَيْلَةَ، بَعْدَ أَنْ
 قَتَلَ أَشْرَافَ الْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ، فَقَالَ (الْأَصْفَهَانِيُّ، ٢٠١٠):
 وَأَبُو جُبَيْلَةَ خَيْرُ مَنْ
 يَمْشِي وَأَوْفَاهُمْ يَمِينًا

وَأَبْرُهُ بِرًا وَأَعْمُ—
 لَهُ بَعْلِمُ الصَّالِحِينَ
 أَبَقْتُ لَنَا الْأَيَّامُ وَال—
 حَرْبُ الْمَهْمَةِ تَعْتَرِينَا
 كَبِشْنَا لَنَا ذَكَرًا يَقُلُّ
 حَسَامُهُ الذَّكَرَ الثَّانِيَا
 وَمَعَاقِلًا شُمًا وَأَسُ—
 يَافَا يَقْمَنَ وَيَنْحَنِينَا
 وَمَحَلَّةَ زُورَاءَ تُر
 جَفُ بِالرَّجَالِ الْمُصَلِّينَا

وذكر أبو قردودة الطائي الملك المنذر بن الأسود، ملك الحيرة،
 لزوجته، فقال مازحاً إياه (البغدادى، ١٩٩٩):

تُسَائِلُنِي طُلَّتِي هَلْ لَقِيتِ
 قَابُوسَ فِيمَا أَتَيْتِ الْعِرَاقَا
 فَقُلْتُ لَهَا قَدْ لَقِيتُ الْهَمَامَ
 مَنَظَّلًا بِالْخَمِيسِ انْطَلَقَا

يَقُودُ الْجِيَادَ لِأَرْضِ الْغَدَوِ
فَقَدْ آضَبَ الْخَيْلُ شُعْنًا دَقَاقًا
سَرَاعِيْفٌ قَدْ عَطَلَتْ هُدَجًا
أَمَامَ الرَّفَاقِ يَقْدَنُ الرَّفَاقَا
شَمَاطِيْطٌ يَمْزَعْنَ مَزْعَ الظَّبَاءِ
لَمْ يَتْرَكْنَ بِنَطْنٍ عِقَاقَا
فَحَيِّثُهُ إِذْ رَأَيْتُ الْجَمُوعَ
تُعَارِضُهُ بِالْيَمِينِ الْوَرَاقَا

ومدح الأعشى ميمون القيسي الملك الأسود بن المنذر فقال
(الدينوري، ١٩٥٨):

لَا تَشْكِي إِلَى وَانْتَجَمِي الْأَسَا
وَدَ أَهْلُ الْفَدَى وَأَهْلُ الْفِعَالِ
فَرَعٌ نَبْعٌ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ
وِ غَزِيرُ الْفَدَى شَدِيدُ الْمَحَالِ
عِنْدَهُ الْحَزْمُ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّرِ
عِ وَحَمَلٌ لِمُضْلِعِ الْأَثْقَالِ

وَصِلَاتُ الْأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّاسُ
 مِنْ وَفِّكَ الْأَسْرَى مِنْ الْأَغْلَالِ
 وَهَوَانُ النَّفْسِ الْعَزِيزَةِ لِلذَّكَاءِ
 وَإِذَا مَا التَّقَتِ صُدُورُ الْعَوَالِي
 وَغَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ إِذَا الْعِذِّ
 رَأَى كَأَنَّكَ عَطِيَّةُ الْبُخَالِ
 وَوَفَاءٌ إِذَا أَجَرْتَ فَمَا غُرِّ
 تَ جِبَالٍ وَصَلَّتْهَا بِجِبَالِ

كان رجل من أهل اليمن قد اشترى بضاعة من رجل من بني
 سهم، في قريش، فلوى السهمي بحقه، فاستنجد اليماني بقريش،
 ووصل الخبر إلى العباس بن مرداس السلمى، فناشد العباس بن
 عبد المطلب وأبا سفيان، وطالبهما برد حق الرجل لأنهم من سادة
 قريش، وأوامرهم مطاعة، وعلى إثر هذه الواقعة تم إنشاء حلف
 الفضول، قال العباس بن مرداس (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَتَمَّ كُنْ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ مُعْتَصِمًا
 تَلْقُ ابْنَ حَرْبٍ وَتَلْقُ الْمَرْءَ عَبَّاسًا

قَرَمَى قُرَيْشٍ وَحَلًّا فِي ذُؤَابَتِهَا
 بِالمجد والحَزْمِ مَا حَازَا وَمَا سَاسَا
 سَاقِي الْحَجِيجِ وَهَذَا يَاسِرٌ فَلَجُ
 وَالمجدُ يورثُ أُخْمَاسًا وَأَسَدَاسَا

وفي واقعة مناشدة أخرى للملوك والسادة، خاطب عبيد بن الأبرص الأسدى الملك حُجر الكندى، ملك كندة، وناشده الإفراج عن أسرى بنى أسد، الذين كان بينهم عبيد نفسه، قال عبيد (الدينورى، ١٩٥٨):

مَهْلًا أُنِيَّتَ اللَّغْنَ مَهْلًا
 إِنَّ فِيمَا قُلْتُ أَمَةً
 فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَثْ
 رَبِّ وَالْقُصُورِ إِلَى الْيَمَامَةِ
 تَطْرِبُ عَانٍ أَوْ صِيَا
 حُ مُحَرَّقٍ وَزُقَاءُ هَامَةٍ
 أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ
 وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ

وذكر المثقب العبدى الملك عمرو بن هند مادحًا، فقال (الدينورى، ١٩٥٨):

غَلَبْتَ مُلُوكَ النَّاسِ بِالْحَزْمِ وَالنُّهَى
وَأَنْتَ الْفَتَى فِي سُورَةِ الْمَجْدِ تَرْتَبِي
وَأَنْجِبَ بِهِ مِنْ آلِ نَصْرِ سَفِيدِ
أَغْرُ كُلُّونَ الْهِنْدُؤَانِي رَوْنِقِ

وكان النابغة الذبياني من جلساء النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فكان أن حدث بينهما أمر، فحاف النابغة من بطش النعمان، وهرب منه إلى الشام، ثم أكثر من مدح النعمان، والاعتذار له، قال النابغة (التبريزي، ١٩٨٠).

فَتِلْكَ تَبْلُغْنِي النِّعْمَانُ إِنْ لَهُ
فَصَلَا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ
وَلَا أَرَى قَاعًا فِي النَّاسِ يَشْبَهُهُ
وَلَا أَحَاشَى مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا سَلِيمَانُ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ
قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُثْهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَحَيْثُ الْجَرِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ
يَنْتُونُ تَدْمُرُ بِالْصُّفَاحِ وَالْعَقَدِ

وقال في قصيدة أخرى في نفس المناسبة (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فإنك شمسُ والملوكِ كواكبُ
إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ
واعتذر النابغة إلى النعمان، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

خلفت فلم أترك لنفسك ريبه
وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيابة
لميلفك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلومه
على شعث أي الرجال المهدب

وعندما ذهب الذبغة إلى الشام، مدح عمرو بن الحارث
الأصغر الغساني وأخاه النعمان، وهم من ملوك الغساسنة، فقال
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
من الناس والأحلام غير عواذب
على عارقات للطعان عوابس
بهن كلوم بين دام وجالب

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ
 بِهِنَ فُلُولَ مَنْ قَرَاعِ الْكَتَائِبِ
 إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقُلُوا
 إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ
 حَيَوْتُ بِهَا غَسَانٌ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا
 بِقَوْمِي وَإِذْ أُغْنِيَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
 وَمَدَحُ النَّابِغَةِ النُّعْمَانِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَصْغَرِ، فَقَالَ (الْأَصْفَهَانِيُّ،
 (٢٠١٠):

هَذَا غُلَامٌ خَنَنُ وَجْهِهِ
 مُقْتَبِرُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ
 لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْـ
 أَصْغَرِ وَالْأَعْرَجِ خَيْرِ الْأَنَامِ
 ثُمَّ لَهْنِدٍ وَلَهْنِدٍ فَقَدْ
 أَسْرَعَ فِي الْخَيْرَاتِ مِنْهُ إِمَامُ
 خَمْسَةِ آبَاءٍ وَهُمْ مَا هُمْ
 هُمْ خَيْرٌ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْغَمَامِ
 وَمَدَحُ النَّابِغَةِ الْمَلِكِ الْحَارِثِ الْأَصْغَرِ، وَقَوْمِهِ، فَقَالَ (الذَّيْبَانِيُّ، ٢٠٠٤):

وللحارث الجفنى سيد قومه
 ليلتمسن بالجيش دار المحارب
 وثقت له النصر إذ قيل قد غزت
 كتائب من غسان غير أشائب
 بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
 أولئك قوم بأئسهم غير كاذب
 إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
 عصائب طير تهتدى بعصائب
 يصاحبهم حتى يغرن مغارهم
 من الصاريات بالدماء الدوارب

وقال النابغة يواسى النعمان بن المنذر فى مرضه، ويمدحه
 (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فإن يهلك أبو قبوس يهلك
 ربيع الناس والشهر الحرام
 ونفسك بعدة بذئاب عيش
 أجب الظهر ليس له سنّام

وقال يعتذر إلى النعمان بن المنذر (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي

وَلَا قَرَارَ عَلَيَّ زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ

مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ

وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمَنْ وَلَدٍ

إِنْ كُنْتُ قُلْتُ الَّذِي بُلَّغْتَ مُعْتَمِدًا

إِذَنْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي

هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ بِهِ خَسَنًا

فَلَمْ أَعْرُضْ أَبَيْسْتَ اللَّعْنُ بِالْصَّفْدِ

وها هو النابغة قد اعترف صراحةً بضعفه أمام سطوة النعمان بن المنذر، بل وقلل من قدر نفسه أمامه، مستخدمًا لفظة «عبد»، فأرسل له الاعتذارات مرةً بعد مرة، قال النابغة (الذبياني، ١٩٩٦):

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وإِنْ جَلَسْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَابِسُ

خَطَاطِيفُ حَجْنٍ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ

تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

أتوعدُ عبداً لم يخفك أمانةً
 وتتركُ عبداً ظالماً وهو ظالمُ
 وأنتَ ربيعُ يُنعشُ الناسَ نبيهُ
 وسيفُ أُعيرتهُ المنيةُ قاطعُ
 أبى الله إلا عدلهُ ووفاءهُ
 فلا النكرُ معروفُ ولا العرفُ ضائعُ
 وتسقى إذا ما شئتَ غيرَ مصرٍ
 بزوراءٍ فى حافاتِها المسكُ كانعُ

وممدح لبيد بن ربيعة العامري النعمان بن المنذر أيضاً، فقال
 (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يا واهب الخير الكثير من سعة
 إليك جاوزنا بلاداً مُسبغة

ووقف الحارث بن حلزة اليشكري أمام عمرو بن هند، ملك
 الحيرة، فمدح أباه، المنذر بن ماء السماء، فقال (التبريزي،
 ١٩٨٠):

فملكننا بذلك الناسَ حتى
 ملكَ المنذرُ بنُ ماء السماء

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ
مُ الْحَيَارِيِّينَ وَالْبَلَاءِ بَلَاءُ
مَلِكُ أَضْلَعِ الْبَرِيَّةِ لَا يُؤْ
جَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كَفَاءُ

رد الملوك على الهجاء

ورد الملوك على من يهجوهم يكون قاسياً في أغلب الأحيان، فقد
قتل عمرو بن هند ملك الحيرة طرفة بن العبد البكري، الذي كان
قد قال فيه (الدينوري، ١٩٥٨):

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو
رَعُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

دراسات سابقة عن علاقة الأفراد بالملوك والسادة

أكد طقوش (٢٠٠٩) على طاعة الأفراد لشيخ قبائلهم، ولكنه
نفى أن يكون قرار شيخ القبيلة مركزياً، إذ أنهم مضطرون لاستشارة
الزعماء، وأهل الرأي، بينما ذهب ضيف (٢٠٠٨) إلى أبعد من ذلك،
حيث ذكر أن جميع أفراد القبيلة كانوا أكفاء، واستشهد على ذلك

بوجود نظام الإجارة - هي أن يعطى أى فرد من القبيلة حق التوطن لأى فرد من خارجها، فتصبح القبيلة ملزمة به - وأكد أن لشيخ القبيلة التوقيع، ولكن ليس لهم البغى والتجاوز.

أما على (١٩٩٣) فقد قال أن الملوك فى الجاهلية كان لها حق الطاعة، والجبية، والتفكير والحرب، وليس للأفراد الخروج عليهم، وقد كانوا أصحاب أراضى الدولة وأحرار التصرف بها، وكانت لهم غنائم الحروب، وقال أيضاً أن لسادات القبيلة عدة حقوق منها المربع - وهو حق سيد القبيلة بأخذ ربع الغنائم إذا وقع الغزو - والصفايا، وهو ما يصطفيه رئيس القبيلة لنفسه من خيل أو جوارى أو أموال.

لم يقدم أغلب دارسى الثقافة الجاهلية تفسيراً واضحاً لعلاقة الأفراد بالملوك، وقد خلطوا الأبعاد الثقافية فى أغلب الأحيان، فتحدثوا عن التحدى، والتهديد، والولاء، والمديح فى نفس الآن، مما جعلهم يستنتجون أنها علاقة عصية على المهم، كما قدمها طقوش (٢٠٠٩) وضيف (٢٠٠٨)، فمثلاً قال ضيف (٢٠٠٨): «وعلى نحو ما أكثر الشعراء فى مديح النعمان بن المنذر وأسلافه أكثروا من استعطافهم حتى لا تغزوهم جيوشهم وقد يشكون من ثقل الضرائب ومما كانوا يدفعون ويؤتون من الإتاوات فى أسواق العراق وغير أسواق العراق»، وأكد أيضاً على توافد بعض الشعراء العرب فى الجاهلية على الملوك لغرض مدحهم، فمدح حسان بن

ثابت الخزرجي الملك عمرو بن الحارث بن جبلة. وغيره من ملوك
الغساسنة، وتوافد عدة شعراء على ملك الحيرة عمرو بن هند
مدحه، مثل أوس بن حجر التميمي. ولبيد بن ربيعة العامري،
والنخل يشكري، والمعب العبدى. وحجر بن خالد. والعبدة
الذبياني، ولكنه تحدث أيضا عن هجاء بعض الشعراء. مثل يريد
بن الخذاق، وعبد قيس المرجمي للملك عمرو بن هند، كما أدد على
أن الموالاة في الجاهلية لا تكون إلا بعصية قبلية.

في حالات كثيرة يكون السلوك متماشيا مع أكثر من بعد ثقافي،
ويعتاده الأفراد. ولكن في حالات أخرى يصطدم فرد ما بموقف
جديد لم يألفه، وهذا الموقف يضعه بين خيارات صعبة. تجعله
يتماشى مع بعد لصالح بعد آخر، فيختار البعد ذا الدرجة الأعلى
دون أن يشعر، والجزء المتعلق بهجاء، وتهديد، وقتل الملوك
والسادة، يعد من الأمثلة على ذلك، وسيتم مناقشته في فصول
الذكورة، والفردية.

الذكورة

تعريف بنعد الذكورة

تتكوّن المجتمعات الإنسانية من جنسين مختلفين، هما الذكور والإناث، والاختلافات بين الذكور والإناث منها المطلق، والإحصائي، والنسبي، فمثلاً كل الذكور يختلفون عن كل الإناث بيولوجيًا، فهو اختلاف مطلق يشمل الكل، بينما هناك اختلافات أخرى لا تشمل كل الجنس، فمثلاً يعتبر الذكور أطول من الإناث بالمعدل، فهو اختلاف إحصائي لا يشمل كل الجنسين بالضرورة، فبعض الإناث أطول، وهناك اختلاف في الأدوار بين الذكور والإناث، وهذا الاختلاف نسبي، بمعنى أن يتم فرض مهام وصفات معينة للذكور، وأخرى للإناث، في مجتمع ما، وتختلف هذه المهام والصفات من مجتمع لآخر.

تعتبر بعض السلوكيات أنثوية وبعضها ذكورية، ومعيّار التّحديد هو الثقافة، وتحديدًا بُعد الذكورة، فكلما زادت الفجوة في الأدوار المتوقعة بين الذكور والإناث، كلما زادت درجة المجموعة على مقياس بُعد الذكورة، فمثلاً يعمل الرجل خارج المنزل والمرأة داخله، فهذا مجتمع عالي الذكورة، بينما إذا كان المتوقع أن يقوم الذكور والإناث بمهام مشتركة، فإن درجة الذكورة

تكون منخفضة، فمثلاً يعتنى الذكور والإناث بالأطفال، فهذا مجتمع منخفض الذكورة، فبالقái من الممكن تعريف بُعد الذكورة على أنه حجم الفجوة فى الأدوار بين الذكور والإناث، وتأثيرات البعد الثقافى الخاص بالذكورة تشمل الأسرة والمجتمع، شأنه شأن الأبعاد الأخرى.

تأثير الذكورة فى الأسرة

فى الأسر المنتمية لمجتمعات عالية الذكورة، تكون الأدوار مختلفة تماماً بين الأب والأم، حيث يعمل الأب خارج المنزل، وتعمل الأم داخله، ونتيجة لهذا الاختلاف فى الأدوار والمسؤوليات، يتصف الآباء بسمات معينة، فمسؤولية حماية الأسرة مثلاً تتسبب فى اتصافهم بالحزم، والعصبية، والغلظة، ومسؤولية إعالة الأسرة تجعلهم يسعون نحو الكسب المادى، ويهتمون بالحقائق أكثر من العواطف، أما الأمهات فمسؤولياتها داخل المنزل تزيد من اهتمامها بالبحث عن الاستقرار، والحصول على علاقات أفضل مع الناس، ودورها فى التربية ينمى مسؤولياتها العاطفية - بالرغم من اتسامها بالعصبية والحزم فى أحيان كثيرة أيضاً - بالإضافة لطاعتها المطلقة لزوجها، والأبناء بينهم فجوة أيضاً، حيث تختلف الأنثى عن الذكر فى المسؤوليات، بل وحتى التقدير الأسرى، إذ يُقدر الابن أكثر من البنت.

أما في الأسر منخفضة الذكورة، فإن الأدوار متماثلة بين الأب والأم، فيعمل الاثنان داخل المنزل وخارجه، ويتصفون بصفات متشابهة تقريباً نتيجةً لتشابه الأدوار، فالحزم والحنان صفة الاثنين في أوقات مختلفة عند اقتضاء الأمر، ومستوى العصبية والغلظة في التعامل قليل، ويطغى عليهما الاعتدال، والبحث عن العلاقات الجيدة والاستقرار مهمان، ولا تصنف الأم على أنها تابعة للأب، ولا يتوقع منها الانقياد الأعمى له، كذلك الأدوار بين البنات والأولاد متشابهة، والتقدير الأسرى لهما متساو، أما علاقة الأبناء بالآباء فيحكمها بعد المساواة المذكور في الفصل السابق، وهو غير مرتبط بالذكورة، فمن الممكن أن يكون المجتمع عالى الذكورة ومنخفض بعد المساواة، أو عالى الذكورة وعالى بعد المساواة.

الأسرة العربية الجاهلية على مقياس الذكورة

القرارات الأسرية شأن الرجال

وفي نظرة متفحصة لبعده الذكورة في الأسرة العربية الجاهلية بناءً على الذى وصلنا من أشعارهم، نجد أن بعد الذكورة مرتفع جداً، فالرجل يتخذ القرارات الخاصة بالأسرة، وتتبعه زوجته. وصف الشنفرى الأزدي نفسه بأنه ليس ذاك الجبان الكسول الملازم لزوجته، وافتخر بأنه لا يستشيرها فى ما يفعل، فالرأى فى الأسرة للزوج فقط، قل الشنفرى (الهاشمى، ١٩٦٩):

ولستُ بمهيأٍ يُعشى سوامهُ
مُجَدَّعةٌ سُقْبَانُها وهى بُهْلُ
ولا جُبًّا أَكْهَى مُرَبُّ بعربيه
يُطالِعها فى شأنه كيفَ يفعلُ

دراسات سابقة عن كون القرارات الأسرية شأن الرجال

أكد على (١٩٩٣) أن الرجل فى الأسرة الجاهلية قد منح نفسه حقوقاً لم يعطها لأهل بيته الآخرين، واستأثر بالعديد من الحقوق والميزات، وهذا بحكم تفوق قوته البدنية على الأفراد الآخرين، وقد بنى على هذه القوة آليات التعامل فى البيت، وأبرزها اتخاذ القرار.

الأعمال المنزلية والتربية والتطبيب شأن النساء

أما الزوجة، فمهمتها الإنجاب، والعناية بالأولاد، فعملها مقتصر على شؤون البيت الداخلية، وقياساً على هذا، فإن الزوجة التى لا تنجب تعد أقل شأنًا، قال عبيد بن الأبرص (الزوزنى، ١٩٨٠):

أعاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ رَحِمٍ
أَمِ غَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ

ومن مهمات المرأة أيضاً العناية والتطبيب، لما تحتاجه من
مطلوبات عاطفية. كان أوس بن حجر التميمي قد سقط عن ناقه،
فقامت حليلة بنت فضالة بن كعدة بالاعتناء به، فقال فيها
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ نَوَاءَ ثَوِيَّهَا
حَلِيمَةٌ إِذْ أَلْقَى مِرَاسِي مُقْعَدٍ
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي
وَحَرَّ بِشَرْجِ مِ الْقَبَائِلِ عُودِي
وَلَمْ تُلْهِهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ إِنَّهَا
كَمَا شَدَّتْ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَحْرُبِ

ومن المستغرب، وغير المألوف ولا المقبول رؤية رجل يقوم
بأعمال منزلية. رأت زوجة الهذلول بن كعب الغنبري زوجها
يطحن، فضربت صدرها، وقالت: «أهذا زوجي!»، فردَّ عليها،
وبرَّر لها أنه خادم ضيفه، ولكنَّه فارس مقدام، قال الهذلول
(الطائي، ١٩٩٨):

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا
أَبْعَلَى هَذَا بِالرُّحَى الْمُتَقَاعَسُ

فقلتُ لها لا تعجلى وتبينى
 فعلى إذا التقت على الفوارس
 ألت أردد القرن يركب رذعه
 وفيه سنان ذو غرارين يابس
 وأحتمل الأوق الثقيل وأمتري
 خلوف المنايا حين فرّ المعامس
 وأقري الهموم الطارقات خزامة
 إذا كثرت للطارقات الوساوس
 إذا خام أقوام تقحمت عمرة
 يهاب حفيهاها الألد المدامس
 لغمر أبيك الخير إنى لخادم
 لضيقي وإنى إن ركبت لفارس
 وإنى لأشري الحمد أنفى رباحه
 وأترك قرنى وهو خزيان ناعس

دراسات سابقة عن الأدوار الأسرية للمرأة

وقد اتفقت بعض هذه النتائج مع ما عرضه الحوفي (١٩٦٣)،
 الذي أكد على أن تربية الأبناء، ورعاية شؤون المنزل، والتطبيب هي

من أعمال المرأة العربية في الجاهلية، ولكن الحوفي (١٩٦٣) أضاف بعض المهن التي تقوم بها المرأة داخل البيت مثل الغزل، والنسج، وأعمال أخرى خارجية مثل التجميل، والتزيين، والإرضاع، ورعى الإبل والغنم، والكهانة والعرافة، وذكر على (١٩٩٣) أن المرأة الجاهلية كانت أكثر نشاطاً من الرجل داخل المنزل، وكان من أعمالها تحضير الطعام، وغسيل الملابس، والغزل، والعناية بالأطفال.

وَادِ الْبَنَاتِ

وقد ذكر في الكثير من الكتب والأبحاث تفضيل المواليد الذكور على الإناث عند الكثير من العرب في الجاهلية، لدرجة بلغت ببعض العرب دفن البنات وهن أحياء - الواد (طقوش، ٢٠٠٩؛ وضيف، ٢٠٠٨؛ وروجرز ميلر Rodgers-Miller، ٢٠٠٤؛ والحوفي، ١٩٦٣)، ولم أجد ممّا راجعته من الشعر الجاهلي ما يشير إلى ذلك، ولكن وجدت إشارات شعرية في عصور لاحقة تتحدث عن الواد في فترة الجاهلية.

حماية نساء الأسرة

وحماية نساء الأسرة هي مهمة أخرى لرجالها، فالرجل هو القوى، والمرأة تابعة له. كانت ليلي بنت لكيز - المعروفة بليلى العفيفة - اختطفت في فارس، وكان ابن كسرى يحاول أن ينال

مراده منها ، فاستنجدت بالبراق بن روحان البكري - خطيبها وابن عمها - وبإخوتها، قلت ليلي العفيفة (شيخو، ١٩٩١):

ليت للبراق عيناً فترى
ما أقاسى من بلاءٍ وعنا
يا كليباً يا عقيلاً إخوتي
يا جُنَيْدًا ساعدوني بالبُكا
عُذِبْتُ أختكمُ يا ويلكمُ
بعذابِ الفكرِ صبحاً ومساءً
يكذبُ الأعجمُ ما يقربني
ومعنى بعضِ حساباتِ الحيا

والذى لا يستطيع حماية نسائه، يستحق أن يُعيرَ بذلك، قالت سلمى بن المحلّف تعير مالك بن كعب - الملقّب بجوّاب - والطفيل بن مالك لهرويهما وتركهما النساء يوم النّسار (الجزري، ٢٠١٠):

لحسّ الإلهُ أبا ليلي بقرته
يوم النّسارِ وقُنُبَ العيرِ جَوّابا
كيف الفخارِ وقد كانت بمعتركِ
يوم النّسارِ بنو ذبيان أربابا

لم تمنعوا القوم إن أشلوا سوامكم
ولا النساء وكان القوم أحرابا

وصايا الآباء للأبناء بالحرب

وفى وصايا الآباء لأبنائهم الذكور الحث على اظهار القوة،
والمشاركة فى الحرب، والتجهيز لها، وأخذها على العاتق، قال
ذو الإصبع العدواني يوصى ابنه أسيد (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ
يَوْمًا وَأَرْغَدَتِ الْخَصِيلا
فَاهْصُرْ كَهْضِرِ اللَّيْلِ
خَضَبٌ مِنْ فَرِيستِهِ التَّلِيلَا
وَانْزِلْ إِلَى الْهَيْجَا إِذَا
أَبْطَالُهَا كَرِهُوا النَّزُولَا
وَإِذَا دُعِيَتْ إِلَى الْمُهَمِّ
فَكُنْ لِفَاجِهِ حَمُولَا

وذكر الأعشى ميمون وصايا أبيه له، ومنها أهمية القتال عند
الحاجة له، قال الأعشى (القيسي، ١٩٥٠):

إِنَّ الْأَعَزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا
 أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ إِنَّمَا تَلْفُ
 الصِّيفُ أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ
 حَقًّا عَلَى فَأَعْطِيهِ وَأَعْتَرِفْ
 وَالْجَارُ أَوْصِيكُمْ بِالْجَارِ إِنَّ لَهُ
 يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ
 وَقَاتِلُوا الْقَوْمَ إِنَّ الْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ
 إِذَا تَلَوَى بِكَفِّ الْمَغْصِمِ الْعُرْفُ

تأثير الذكورة في المجتمع

تتعدى تأثيرات درجة الذكورة الأدوار بين الجنسين داخل
 الأسرة، وتمتد إلى المجتمع، يسعى الذكور في المجتمعات عالية
 الذكورة لإثبات قدرتهم على الاختلاف، والتميز، والتفوق، مما
 يؤدي لاتصافهم بصفات معينة مثل التحدي، وكثرة التهديد
 والوعيد، والغلظة في التعامل وإظهار الشدة، والعصبية، وترتفع
 فيما بينهم درجة المنافسة، وحدتها، وما تتضمنها من غيرة،
 ورغبة في الإنجاز بأنواعه -وخصوصاً الإنجاز المادي - وذكر
 الإنجازات مراراً، ويبالغ الذكور أيضاً في هذا النوع من المجتمعات
 في الحكم على قدراتهم وإمكانياتهم، ووصف أنفسهم، أما الإناث

فهم أقل شأنًا في المجتمع ، وليس لديهم أدوار قيادية ، بل يُعاملون
معاملة التابعات للذكور.

في المجتمعات التي تسجل درجات منخفضة على مقياس
الذكورة، لا تختلف أدوار الذكور كثيرًا عن الإناث، فليس للذكور
قيمة أعلى، فبالتالي لا يسمعون للتمييز والتفرد لإشباع هذا الفرق،
حيث لا يوجد فرق من الأساس، وهذا يؤدي لاتصاف الذكور والإناث
بصفات الكياسة والوسطية، وتقل حدة المنافسة بين الذكور، ويقل
ادعاء القوة، والمعرفة، وحب الظهور، ولإناث قيمة متساوية مع
الذكور في هذه المجتمعات، ومن المتوقع والمقبول تبوؤ الإناث
مناصب قيادية فيها.

المجتمع العربي الجاهلي على مقياس الذكورة

التحدي

نبرة التحدي في الشعر الجاهلي واضحة وعالية، والأمثلة عليها
كثيرة جدًا، قال عنتر بن شداد العبسي (الهاشمي، ١٩٦٩):

وَمَنْ لَمْ يُزَوِّ رُمْحَهُ مِنْ نَمِ الْعِدَا
إِذَا اشْتَبَكَتْ سُمْرُ الْقَنَا بِالْقَوَاضِبِ
وَيُعْطَى الْقَنَا الْخَطِيءُ فِي الْحَرْبِ حَقُّهُ
وَيَبْرِي بِحَدِّ السَّيْفِ عُرْضَ الْمَنَاقِبِ

يَعِيشُ كَمَا عَاشَ الذَّلِيلُ بَغْضَةً
وَإِنْ مَاتَ لَا يُجْرَى دُمُوعُ النُّوَابِ
وقال أيضاً (العبسي، ٢٠٠٤):

حَكَمَ سَيُوفُكَ فِي رِقَابِ الْعُذْلِ
وَإِذَا نَزَلْتَ بَدَارَ ذَلِّ فَارْحَلِ
وَإِذَا بُلِيتَ بِظَالِمٍ كُنْ ظَالِمًا
وَإِذَا لَقِيتَ ذَوِي الْجَهَالَةِ فَاجْهَلِ
وَإِذَا الْجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ
خَوْفًا عَلَيْكَ مِنْ أَرْذَامِ الْجَحَلِ
فَاعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفَلْ بِهَا
وَاقْبِمْ إِذَا حَقَّ اللَّقَا فِي الْأَوَّلِ
وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ
أَوْ مُتْ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطِ

وقال طرفة بن العبد البكري (التبريزي، ١٩٨٠):

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
خَشَاشُ كُرَاسِ الْحَيَةِ الْمَتَوَقِّدِ

فَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَانَةً
 لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْدَدٍ
 وَقَالَ عمرو بن كلثوم التغلبي (الأصفهاني، ٢٠١٠):
 مَنْ عَاذَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلَا اجْتَبَرُ
 وَلَا سَقَى الْمَاءِ وَلَا أَرعى الشَّجَرُ
 بَنُو لَجِيمٍ وَجَعاسِيْسُ مُضَرُ
 بِجَانِبِ الدَّوِّ يُذْهِدُونَ الْعَكَرُ
 وَقَالَ الحارث بن ظالم المري (الأصفهاني، ٢٠١٠):
 أَنَا أَبُو لَيْلَى وَنَيْفَى الْمَغْلُوبُ
 كَمْ قَدْ أَجْرْنَا مِنْ خَرِيبٍ مُحْرُوبُ
 وَكَمْ رَدَدْنَا مِنْ سَلِيبٍ مَسْلُوبُ
 وَطَعْنَةٌ طَعَنْتُهَا بِالْمَنْصُوبُ
 ذَاكَ جِيهَزُ الْمَوْتِ عِنْدَ الْمَكْرُوبُ
 هَلْ يَخْرُجُنْ ذَوْدَكَ ضَرْبَ تَشْذِيبِ
 وَقَالَ الأصبط بن قُرَيْع التميمي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أنا الذى تفركه حلالة
ألا فتى مُعشَّق أنازلهُ

التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ

وقد كُثِرَ أيضًا الخطاب المباشر الذى يحمل صيغة التَّهْدِيدِ لشخص معين، أو قبيلة بعينها. قال المهلهل بن ربيعة التغلبي مَهْدَدًا قبيلة بكر بالحرب على إثر مقتل كليب (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يا لبكر أنثروا لى كليبًا
يا لبكر أين أين الفِوارُ
يا لبكر فاطعنوا أو فحلُّوا
ضُرِّحَ الشرُّ وبان السُّرارُ
وقال أيضًا (الجزري، ٢٠١٠):

فابكين سيد قومه واندبنهُ
شُدَّتْ عليه قباطي الأُكفان
وابكين للأيتام لما أقحطوا
وابكين عند تخاذل الجيران

وابكين مصوغ جيد متزجلاً
 بدمايه فلذاك ما أبكاني
 فلأتركن به قائل تغلب
 قتلى بكل قرارة ومكان
 قتلى تعاورها النسور أكفها
 ينهشنها وحواجل الغربان
 وقال أيضاً (الجزري، ٢٠١٠):

ولأوردن الخيل بطن أراكه
 ولأقضي بفعل ذاك ديوني
 ولأقتلن حجاجاً من بكركم
 ولأبكين بها جفون عيون
 حتى تظل الحاملات مخافة
 من وقعنا يقدفن كل جبين

وكان الحارث بن عباد البكري قد اعتزل هذه الحرب بين تغلب
 وبكر - حرب البسوس - ولكن المهلهل قتل ابنه بجير، فقال
 الحارث متوعداً المهلهل (الأصفهاني، ٢٠١٠):

قَرَبَا مَرْبِطَ النِّعَامَةِ بِنِي

لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ جِيَالٍ

لَا بُجَيْرُ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطُ

كَلِيبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالٍ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمُ اللَّهِ

وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالٍ

وتوعد حُضَيْنُ بْنُ عَمْرِو قَاتِلَ أَخِيهِ زُهَيْرٍ، وكان رجل من بني

عامر قد قتله، قال حصين (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يَا ضُبُعًا عَثَوَاءَ لَا تَسْتَأْنِسِي

تَلْتَقِمِ الْهَرَّ مِنَ السُّقْبِ الرُّذَى

أَقْسَمَ بِاللَّهِ وَمَا حَجَّتْ بَلَى

وَمَا عَلَى الْعُرَى تُعْمِزُهُ غَنَى

وَقَدْ حَلَفْتُ عِنْدَ مَنْحَرِ الْهَدَى

أُعْطِيكُمْ غَيْرَ صُدُورِ الْمَشْرِقَى

فليس مثلي عن زُهَيْرٍ بَغْنَى

هو الشُّجَاعُ وَالْخَطِيبُ اللَّوْذَعَى

والفارسُ الحارمُ والشهمُ الأبي
والحاملُ الثقلُ إذا ينزلُ بي

وقال قيس بن زهير العبسي يتوعد الربيع بن زياد العبسي
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

إنَّ تَكْ خَرَبٌ فلم أجنها
جنتها خيارُهم أو هم
جذار الرُدى إذ رأوا خيلنا
مُقدَّمها سابعُ أنفم
عليه كمي وبسرباله
مُضاعفة نسجها مُحكم
فإنَّ شمرت لك عن ماقها
فؤيتها ربيعٌ ولم يسأموا
نهيتُ ربيعاً فلم يزدجر
كما انزجر الحارثُ الأضجم

كان العباس بن مرداس السلمى على خلاف مع ابن عمه خفاف
بن عمير، فكثر بينهما الوعيد والفخر، وكان ممّا قد قال العباس
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

فأبلغ لذيكَ بنى مالك
 فأنتم بأبيائنا أخبرُ
 فأما النخيلُ فليست لنا
 نخيلُ تُسقى ولا تُؤبرُ
 ولكنَّ جمعًا كجذل الحكا
 ك فيه المقنّع والحُسرُ
 مغاويرُ تحملُ أبطالنا
 إلى الموت ساهمةً ضمرُ
 وأعدتُ للحرب خيفانةً
 تُديم الجِراء إذا تَخطرُ
 صنيعةً كقارورة الزعفران
 ن مما تُصان ولا تُؤثرُ
 وكان مما قال خُفاف للعبّاس (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فأبشُرْ إن بقيتَ بيومٍ سوءٍ
 يشيبُ له من الخوفِ الوليدُ

كيومك إذ خرجت تفوق ركضاً
 وطار القلب وانتفخ الوريدُ
 فدع قول السفاهة لا تقله
 فقد طال التهذُّدُ والوعيدُ
 رأينا من نحاريه شقيّاً
 ومن ذا في بنى عوف سعيدُ
 وقد توعد تأبط شراً الفهمي بنى العوص بعد أن قتلوا صاحبين
 له، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نَعْمَرُ فَتًى نَلْتَمِ كَأَن رَدَاءَهُ
 عَلَى سَرَحَةٍ مِنْ سَرَجِ دُومَةٍ سَامِقُ
 لَأَطْرُدُ نَهْبًا أَوْ نَرُودَ بَعْتِيَّةٍ
 بِأَيْمَانِهِمْ سُمِرَ الْقَنَا وَالْعَقَائِقُ
 فَمَا غَرَّةُ شُعْتِكَ كَأَن عَيُونَهُمْ
 حَرِيقُ الْغَضَا تُلْفَى عَلَيْهَا الشَّقَائِقُ
 فَعُدُّوا شُهُورَ الْحُرْمِ ثُمَّ تَعْرِفُوا
 قَتِيلَ أَنْاسٍ أَوْ فِتَاةً تَعَانِقُ

وقال عمرو بن براق المهمي - وهو أحد الشعراء الصعاليك -
 يتوعد لصاً سرق إبله وخيله (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فلا صُلِّحَ حتَّى تعثرَ الخيلُ بالقَنَا

وتُضْرَبُ بالببيضِ الرِّقَاقُ الجماجمُ

وكان امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي يطلب النار لأبيه
- وكان أبوه ملكاً على كندة - من بني أسد، فكان مما قال يتوعدهم
بحرب (الكندي، ٢٠٠٤):

وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ وَثَابَةً

جَوَادَ الْمُحَنَّةِ وَالْمَرْوَدِ

نَبُوحًا جَمُوحًا وَاحْضَارَهَا

كَمُعَمَّةِ الشَّعْفِ الْمُوقَدِ

وَمُطَرِدَا كَرِشَاءِ الْجَرُودِ

رَمَنْ خُلِبَ النُّخْلَةُ الْأَجْرِدِ

وَذَا شَطَبٍ غَامِضًا كُلَّمَهُ

إِذَا صَابَ بِالْعَظْمِ لَمْ يَنَادِ

وَمَشْدُودَةَ الشَّكِّ مَوْصُونَةً

تَضَاءَلُ فِي الطُّيِّ كَالْمَسْبُورِ

تَقِيصُ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا

كَفَيْضِ الْأَتْبَى عَلَى الْجَدَجِدِ

وقال عبد الله بن جعدة الكلابي يهدد بالثأر لقتل خالد بن
جعفر بن كلاب، ويتوعد قاتله الحارث بن ظالم المري، وقبيلته
(الجزري، ٢٠١٠):

فانعوا أبا بحرٍ بكلِّ مجرّبٍ
حرّانٍ يُخسبُ في القنّاةِ هلالاً
فليُقتلنَّ بخالدٍ مروّاتكم
وليُجعلنَّ لظالمٍ تمثالاً

كان بنو بدر الفزاريين قد قتلوا مالك بن زهير العبسي، فخاطب
عنقرة بن شداد القتييل مالك يطمئنه على ثأره، وفي خطابه تهديداً
لبني بدر، قال عنقرة (الجزري، ٢٠١٠):

فسوف ترى إن كنتُ بعدك باقياً
وأمكنني دهرى وطولُ زمانى
فأقسم حقاً لو بقيتَ لنظرةٍ
لقرتُ بها عيناك حينَ ترانى

وقال عنقرة بن شداد العبسي يتوعد بني العُشراء بالثأر لقرواش
بن هنيّ (العبسي، ٢٠٠٤):

سَيَاتِيكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا

لِحَاثِ الْعَلْفَدَى دُونَ بَيْتِي مَذُودُ

قَصَائِدُ مِنْ قِيلِ أَمْرِي يَحْتَذِيكُمْ

بَنَى الْعُشْرَاءُ فَارْتَدُّوا وَتَقَلَّدُوا

وقال عنتره أيضا يحذر بني كعب بعد أن تبين غدرهم بعيس
(العبيسي، ٢٠٠٤):

قُلْتُ مِنَ الْقَوْمِ فَقَالُوا سَفَرَهُ

وَالْقَوْمُ كَعْبٌ يَتَغَوَّنُ الْمَكْرَهُ

قُلْتُ لِكَعْبٍ وَالْقَنَا مُشْتَجِرَهُ

تَعْلَمِي يَا كَعْبُ وَأَمْشِي مُبْصَرَهُ

ثُمَّ إِذْهَبِي مِنِّي وَكُونِي حَذِرَهُ

وقال عنتره يتوعد عُميرة بالحرب ويذكرها بفعالها في حروب
سابقة، ومصير قبائل هزمها (العبيسي، ٢٠٠٤):

سَائِلُ عُمِيرَةٍ حَيْثُ خَلَّتْ جَمْعَهَا

عِنْدَ الْحُرُوبِ بِأَيِّ حَيٍّ تُلْحَقُ

أَبْحَى قَيْسٍ أَمْ بِعُذْرَةٍ بَعْدَمَا
 رُفِعَ اللِّوَاءُ لَهَا وَيُسْرَ الْمَلْحَقُ
 وَاسْأَلْ حُذِيفَةَ حِينَ أَرْتَرَ بَيْنَنَا
 حَرْبًا ذَوَائِبُهَا مَمُوتٌ تَخْفِقُ
 فَلْتَعْلَمَنَّ إِذَا إِلْقَيْتَ فُرْسَانَنَا
 يَلُوى النُّخَيْرَةُ أَنَّ ظَنِّكَ أَحْفَقُ
 وَقَالَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ الْأَسَدِيُّ يَهْدِدُ الْمُثَلَّمُ بْنُ الْمَرِّ وَمَالِكُ بْنُ
 هَنْدٍ (القرشي، ١٩٨١):

قُلْ لِلْمُثَلَّمِ وَابْنِ هَنْدٍ بَعْدَهُ
 إِنْ كُنْتَ زَائِمٌ عِزَّنَا فَاسْتَقْدِمِ
 تَلَقَّ الذِّى لَأَقَى الْعَدُوَّ وَتُصْبِحُ
 كَأَسَا ضَبَّابَتَهَا كَطَعْمِ الْعَلَقِمِ
 نَحْبُوا الْكَتِيبَةَ حِينَ تَقْتَرِشُ الْقَنَا
 طَعْنَا كَالْهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ

دراسات سابقة عن التهديد والوعيد

ذكر السعيدى وخلأوى (٢٠١٧) كثرة التهديد والوعيد فى الشعر
 الجاهلى، ولكن أكدوا على عدم كونه غرضاً منفصلاً للشعر، بل

ترافق مع سبعة أغراض أساسية أخرى: رثاء القتيل، والتعالي على
 المغلوبين، والرد على تهاون المنتصرين وتعسفهم في الأخذ بثأرهم،
 والرد على الهجاء والتّهديد والوعيد، والنزاع بين الفرد والدولة،
 والرد على العمل العدواني، وتهديد المتحاربين بإيقاف الحرب.

التنافس والغيرة

وتوضح نقيحة تحليل الشعر الجاهلي أن المنافسة في المجتمع
 كانت على درجات عالية جداً، سواء على الصعيد الشخصي بين
 الأفراد، أو على صعيد القبائل فيما بينها. وصف لبيد بن ربيعة
 العامريّ مجالس الملوك التي يكثر زائريها الباحثين عن هبات
 الملوك، وذكر أن فيها حقداً بين أولئك الزائرين، وبالرغم من
 التنافس الوجود بينهم، إلا أنه لم يستطع أحد التفوق والمخر
 عليه، قال لبيد (التبريزي، ١٩٨٠):

وكثيرة غرباؤها مجهولة

ترجى نوافلها ويحصى ذامها

غلب تشذّر بالدحُول كأنها

جنّ البديّ رواسياً أقدامها

أكرت باطلها وبؤت بحقها

عندي ولم يفخر على كرامها

والمنافسة تستدعى الغيرة بين المتنافسين، وقد يلجأ أحدهم
لذم المنافس الآخر، ويظهر الذم على شكل هجاء. كان الربيع بن
زياد العبسي من ندماء النعمان بن المنذر، وكان على خلاف مع
الجعفرين من بني عامر بن صعصعة، فكان أن هجى لبيد بن ربيعة
العامري الربيع بن زياد، فقال لبيد (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَكَلُ يَوْمَ هَامَتِي مُقْرَعَةٌ
يَا رَبُّ هِجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا
نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنَيْنِ الْأَرْبَعَةُ
سَيُوفُ حَزٍّ وَجِفَانُ مُتْرَعَةٌ
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
الضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ
وَالْمَطْمَعُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ
مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ
إِنْ اسْتَهَ مِنْ بَرَصٍ مُلْمَعَةٍ
وَأَنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِبْصَعَةً
يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَةً
كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضِئَعَةً

وقال الأسود بن يعفر النهشلي يفتخر على التَّيحان بن بلج
بإكرام الضيف بشكل لا يخلو من ذم لأبي التَّيحان (الأصفهاني،
٢٠١٠):

وإني لأقري الضيف وصي به أبي
وجار أبي التَّيحان ظمان جائع

ورد خُفاف بن عمير السلمي على العباس بن مرداس السلمي
فخره عليه، وفي رد خُفاف افتخار بنفسه، وذر للعباس في إطار
من المنافسة، قال خُفاف (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لا تفخرون فإنَّ عودي نبعة
أعيت أبا كرب وعودك خروج

ونكر حاتم الطائي منافسته مع بني لأم - وهم بطن من بطون
طي - على إظهار الكرم، وبدأ الموضوع بهجاء بني لأم، قال حاتم
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

أبلغ بني لأم فإنَّ خيولهم
عقرى وإنَّ مجادهم لم يمجّد
ها إنما مطرت سماءكم دما
ورفعت رأسك مثل رأس الأضيّد

لِيَكُونَ جِيرَانِي أَكْأَلًا بَيْنَكُمْ
 نَحْنُ لَا لِكُنْدِي وَسَيِّ مَزِيدِ
 وَابْنُ النُّجُودِ إِذَا غَدَا مُتَلَاظِمًا
 وَابْنُ الْغَدُورِ ذِي الْعِجَانِ الْأَبْرِدِ
 وَلثَابِتِ عَيْنِي جَذِ مُتَمَاوِتِ
 وَلِلْعَمِظِ أَوْسٍ قَدْ عَوَى لِقَلْبِ
 أَبْلِغْ بَنِي ثَعْلٍ بِأَنِّي لَمْ أَكُنْ
 أَبَدًا لِأَفْعَلِهَا طَوَالَ الْمُسْتَنْدِ
 لَا جَنْتُهُمْ فَلَا وَأَتْرَكَ صُحْبَتِي
 نَهْبًا وَلَمْ تَقْدِرْ بِقَائِمِهِ يَدِي
 وَتَنَافَسَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ مَعَ عَذَّالِهِ وَلَا تُمِيهِ عَلَى الَّذِي سَيَمُوتُ
 مِنْهُمَا رَاوِيًا مِنَ الْخَمْرِ، فَقَالَ طَرْفَةُ (التَّبْرِيزِيُّ، ١٩٨٠):
 كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ
 سَتَعْلَمُ إِنْ مَتْنَا غَدًا أَتَيْنَا الصَّدَى
 مَدَحَ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى الْمَزْنِيِّ هَرَمَ بْنِ سَنَانِ الْمَرْيَ، وَصَوَّرَهُ بِأَنَّهُ
 يَتَعَلَّبُ عَلَى كُلِّ مُنَافَسِيهِ عَلَى الْمَجْدِ فِي قَيْسِ عَيْلَانَ بِأَكْمَلِهَا، قَالَ
 زَهِيرُ (الْأَصْفَهَانِيُّ، ٢٠١٠):

إذا ابتدرت قيسُ بنُ عيلانَ غايَةً
 منَ المجدِ منَ يسبقُ إليها يُسودُ
 نَبَقَتْ إليها كُلُّ طَلْقٍ مُبَرَّرِ
 سُلُوقٍ إلى الغاياتِ غيرِ مُزْنَدِ
 كِفَعَلِ جَوادٍ يسبقُ الخيلَ عَفْوُهُ
 السَّراعِ وإن يجهدَ يجهدُ ويبعدُ

والغيرة والحسد يلزمان التنافس دائماً. قال طرفة بن العبد
 متمنياً أن يكون ذا مالٍ ونفوذٍ مثل قيس بن خالد وعمرو بن مرثد
 (التبريزي، ١٩٨٠):

فلو شاء ربِّي كنتُ قيسُ بنَ خالدٍ
 ولو شاء ربِّي كنتُ عمرو بنَ مرثدٍ
 فأصِحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني
 بفنونٍ كرامٍ سادةٍ لسودٍ

ومن قصص الغيرة، قصة غيرة عمارة بن زياد العبسي من عنقرة
 بن شداد العبسي لقوة بأسه، فبلغ عنقرة أن عمارة يحسده ويهدده،
 ويدّعي أنه لا يجده خالياً لينفذ تهديده، فردّ عليه عنقرة متحدّياً
 (العبسي، ٢٠٠٤):

أَحُولِي تَنْفُضُ اسْتُكْ مَذْرُوبِهِ
لَتَقْتُلْنِي فَهِيَ أَنَا ذَا عُمَارَا
مَتَى مَا تَلَقْنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ
زَوَانِفُ أَلَيْتِيكَ وَتُسْتَطَارَا

وذكر عنقرة بن شداد أنه قد انتصر وحقق غاية في نفسه بدعوة
الفرسان له للإقدام في الحرب، وفي هذا اعتراف من الفرسان بعلو
كعب عنقرة عليهم، مما يعنى تفوقه في منافسته معهم، قال عنقرة
(التبريزي، ١٩٨٠):

ولقد شفى نفسى وأبرأ سُقمها
قيلُ الفوارس ويكُ عنقرُ أقدمُ

دراسات سابقة عن التحدى والتنافس والغيرة

وأكدت أبو الرب (٢٠٠٦) على أن التحدى والفوز كانا من ضمن
العرائز التي كانت تُشبع بالحرب عند العرب الجاهليين، وأن
المفاخرة كانت من ضمن الأسباب الرئيسية لاستمرار هذه الحروب
التي تبقى ما دامت حياتهم باقية، وذهب على (١٩٩٣) أيضاً إلى
وجود صفة الحق لدى العرب الجاهليين.

ذكر الإنجازات والفخريها

ولأن الجميع يسعى للمنفسة والانتصار والظهور والتميز، فإن ذكر الإنجاز، والفخر به أمر طبيعي وواضح في المجتمع الجاهلي، وخصوصاً الإنجازات المرتبطة بالقوة - مثل قتل الفرسان في الحروب - والكرم. قال مهلهل بن ربيعة الثعلبي مفتخرًا بصولاته وجولاته في حرب البسوس ثارًا لأخيه كليب (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ولو نبش المقابر عن كليب

فيخبر بالذنائب أي زير

وكان نريد بن الصمة الجشمي قد أغار على بني ثعلبة، وأخذ ابن عياض الثعلبي، وجرحه، فقال مخاطبًا عياض ومفتخرًا بفعله (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فإن تنج يذمي عارضاك فإننا

تركنا بنيك للصباع وللرخم

جزيت عياضًا كفره وعقوقه

وأخرجته من الدقاة الدهم

ألا هل أتاه ما ركبنا سراتهم

وما قد عقرنا من صفى ومن قرم

وقال الحارث بن حلزة اليشكري يذكر بعض غارات قومه بني بكر في بعض أيام ضعف الروم (التبريزي، ١٩٨٠):

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا
سُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءُ
إِذْ رَفَعْنَا الْجِمَالَ مِنْ سَعْفِ الْبَحْ
رَيْنَ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْجِسَاءُ
ثُمَّ مَلْنَا إِلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَقْ—
نَا وَفِينَا بَنَاتُ مَرْ إِمَاءُ

وقد يريد المتحدث من ذكر بعض إنجازاته أحياناً تهديد شخص أو قبيلة، فكأنه يقدم نفسه بذكر بعض إنجازاته كشكل من أشكال الترهيب وبثّ الخوف في نفس المتلقى، والتهديد أيضاً من مظاهر ارتفاع الذكورة كما ذكر سابقاً. قال خالد بن جعفر بن كلاب يتوعد زهير بن جذيمة العبسي بالقتل (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَقَيْسٌ فِي الْمَعَارِكِ غَادِرْتُهُ
قَنَاتِي فِي فَوَارِسَ كَالْأَسْوَدِ
وَيَرْبُوعٌ بِنَ غَيْظٍ يَوْمَ سَاقِ
تَرْكَنَاهُمْ كَجَارِيَةٍ وَبِيدِ

تركتُ بها نساءً بنى عُصَيْمُ
أراملَ ما تجنُّ إلى وليدٍ

وكرَّ مالك بن حمار الفزاريّ ومعه بعض الرّجال على معاوية بن الصّموت الكلابيّ، ومعه مجموعة من الرّجال، فقتل مالك معاوية، وحرّمة العُكلى، ورجل من بنى كلاب، ورجلين من قيس كبة من بجيلة، وقال مالك في ذلك (الأصفهانيّ، ٢٠١٠):

ولقد صدّدتُ عن الغنيمة حرّماً
ولقيته لدّاً وخيلى تطرُدُ
أقبلته صدرَ الأغرّ وصارماً
ذكّراً فخرّ على اليندين الأبعدُ
وابن الصّموت تركتُ حين لقيته
فى صدر مارنة يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعة فى الغبار كلاهما
وابنا غنىّ عامرٍ والأنسودُ
حتى تنفّس بعد نكّظٍ مجحراً
أذهبتُ عنه والقرائصُ ترعدُ

يعدو بنزى ساح ذو مئعة
نهّد المراكل ذو تليل أقود

ولعنقرة بن شداد العبسي صولات، وجولات، وإنجازات ذكرها
كثيراً في شعره، منها مثلاً قوله يصف قتله لبعض الفرسان في
معركة (التبريزي، ٢٠١٠):

ومدّج كره الكُماة نزاله
لا مُعْن حَرْباً ولا مُنْقَلَم
جاءت يداي له بعاجل طعنة
بمُتَقِف صدق الكُعب مُقَوْم
برحينة الفرغين يهْدِي جرسها
بالليل مُتَقَسّ الذّئاب الضُّرم
فَشَكَّتْ بِالرُّمَحِ الْأَصْمُ ثِيَابَهُ
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحْرَم
فتركتهُ جزر السّباع ينشئه
ما بين قلّة رأسه والمعصم
ومكّ سابغة هتكت فروعها
بالسّيف عن حامى الحقيقة مُعلم

رَبِذْ يَدَاهُ بِالْقَدَاحِ إِذَا شَقَا
 هَتَّكَ غَايَاتِ الْقَجَارِ مُلُومٍ
 لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلَتْ أُرِيدُهُ
 أَبْذَى بِوَاحِدَةٍ لَغِيرِ تَبْشُمِ
 فَطَعْنَتْهُ بِالرُّمَحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ
 بِمُهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمِ
 عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارَ كَأَنَّمَا
 خُضِبَ الْبِنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعَظَمِ
 بَطَلَ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرْحَةٍ
 يُخْذِي بَعَالُ السَّهْبِ لَيْسَ بِتَوَامِ
 وَقَالَ عَنقَرَةُ أَيْضًا (الشَّهْرِيزِي، ٢٠١٠):

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مَجْدَلَا
 تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ
 سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
 وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كُلُّونِ الْعَنْدَمِ
 وَقَالَ عَنقَرَةُ فِي قَتْلِهِ لُورْدِ بْنِ حَابِسٍ (الْعَبَّاسِي، ٢٠٠٤):

وَعَادَرْنَ نَضْلَةً فِي مَعْرِكٍ
يَجُرُّ الْأَسِنَّةَ كَالْمُحْتَطِبِ
فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي
فَإِنْ أَبَا نَوْفَلٍ قَدْ شَجِبَ
يُذَبِّبُ وَرْدُ عَلِيٍّ إِثْرَهُ
وَأَدْرَكَهُ وَقَعَ مُرِدٌ خَشِبَ
تَتَابَعَ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهَا
بِأَبْيَضٍ كَالْقَتَنِ الْمُلْتَهَبِ
وَقَالَ بَعْدَ أَنْ رَمَى جُرْيَةَ الْهُجَيْمِي فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ (العبسي)،
(٢٠٠٤):

تَرَكْتُ جُرْيَةَ الْعَمْرِي فِيهِ
شَدِيدُ الْغَيْرِ مُعْتَدِلُ سَدِيدُ
تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمِ لَهُمْ نَوَارُ
إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ
إِذَا يَقَعُ السَّهَامُ بِجَانِبِيهِ
تَأْخَرُ قَابِعًا فِيهِ صُدُودُ
وَذَكَرَ إِصَابَتَهُ لَجُبَيْلَةَ بْنِ أَبِي عَدَى وَرَجُلَ آخَرَ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ،

فقال (العيسى، ٢٠٠٤):

تَرَكْتُ جُنَيْلَةَ بْنَ أَبِي عَدَى
يُبِلُّ ثِيَابَهُ عِلْقُ نَجِيعٍ
وَأَخْرَ مِنْهُمْ أَجْرَ رُوحِي
وَفِي الْبَجَلَى مَعْبَلَةٌ وَقِيعُ

وذكر الحارث بن زهير العيسى قتله لحمل بن بدر الفزاري في
يوم الهبأة - وهو من أيام حرب داحس والغبراء - واسترداده
سيف أخيه مالك بن زهير، والسقى بذي النون، وكان حمل قد
استولى على السيف بعد قتله لمالك، قال الحارث (الأصفهاني،
٢٠١٠):

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءِ غَيْرَ فَخْرٍ
حُذِيفَةُ حَوْلَهُ قَصْدُ الْعَوَالِي
سَيَخِرُّ عَنْهُمْ خَنْشُ بْنُ عَمْرٍو
إِذَا لَاقَاهُمْ وَابْنَا بِلَالٍ
وَيُخْبِرُهُمْ مَكَانَ النَّوْنِ مِنِّي
وَمَا أُعْطِيَتْهُ عِرْقُ الْخِلَالِ

وافتحخر أيضاً الشعراء الصعاليك بفعالهم. قال السُّلَيْك بن السُّلُكَة

يذكر إحدى غاراته (الأصفهاني، ٢٠١٠).

وليلة جابان كورث عليهم
على ساعة فيها الإياب حبيب
عشية كرت بالحرامي ناقة
بحي هلا تدعى به فيجيب
فصاربت أولى الخيل حتى كأنما
أميل عليها أيدع وحبيب

وقال تأبط شراً العهني يفتخر بغارة على العوص (الأصفهاني، ٢٠١٠):

جرى الله فتيانا على العوص أمطرت
سدؤهم تحت العجاجة بالدم
وقد لاح ضوء الفجر عرّضا كأنه
بلمحتبه إقرب أبلق أدهم
فإن شفاء الداء إدراك دخلة
صباحسا على آثار حوم عرموم
وضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم
قبائل من أبناء قسر وحثم

ضرباً غداً منه ابنُ حاجزٍ هارباً
نُرا الصَّخِرِ في جوفِ الوجين المديمِ
وقال الشنفرى الأزدي بعد غارة على خَتَعَم (الأصفهاني،
: (٢٠١٠)

ألا هل أتى غنا سعاد ودونها
مهامة بيدٍ تَعْتَلِي بالصعاليكِ
بأننا صبحنا القوم في حرِّ دارهم
حمام النايا بالسيفِ البواتكِ
قتلنا بعمرٍو منهم خير فارسٍ
يزيد وسعداً وابن عوفٍ بمالكِ
ظللنا نَفَرِي بالسيفِ رؤوسهم
ونرشقهم بالنبل بين الدكاكِ

وقال يفتخر بنفسه ويتأبط شراً بعد غارة على العوص
(الأصفهاني، : (٢٠١٠)

دعيني وقول بعد ما شئت إنني
سُيْغَدِي بِنَعَشِي مرةً فأغيبُ
خرجنا قلم نَعَهْدُ وقلَّتْ وصاتنا
ثمانية ما بعدها مُتَعَتَّبُ

سراحين فتيان كأن وجوههم
مصاييح أو لون من الماء مذهب
نمر برهو الماء صفحا وقد طوت
ثمائلنا والزاد ظن مغيب
ثلاثا على الأقدام حتى سما بنا
على الغوص شعشاع من القوم مخرب
فتاروا إليها في السواد فهججوا
وضوت فينا بالصبح المثوب
فشن عليهم هزة السيف ثابت
وصم فيهم بالحسام المسيب
وظلت بفتيان معي اتقيهم
بهن قليلا ساعة ثم جنبوا
وقد خر منهم راجلان وفارس
كمى صرعاة وخوم مسلّب
يخفق إليه كل ربيع وقلعة
ثمانية والقوم رجل ومقنب

فلَمَّا رَأَى قَوْمُنَا قِيْلَ أَفْلَحُوا

فَقَلْنَا اسْأَلُوا عَنْ قَائِلٍ لَا يُكَذِّبُ

وذكر البراء بن قيس الكنانى قتله عروة الرخال الكلابى، وفي شعره ما يدل على أن سبب قتله لعروة هو المنافسة، وفخر عروة عليه، قال البراء (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نَقَمْتُ عَلَى الْمَرْءِ الْكَلَابِيَّ فُخْرَهُ

وَكُنْتُ قَدِيمًا لَا أَقْرُ فُخَارًا

عَلَوْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ

فَأَسْمَعَ أَهْلَ الْوَادِيَيْنِ خُورًا

وذكر البراء المناسبة نفسها، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَدَاهِيَةٌ يُهَالُ النَّاسُ مِنْهَا

شَدَدْتُ لَهَا بَنَى بَكْرٍ ضُلُوعِي

هَتَكْتُ بِهَا بِيُوتَ بَنَى كَلَابِ

وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِي بِالضَّرْعِ

جَمَعْتُ لَهَا يَدَيَّ بِنَصْلِ سَيْفِ

أَفْلَ فُخْرٌ كَالْجَذْعِ الصَّرِيعِ

وقال مهلهل بن ربيعة التغلبيّ بعد قتل بجير بن الحارث بن
عباد البكريّ (الأصفهانيّ، ٢٠١٠).

فإنسى قد تركتُ بوارِداتِ
بُجَيْرا في ذمِّ مثلِ العبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بنى عبادِ
وبعضُ العُشمِ أَشفى للصدورِ
أتونا بشهرانِ العريضةِ كلّها
وأكلُب طرّاً في حِيادِ السَّنورِ

وقال عامر بن الطفيل الكلابيّ بعد أن قتل مسهر الحارثيّ يوم
فيف الرّيح (الجزريّ، ٢٠١٠):

لعمري وما عمري عليّ بهيّن
لقد شأنُ حرِّ الوجهِ طعنةُ مُسهرِ
فبئس الفتى إن كنتُ أعورَ عاقراً
جبناً وما أغنى لى كلّ محضِرِ

وقال بشر بن أبي خازم الأسديّ يذكر نصر بنى عامر على تميم
يوم الجفار (الجزريّ، ٢٠١٠):

عصبت تميم أن يقتل عامرُ
يوم النّسار فأعقبوا بالضيّلم
كنا إذا نفرنا لحرب نفرة
نشقى ضدا عنهم برأس صلدم
نعلو الفوارس بالسيف ونعتزي
والخيل مشعلة النّحور من الدّم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا
خبب السّباع بكلّ ليث ضيغم
وقال أيضا:

يوم الجفار ويوم النّسا
ركانا عذابا وكان غراما
فأما تميم تميم بن مرّ
فألفاهم القوم روبي نياما
وأما بنو عامر بالجفار
ويوم النّسار فكانوا نعاما
وقتل أخيحة بن الجلاح الأوسى كعب بن عمرو المازني، وبلغه
أنّ عاصم أخو كعب يطلبه بأخيه، فقال أخيحة مفتخرًا بقتله لكعب

(الجزري، ٢٠١٠):

نَبَيْتُ أَنَّكَ جِئْتَ تَسْـ

رى بين داري والقبابة

فلقد وجدت بجانب الـ

ضحيان شبانا مهابة

فتيان حرب في الحديد

وشامرين كأسد غابة

هم نكبوك عن الطريق

ق فبت تركب كل لابة

أعصيم لا تجزع فإن الـ

حرب ليست بالدعابة

فأنا الذي صبحتكم

بالقوم إذ دخلوا الرخابة

وقتلست كعبا قبلها

وعلوت بالسيف الذؤابة

وقال بلعاء الكنانى يذكر قتله لأحد الفرسان (الطائي، ١٩٩٨):

وفارس في غمار الموت مُنغمس
 إذا تآلى على مكروهة صدقا
 غشيته وهو في جأواء بأسلة
 عضبا أصاب سواء الرأس فانقلبا
 بضربة لم تكن مني مخالسة
 ولا تعجلتها جبننا ولا فرقا

وذكر العند الزماني قتله مالك بن عوف التغلبي في حرب
 البسوس، وكان الفند شيخا كبيرا وقتها، فقال (الأصفهاني،
 ٢٠١٠):

أيا طعنة ما شيخ
 كبير يقن بالسي
 تفتيت بها إذ ك
 ره الشكة أمثالي
 نقيم الماتم الأعلى
 على جهد واعوال
 كجيب الدفنس الورها
 ريعت بعد إجمال

وذكر السفاح التغلبي أنه أوقد النيران يوم حراز ليُعلم جيوش
معدّ -يقودهم كليب وائل بن ربيعة التغلبي - بقدوم جيوش مذحج
(الجزري، ٢٠١٠):

وليلة بت أوقد في حراز
هديت كتائبها متحيرات
ضلن من الشهاد ركن لولا
سهاد القوم أحسب هاديات

وقد يفتخرون أيضا بإنجازات أهل بكثير من الحروب والقتل. قال
امرؤ القيس الكندي مفتخرا بقطع واد خطر فيه ذئاب (التبريزي،
١٩٨٠):

زواد كجوف العبر قمر قطعتة
بسه الذئب يعوى كالخليع المغيل
وافتخر العربي في الجاهلية بالإنجازات المرتبطة بالكرم أيضا،
قال امرؤ القيس الكندي (التبريزي، ١٩٨٠):

ويوم عقرت للعذاري مطيتي
فيا عجباً من كورها المتحمل

فَظَلُّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا
وَشَحْمِ كَهْدَابِ الذَّمَقِصِ المَعْتَلِ
وقال لبید بن ربیعۃ العامری (القبریزی، ۲۰۱۰):

وَجَزُورُ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحْتَفِهَا
بِمَغَالِقِ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا
أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِسٍ أَوْ مَظْفَلٍ
بَذَلْتُ لَجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَافِهَا
فَالْخَبِيفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا
هَبَطَا تَدَالَةَ مَخْصِبَا أَضْطَامِهَا
تَأْوَى إِلَى الْأَطْنَابِ كُرْ رَذِيَّةٍ
مَثُرُ الْبَلِيَّةِ قَالَصُ أَهْدَامِهَا
وَيَكْلَلُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَافَحَتْ
خُلْجَا تَمُدُّ شَوَارِعَا أُيْتَامِهَا

تأثير الذكورة في علاقة الأفراد بالملوك والسادة

ولتتهدد الملوك والسادة. أو هجائهم. أو قتلهم. بأن آحر. فكما
ذكر في البعد الحاضر ببعد المسافة بين الأقل وأنا والأعلى أنا في

المجتمع، فإن المعتاد كان مدحهم، أو تجنبهم خوفاً من بطشهم، وفي تفحص القصص المخالفة للنسائد يتضح فيها عوامل مشتركة، فقد يكون الشخص نفسه تكرر له عدة قصص تشير إلى النديّة مع الملوك، مثل الحارث بن ظالم المرّي، وعمرو بن كلثوم التغلبيّ، وهما من الفتاكين، إلا أنهما استثنائيين، حيث كان الخوف والهرب من الملوك أو مدحهم أكثر بكثير من التعامل معهم بنديّة، وقد يكون المشترك القبيلة مثل طى وتغلب، وهذا سيتم مناقشته في الفصل الخاص ببعد الفرديّة، أما في هذا الفصل فسيتم استعراض القصص التي لها علاقة ببعد الذكورة.

قتل كليب التغلبيّ للبيد بن عنبسة الغسانيّ

في القصة الأولى وهي قصة قتل كليب وائل بن ربيعة التغلبيّ للبيد بن عنبسة الغسانيّ عامل ملك حمير، والتي ذكرها كليب في شعره، فقال (شيخو، ١٩٩١):

إِنْ يَكُنْ قَتَلْنَا الْمُلُوكَ خَطَاءً
أَوْ صَوَابًا فَقَدْ قَتَلْنَا لَبِيدًا
وَجَعَلْنَا مَعَ الْمُلُوكِ مُلُوكًا
بِحَيَادٍ جُرِدٍ تُقِلُّ الْحَدِيدَا

نُسْعِرُ الْحَرْبَ بِأَلَّذِي يَحْلِفُ النَّا
سُ بِهِ قَوْمُكُمْ وَنُذَكِّي الْوَقُودا
أَوْ تَرُدُّوْا لَنَا الْإِتَاوَةَ وَالْفِي
ءَ وَلَا نَجْعَلُ الْحُرُوبَ وَعَيْدا
إِنْ تَلْمِئْسِي عَجَائِزُ مِنْ نِزَارِ
فَأَرَانِسِي فِيمَا فَعَلْتُ مُجِيدَا

وبالتأمل في الأبيات السابقة نجد أن كليباً كان يدفع الإتاوة
والفيء، فبالتالي هو مسلم وخاضع للملك الحميري، ومتماشى ثقافياً
مع الدرجة السائدة من بعد المسافة، ولكن الذي حصل وتسبب بقتله
للبيد هو إهانة لبيد لأخت كليب الزهراء، واستنجاها بأهلها،
قالت الزهراء (شيخو، ١٩٩١):

ما كنت أحسبُ والحوادثُ جَمَّةً
أَنَا عَيْدُ الْحَيِّ مِنْ قَحْطِنِ
حَتَّى أَتَقْنِي مِنْ لَبِيدٍ لَطْمَةً
فَعَشَشْتُ لَهَا مِنْ وَقْعِهَا الْعَيْنَانِ
إِنْ تَرُضْ أَسْرَةً تَغْلِبُ ابْنَةَ وَائِلِ
تِلْكَ الدَّنِيَّةُ أَوْ بَنُو شَيْبَانِ

لا يترخّوا الدّهر الطّويل أذلةً

هدل الأعنة عند كلّ رهان

هنا اصطدمت درجة بعد المسافة عند كليب بدرجة بعد أخرى من أبعاد الثقافة، وهي درجة بعد الذّكورة، فالبعد الخاصّ ببعد المسافة مرتفع، فعلى كليب احترام الملك، وإظهار فرق المكانة بينهما، ولكنّ أخته أهيئت، وبعد الذّكورة عالٍ جدًّا أيضًا في المجتمع، فلم يكن القرار سهلاً، حتّى أنّ كليب نفسه لم يكن متأكّداً من صواب فعله، فكان قوله (شيخو، ١٩٩١):

إن يكن قتلنا الملوك خطأ

أو صواباً فقد قتلنا لبيدا

ولم يكن اللّوم داخلياً فقط، بل كان خارجياً أيضاً، إذ أشار كليب إلى أنّ هناك من لومه على قتله للملك، وقد يقصد عمه مرّة بن زهل البكرى في بعض التفسيرات، قال كليب في ذلك (شيخو، ١٩٩١):

إن تلمنى عجائز من نزار

فأرانى فيما فعلت مجيدا

قتل عمرو بن كلثوم التغلبي لعمر بن هند اللخمي

وقصة قتل عمرو بن كلثوم التغلبي لملك الحيرة عمرو بن المذر بن ماء السماء المعروف بعمر بن هند هي قصة مشابهة لقصة كليب في كل ظروفها، وهي قصة اصطدام بين بعدين ثقافيتين غلبت درجة أحدهما على الآخر، حيث غلبت درجة الذكورة على بعد المسافة، حاول الملك عمرو بن هند إهانة عمرو بن كلثوم بأن يجعل أم ابن كلثوم - وهي ليلى بنت المهمل التغلبي - تخدم أمه، قال عمرو بن كلثوم (الزوزني، ١٩٩٣):

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ
تَكُونُ لِقِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ
تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتُزْدَرِينَا
تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُؤَيْدَا
مَتَى كُنَّا لَأَمِّكَ مَقْتُونَا

فكان أن قتله عمرو بن كلثوم. وفي ذلك قال أفنون التغلبي (الجزري، ٢٠١٠):

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا

لتخدم ليلي أمه بموفقٍ
فقام ابنُ كلثومٍ إلى السيفِ مُصلِّتاً
وأمسك من ندمانه بالخنقِ

تهديد وهجاء عمرو بن كلثوم التغلبي للنعمان بن المنذر
اللخمي

ثم حدثت بعض المنازعات بين الملك النعمان بن المنذر - وهو ابن
أخ الملك عمرو بن هند - الذي هدّد عمرو بن كلثوم بالقتل، فكان أن
هجاه عمرو وهدّده، وسخر منه، قال عمرو (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ألا أبلغ النعمان غنى رسالة
فمجدك حولٌ وذمك قارحٌ
متى تلقني في ثقلبِ ابنةِ وائلٍ
وأشباعها ترقى إليك المسالِحُ

وقال أيضاً (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زُلعة
والأمتا خالاً وأعجزنا أبا

وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَنْفُخَ الْكَبِيرُ خَالَهُ
 يَصُوغُ الْقُرُوطَ وَالشُّنُوفَ يَيْثُرِبَا
 حَتَّى أَنَّهُ هَجَا سُلَيْمَى أُمَّ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ (الْأَصْفَهَانِي)،
 : (٢٠١٠)

خَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ قَرَتَا
 وَقَدْ تَكُونُ قَدِيمًا فِي بَنِي نَاجٍ
 إِذْ لَا تُرْجَى سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَهَا
 مَنْ بِالْخَوَرَنْقِ مِنْ قَيْنٍ وَنَسَاجٍ
 وَلَا يَكُونُ عَلَى أَبْوَابِهَا حَرَسٌ
 كَمَا تَلْفُفُ قِبْطِيٌّ بِدِيْبَاجٍ
 تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ
 مَشَى الْمُقَيْدِ فِي الْيَنْبُوتِ وَالْحَاجِ

إِسَاءَةُ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ الْمَرِيِّ لِحُجْوَارِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ اللَّخْمِيِّ

والحارث بن ظالم المري له شأن مشابه لما لكليب وائل ولعمرو
 ابن كلثوم، إلا أنه لم يذكر الشعر ما يثبت ولاء الحارث بن ظالم
 للملوك التي تحدّاها قبل حدوث الأمر الذي خلط الأبعاد الثقافية
 وأدى بشكل أو بآخر لتفضيل أحدهم على الآخر. كان الحارث بن
 ظالم سيّداً على غطفان، وكان أن قتل خالد بن جعفر بن كلاب سيّد

هوازن، وكان خالد في دار الملك الأسود بن المنذر ملك الحيرة، وفي الشعر ما يثبت أن خالد قد أتى بعدة أمور تستفز الدرجة العالية من الذكورة في المجتمع، وكذلك الفردية التي ستناقش في الفصل القادم، مما استدعى غضب الحارث، واتخاذ قرار قتل خالد، ومن هذه الأمور بكسر خالد بن جعفر خالات الحارث بن ظالم - هند والرباب وفرتني وليس - بما يسمى، فقال خالد (الأصفهاني، ٢٠١٠):

دارُ لهندي والرباب وفرتني

وليس قبل حوادث الأيام

ونذكر الحارث بن ظالم حادثة قتله لخالد بن جعفر في ديار ملك الحيرة، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ألا سائل النعمان إن كنت سائلا

وحى كلاب هل فتكت بخالد

عشوت عليه وابن جعدة دونه

وعروة يكل عمه غير راقب

وقد نصبا رجلا فباشرت جوزه

بكل كل مخشى الغداوة حارب

فَأَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ يَأْفُوخُ رَأْسَهُ
فَضَمَّ حَتَّى نَالَ نَوَاطِ الْقَلَائِدِ
وَأَقْلَعْتُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُ بُذْعَةً
وَعُرْوَةً مِنْ بَعْدِ ابْنِ جَعْدَةَ شَاهِدِي

قتل الحارث بن ظالم المزني لشرحبيل بن الأسود بن المنذر اللمخي

ثم هرب الحارث بن ظالم من الملك الأسود، فبدأ الأسود يطلب
الحارث لإسائته جواره، والحارث يختبئ ويلجأ إلى عدة أقوام،
إلى أن سبى الأسود جارات للحارث، فعادت قصة استفزاز درجة
الذكورة مرة أخرى في نفس الحارث، فمسؤولية حماية النساء هي
شأن ذكوري يُعثر به الرجل ويقل شأنه إذا تقاعس عنه، فكان أن
قتل الحارث بن ظالم شرحبيل بن الأسود بن المنذر ردًا منه على هذا
الاستفزاز، قال الحارث بن ظالم يذكر هذه الواقعة (الأصفهاني،
٢٠١٠):

قَفَا فَاسْمَعَا أَخْبِرَكُمَا إِذْ سَأَلْتُمَا
مُحَارِبُ مَوْلَاهُ وَشُكْلَانُ نَادِمُ

أُخْصِنِي حِمَارٍ بَاتَ يَكْدُمُ نَجْمَةً
أَتَوْكُلُ جَارَاتِي وَجَارُكَ سَالِمٌ
حَسِبْتُ أَيْتَ اللَّعْنِ أَنَّكَ فَائِتٌ
وَلَا تَذُقُ ثُكْلًا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ
فَإِنْ تَكُ أَنْوَادًا أَصْبَتْ وَنَسْوَةٌ
فَهَذَا ابْنُ سُلْمَى رَأْسُهُ مَتَفَاقِمٌ
عَلَوْتُ بِذِي الْحَيَاتِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ
وَكَانَ بِسَاحِي تَجْتَوِيهِ الْجَمَاجِمُ
فَتَكْتُ بِهِ كَمَا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ
وَلَا يَرْكَبُ الْمَكْرُوهَ إِلَّا الْأَكَارِمُ
بَدَأْتُ بِتِلْكَ وَانْتَشَيْتُ بِهِذِهِ
وَتَالِثَةٌ تَبِيضُ مِنْهَا الْمُقَابِمُ

عراك الحارث بن ظالم المروى مع عمرو بن الإطنابة الخزرجي

وقصة الحارث بن ظالم مع عمرو بن الإطنابة ملك الحجاز هي قصة تحدى، ومنافسة، إذ تلقى الحارث بن ظالم تهديدًا صريحًا بالقتل من عمرو، وذلك لقتله خالد بن جعفر، حيث أن خالد كان مصافيًا وصديقًا لعمرو، قال عمرو (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أبلغ الحارث بن ظالم الرَعْد
 ديدَ والنَّاذِرَ النُّذُورَ عَلَيَا
 أَنَّمَا يَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا يَقْدِرُ
 تَلُّ يُقْظَانِ ذَا سِلَاحٍ كَمِيَا
 وَمَعَى بَشَكَّتِي مُعَابِلُ كَالْجَدِ
 مَرُّ وَأَعْدَدْتُ صَارُمًا مُشْرِفِيَا
 لَوْ هَبَطْتُ الْبِلَادَ أَنْسَيْتُكَ الْقَتْلَ
 لَ كَمَا يُنْسِيءُ النَّسْيُ النَّسِيَا

فكان أن غضب الحارث، وذهب إلى عمرو، فاعتركا، وكاد
 الحارث أن يقتل عمرو، وحاول عمرو التنصل من القتال إلى أن عفى
 عنه الحارث، وقال الحارث في ذلك (الأصفهاني، ٢٠١٠):

بَلَعْتُنَا مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو
 فَأَنْفَقْنَا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيَا
 قَدْ هَمَمْنَا بِقَتْلِهِ إِذْ بَرَزْنَا
 وَلَقِينَاهُ ذَا بِلَاحٍ كَمِيَا
 غَيْرَ مَا نَأْتِمُ تَعَلُّلَ بِالْحُلَّةِ
 مَ مُعِيدًا بِكَفِّهِ مُشْرِفِيَا

فَمِنَّا عَلَيْهِ بَعْدُ عَلُوٌّ
بِوَفَاءٍ وَكَنْتُ قَدُمًا وَفِيًّا
وَرَجَعْنَا بِالصَّفْحِ عَنْهُ وَكَانَ الْـ
مَنْ مَعًا عَلَيْهِ بَعْدُ تَلِيًّا

والحارث بن ظالم، وعمرو بن كلثوم من الفتاكين، ولا تعمم ثقافة المجتمع بناءً على قصصهما، بل تُدرس من أغلب الناس، فتعميم سلوك عدد محدود من الأفراد على ثقافة المجتمع يُعتبر من أخطاء البحث العلمي، ولم يكن شأن أغلب الناس تهديد الملوك والسادة وقتلهم كما ذكر. ستنم الإشارة لقصص عمرو بن كلثوم، وكليب وائل بن ربيعة، وغيرها في الفصل الخاص ببعد الفردية أيضاً، وذلك لتوضيح أهمية بعد آخر من أبعاد الثقافة، والذي يسهم في اتخاذ قرار بتحدى السادة والملوك أيضاً.

قتل الأسود بن عباد الجديسي لعَمَلِيقِ الطسَمي

ومن القصص الأخرى قصة الشُّموس عفيرة بنت عباد مع عمليق ملك طَسَم وجديس، الذي أمر أن لا تزوج بكر من جديس حتى يأتيها قبل زوجها، إلى أن حُملت عفيرة إليه -وهي أخت الأسود بن عباد- فأتاها عمليق، ثم خلى سبيلها، فاستجدت الشُّموس بجديس، وفي شعرها إشارة أخرى للفرق الكبير في الأدوار بين

الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ. فَهِيَ تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ مَكْتَلَفٌ بِالْحِمَايَةِ. وَلَا يَحِقُّ
لَهُ الْإِفْتِخَارُ بِقُوَّتِهِ إِنْ لَمْ يَقُمْ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ. بَلْ يَصْبِحُ مِنَ اللَّائِقِ
لَهُ التَّزَيُّنُ وَالتَّطْيِيبُ، الَّذِي هُوَ مِنْ شُؤُونِ الْمَرْأَةِ. قَالَتْ الشَّامُوسُ
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ
وَأَنْتُمْ رَجَاءُ فَيْكُمْ غَدُ الْفُئُلِ
وَتُصْبِحُ تَمْشِي فِي الدَّمَاءِ عَفِيرَةً
جَهَارًا وَزُفْتُ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ
وَلَوْ أَنَّكَ كُنَّا رَجَالًا وَكُنْتُمْ
نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقِرُّ بِذَا الْفِعْلِ
فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ
وَدَبُّوا النَّارَ الْحَرْبَ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ
وَالَا فَخَلُّوا بَطْنَهَا وَتَحَمَّلُوا
إِلَى بَلَدٍ قَعْرٍ وَمُوتُوا مِنَ الْهَزْلِ
فَلْيَبِينُ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى أَدَى
وَلْيَمُوتْ حَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى الذَّلِّ

وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
 فكونوا نساء لا تُعَابُ مِنَ الْكُحْلِ
 وِدُونَكُمْ طَيْبُ الْعُرُوسِ فَإِنَّمَا
 خُلِقْتُمْ لِأَثْوَابِ الْعُرُوسِ وَلِلْغُسْلِ
 فَبُعْدًا وَسُخْقًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا
 وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مَشْيَةَ الْفَحْلِ

من الواضح من القصة أن طسم وجديس سلّمت لأمر الملك قبل
 حادثة الشّمس، بالرغم أنه أمر مهين، إلى أن فاق الأمر احتمالها،
 وكانت الشرارة متعلقة بالشّمس، التي يستوجب ارتفاع درجة
 بعد الذكورة حمايتها من الرجال، فكان أن قتل الأسود بن عباد
 أخوها الملك عمليق، وقل الأسود في ذلك (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نَوْقِي بِيغْيِكَ يَا طَسْمُ مَجْلَلَةٌ
 فَقَدْ أَتَيْتَ لَعْمَرِي أَعْجَبَ الْعَجَبِ
 إِنَّا أَبِينَا فَلَمْ نَنْفِكَ نَقْتُلْهُمْ
 وَالْبَغْيُ هَيْحَ مِنَّا سَوْرَةَ الْغَضَبِ
 وَلَنْ يَعُودَ عَلَيْنَا بِغْيُهُمْ أَبَدًا
 وَلَنْ يَكُونُوا كَذِي أَنْفٍ وَلَا ذَنْبِ

وإن رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤَكَّدَةً
كُنَّا الْأَقَارِبَ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّسَبِ

الفخر بالنفس ووصفها

وافتخر العربي في الجاهلية بنفسه كثيراً، ووصف نفسه
بصفات القوة، والعزة، وشدة البأس، والكرم. قال حاتم الطائي
واصعاً نفسه (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وإني لو هَابَ قُطُوعِي وناقَتِي
إذا ما انتشيتُ والكميتُ المصدرا
وإني كأشلاء اللّجّام ولَنْ تَرَى
أخَا الْحَرْبِ إِلَّا سَاهَمَ الْوَجْهَ اغْتَبَرَا
أخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضُّهَا
وإن شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرَا
ووصف سعية بن غريض الحارثي نفسه، فقال (الأصفهاني،
٢٠١٠):

إن تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَابِرَا
وَالْعِلْمُ قَدْ يَكْفِي لَدَى السَّائِلِ

يُنَبِّيكِ مَنْ كَانَ بِنَا عَالِمًا
عَنَّا وَمَا الْعَالَمُ كَالْجَاهِلِ
أَنَا إِذَا حَارَتْ دَوَابِي الْهَوَى
وَأَنْصَتُ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
وَأَعْتَلَجُ الْقَوْمُ بِالْبَابِهِمْ
فِي الْمَطْبِقِ الْمَاصِلِ وَالنَّائِلِ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا
نَلْظُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا
فَتُخْمَلَ الذَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

ووصف عنتره بن شداد العبسي نفسه، فقال (العبسي، ٢٠٠٤):

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنَصِبًا
شَطْرِي وَأَحْمَى سَائِرِي بِالْمَنْصِلِ
إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُو
أَشَدُّ وَإِنْ يُلْفُوا بِضَنْكِ أَنْزِلِ

حين النُزولُ يكونُ غايةً مثَلنا
 وَيَفِرُّ كُلُّ مُضَلِّلٍ مُسْتَوهِلٍ
 وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوْى وَأَظْلُهُ
 حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَآكِلِ
 وَإِذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَا حَظَّتْ
 أَلْفِيَّتُ خَيْرًا مِنْ مَعَمٍ مُخَوِّلِ
 وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنْتَنِي
 فَرَّقْتُ جَمْعَهُمْ بِطَعْنَةٍ فَيَضِلُ
 إِذْ لَا أَبَادِرُ فِي المَصِيقِ فَوَارِسِي
 وَلَا أُوَكِّلُ بِالرَّعِي——لِ الأَوَّلِ
 وَلَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ رَايَةٍ غَالِبِ
 يَوْمَ الهَيَاجِ وَمَا غَدَوْتُ بِأَعَزَلِ

وقال أيضاً (العبيسي، ٢٠٠٤):

لَا أَمْلِكُ السِّيفَ إِلَّا قَدْ ضَرَبْتُ بِهِ
 وَلَا تَمُوتُ جِيَادِي وَهِيَ أَعْمَارُ
 وَلَا أُغَوِّدُ مُهْرِي أَنْ أَوْقَفَهُ
 وَسَطَ الكُفَاةِ وَلَا يَشْقَى بِنَا الجَارُ

وقال طرفة بن العبد البكري يذكر كرمه (التبريزي، ٢٠١٠):

ولستُ بحلالِ التَّلَاعِ مخافةً
ولكنْ متى يسترفِدِ القومُ أرفِدِ
فإنْ تبغني في حلقةِ القومِ تلقني
وإنْ تلتبسني في الحوانيتِ تصطبِ
متى تأتني أصبحتُ كأساً رويةً
وإنْ كنتَ عنها ذا غنى فاغنْ وارْدِدِ

ووصف بشامة بن الغدير المزي نعه بالكرم، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ألا ترينَ وقدْ قطعَني قطعاً
ماذا من القوتِ بينَ البخلِ والجودِ
إلا يكنْ ورقٌ يوماً أراحَ بهِ
للخابطينَ فإني لينُ العودِ

المبالغة في وصف النفس

بل ويبالغ العربي في الجاهلية في وصف نفسه كثيراً، حتى يتجاوز حدود المنطق بتشبيهاته، ووصف قدراته. وصف عنقرة بن شداد نفسه فقال (الهاشمي، ١٩٦٩):

خلقتُ من الحديد أشدَّ قلباً
 وقد بلى الحديدُ وما بليتُ
 وإنِّي قد شربتُ دمَ الأعادي
 بأقحافِ الرؤوسِ وما زويتُ
 وفي الحربِ العوانَ ولدتُ طفلاً
 ومن لبنِ الماعِصِ قد نُقيتُ
 فما للرمحِ في جسمي نصيبُ
 ولا للسيفِ في أعضائي قوتُ
 ولي بيتُ علا قلبك الثريا
 تخرُّ لعظمِ هيبتِهِ البيوتُ

وقال أيضاً (الهاشمي، ١٩٦٩):

وفي يومِ المصانعِ قد تركنا
 لنا بفعالنا خبراً مشاعاً
 أقمنا بالذوابِلِ سُوقَ حربٍ
 وصيرنا النفوسَ لها متاعاً

حصانسي كان دلال المنايا
 فخاض غمارها وشرى وباعا
 وسيفي كان في الهيجا طبيباً
 يداوي رأس من يشكو الصدا
 أنا العبد الذي خبرت عنه
 وقد عاينتني فدع السما
 ولو أرسلت رُمحي مع جبان
 لكان بهيبتني يلقي السباعا
 ملأت الأرض خوفاً من حسامي
 وخصمي لم يجد فيها اتساعا
 إذا الأبطال فرّت خوفاً بأسى
 ترى الأقطار باعاً أو ذراعاً

دراسات سابقة عن الحماسة

قال ضيف (٢٠٠٨) إن الحماسة كانت الغرض الأكثر انتشاراً
 بين أغراض الشعر المختلفة في الجاهلية، وأن الشعراء كثيراً
 ما ذكروا إنجازاتهم الحربية، وانتصاراتهم، وأمجاد قبائلهم،
 وشجاعتهم، وكرمهم، وإغاثتهم للملهوف، وعفتهم، وعدم
 خوفهم من الموت، ومناقبهم، ومآثرهم، وانطوت هذه الحماسة

على الحقد على الأعداء، ومن ثم هجاءهم، وتهديدهم، وكثرة التعرّض لهذا الغرض من الشّعْر حذت بحفظة شعرهم مثل أبي تمام بتسمية مجموعته الشعرية بـ «الحماسة»، كما أكد الهاشمي (١٩٦٩) على أنّ العرب في الجاهلية كثيراً ما تمدّحوا بالروءة، والشجاعة، والكرم، وقد ذكر على (١٩٩٣) أن البدو في الجاهلية كانوا على شيء كبير من العنجهية والكبر والغلظة والجفاء، وأنّهم فخورون بأنفسهم ومتباهون بها، وأنّ في مدحهم لأنفسهم مبالغة كبيرة.

وصف الأدوات الحربية

ولم يكتفِ العربي في الجاهلية بوصف نفسه بالقوّة، بل أطال في وصف الأدوات التي تعينه على إظهار هذه القوّة، والانتصار على منافسيه، فوصف العربي الخيل، والسيف، والرّمح، والدّرْع، وغيرها. قال عنقرة العبسي ذاكراً الأدوار التي يقوم بها فرسه في حروبه (العبسي، ٢٠٠٤):

جَزَى اللهُ الْأَغْرَ جَزَاءَ صِدْقٍ
إِذَا مَا أَوْقَدَتْ نَارُ الْحُرُوبِ
يَقِينِي بِالْجَبِينِ وَمَنْكِبِيهِ
وَأَنْصُرُهُ بِمُطَرِّدِ الْكُعُوبِ

وَأُدْفِنُهُ إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا
بَلِيلًا خَرَجْنَا يَمَدَ الْجَنُوبِ
أَرَاهُ أَهْلَ ذَلِكَ حِينَ يَسْعَى
رُعَاءُ الْحَيِّ فِي ظَلَبِ الْحُلُوبِ
فِيُخَفِقُ تَارَةً وَيُفِيدُ أُخْرَى
وَيَفْجَعُ ذَا الضَّغَائِنِ بِالْأَرِيْبِ
إِذَا سَمِنَ الْأَغْرُ دَنَا لِقَاءُ
يُقَصِّرُ الشَّيْخُ بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ
شَدِيدُ مَجَالِزِ الْكَتْفَيْنِ نَهْدُ
بِهِ أَثَرُ الْأَبْنَةِ كَالْعُلُوبِ
وَأَكْرِهُهُ عَلَى الْأَبْطَالِ حَتَّى
يُرى كَالْأَرْجَوَانِيِّ الْمَجُوبِ
أَلَسْتُ بِصَاحِبِي يَوْمَ التَّقِينَا
بِسَيْفِ وَصَاحِبِي يَوْمَ الْكَثِيبِ

وقال امرؤ القيس الكندي يصف خيله (الكندي، ٢٠٠٤):

وقد أَعْتَدَى قَبْلَ الشَّرْعِ بِسَابِحٍ
 أَقْبَبَ كَيْعْفُورِ الْفَلَاةِ مَجْنَبِ
 بَذَى مَيْعَةٍ كَأَنَّ أَدْنَى سِقَاطِهِ
 وَتَقْرِيْبِهِ هَوْنًا دَالِيْلُ ثَعْلَبِ
 عَظِيْمٍ طَوِيْلٍ مَطْمَئِنٍّ كَأَنَّهُ
 بِأَسْفَلِ ذِي مَآوَانٍ سَرْحَةُ مَرْقَبِ
 يُبَارِي الْخُنُوفَ الْمُسْتَقْلَ زَمَاعُهُ
 تَرَى شَخْصَهُ كَأَنَّهُ عَوْدٌ مُشْجَبِ
 لَهُ أَيْطَلَا طَبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ
 وَضَهْوَةٌ غَيْرُ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبِ
 كَثِيرٌ سَوَابِ اللَّحْمِ مَا دَامَ بَادِنًا
 وَفِي الضُّمْرِ مَمْشُوقُ الْقَوَائِمِ شَوَذِبِ
 لَهُ جُوجُؤُ خَشَرُكَ كَأَنَّ لِحَامَهُ
 يُعَالِي بِهِ فِي رَأْسِ جَذَعٍ مُشْدَبِ
 وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ وَمَحْجَرِ
 إِلَى سَنْدٍ مَثَلِ الصَّفِيْحِ الْمَنْصَبِ
 وَيَخْطُو عَلَى صُمٍّ صَلَابٍ كَأَنَّهَُا
 حَجَارَةٌ غِيْلٍ وَارِسَاتٍ بِطَحْلَبِ

لَهُ كَفْلٌ كَالدَّعْمِ لِبَدِّهِ النَّدَى
إِلَى حَارِكٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمَذَابِ
وَمُسْتَعْلِكُ الذُّفْرِى كَأَنَّ عِنَانَهُ
وَمُثَنَاتِهِ فِي رَأْسِ جَذَعٍ مُشَذَّبِ
وَأَسْحَمُ رِيَانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ
عَثَاقِيلُ قَنُوءٍ مِنْ سُمِيحَةٍ مَرطَبِ
وَبَهْوٍ هَوَاءٍ تَحْتَ صُلْبٍ كَأَنَّهُ
مِنْ الْهَضْبَةِ الْخَلْقَاءِ زُحْلُوقٍ مَلْعَبِ
يُدِيرُ قِطْعَةً كَالْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ
إِلَى سِنْدٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمَذَابِ
إِذَا مَا جَرَى شَاوِينَ وَابْتَلَّ عَطْفُهُ
تَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ

وقال أيضا (الكندى، ٢٠٠٤):

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
بِمُنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مَكْرٌ مَقَرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا
كَجُلْمُودٍ صَخَرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَرِ

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ
كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنَزَّلِ
مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى
أَثَرَنَ غِبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
عَلَى الْعَقَبِ جِيَّاشَ كَأَنَّهُتْزَامُهُ
إِذَا جَشَّ فِيهِ حَمِيهُ غَلِيٌّ مَرَجَلِ
يَطِيرُ الْغَلَامُ الْخَفُّ عَنْ صَهْوَاتِهِ
وَيُلَوَّى بِأَثْوَابِ الْعَنِيْقِ الْمُثْقَلِ
ذَرِيرٌ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ
تَقَلُّبٌ كَفَيْهِ بِحَيْطٍ مُوَصَّلِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبِيٍّ وَسَاقٍ نَعَامَةٍ
وَارْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقَرِيبُ تَقْفَلِ
ضَلِيعُ إِذَا مَا اسْتَدْبَرَتْهُ سُدُفْرَجُهُ
بِضَافٍ فُؤَيْقِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ
كَأَنَّ سِرَاتَهُ لَدَى الْبَيْتِ قَائِمًا
مَذَاكَ غُرُوسٍ أَوْ ضَلَايَةِ حَنْظَلِ

وقال علقمة الفحل التميمي يصف فرسه (الكندي، ٢٠٠٤):

وقد أعتدى والطيرُ في وكباتها
 وماء الندى يجرى على كل مذبذب
 بمنجرب قيد الأبواب لآحه
 طراد الهوادي كل شأو مغرب
 بفوج لبانه يتم بريمه
 على نفث راق خشية العين مجلب
 كميت كلون الأرخوان نشرته
 لبيع الرواء في الصوان المكعب
 ممر كنعبد الأنذري يزينه
 مع العتق خلق مفعم غير جانب
 له حرتان تعرف العتق فيهما
 كسامعتي مذعورة وسط زبرب
 وجوف هواء تحت متن كأنه
 من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

وقال أوس بن حجر المازني يصف سيفه (الدينوري، ١٩٥٨):

كأن مدب الثمل يتبع الربي
 ومذرج ذر خاف يرذا فأسهلا

على صفحتيه بعد حين جلالة

كفى بالدى ابللى وأنعت منصلا

ووصف عدى بن وادع الأزدي سيفه فقال (البيداري، ١٩٩٩):

سيف ابن نشوان بكفى وقد

سقاؤه شهرا مدوس الصيقل

أخضر ذو زرّين يسقى بما

ما فإذا أرسف لم ينخل

أحمى به فرج سلوقيّة

كالشمس تغشى طرف الأنمل

ووصف امرؤ القيس الكندي رمحہ فقال (الكندي، ٢٠٠٤):

جمعت ردينيّا كأنّ بِنانه

سنا لهب لم تتصل بدخان

وتفاخر ابن زيابة التيمي بتمكّنه من استخدام الرمح والدرع،

فقال (الطائي، ١٩٩٨):

الرمح لا أملا كفى به

واللبد لا أتبع تزواله

أدوار النساء في الحروب

يظهر الشعر الجاهلي أنواراً مختلفة للنساء من الرجال في الحروب، فالرجال يقاتلون، ويحمون نساء قبيلتهم. قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي (الطائي، ١٩٩٨).

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءً

يُحْمِضْنَ بِالْقِسَاءِ شُءًا

وَبَدَتْ لِيَمْرُ كَاتِمًا

بَذَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى

وَبَدَتْ مَحَلِّمَهَا الْقِي

تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا

نَارِلَتْ كَيْسِيَّ وَلَمْ

أَرَمَنَّ نَزَالَ الْكَيْسِيَّ بُدًّا

وقال عمرو بن كلثوم القلبي (التبريزي، ١٩٨٠):

عَلَى آثَارِنَا بِهِمْ جِرَامٌ

نُحَادِرُ أَنْ تُفَارِقَ أَوْ تَهْوِبَ

وَالْفَرْعُ لَا أَنْفَى بِهِمَا نَثْرَةٌ

كُلُّ أَفْرَى مُنْتَوِدِعٌ مَالَهُ

وهذه الأدوات الحربية هي رعيذ لصاحبيها، وإضافة لقوته، وإعانة له للوصول إلى الانتصار المذكور الذي يشغل باله في مهمة خصبة من المفاسد، فيصنعها ليرهب بها عدوه.

قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي يعلل جاهليته لنواب الرمي ويعد أسلحته التي حضرها لها (الطائي، ١٩٩٨):

أَعْدَيْتُ لِلْحَدَثَانِ نَا

بَغَةً وَعَذَاءً عَلَنِي

هَذَا وَذَا شَطَبٌ يَقْدُ

الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ قَنَا

دراسات سابقة عن وصف الأدوات الحربية

أكد السعدي وخلاوي (٢٠١٧) أن الشاعر الجاهلي كان يذكر عدة الحرب مثل السيوف والرمح والقي والخيول لتهديد أعداءه، وذكرت أبو الرب (٢٠٠٦) أهمية الأسلحة - مثل السهم، والرمح، والدرع - والخيول في حماية الأفراد والقبائل.

ظُعَانٍ مِنْ بَنَى جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ
 خَلَطْنَا بِمَيْتَسَمِ حَسَبًا وَدِينًا
 أَخَذْنَا عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا
 إِذَا لَاقُوا فَوَارِسَ مُعَلِّمِينَا
 لَيْسَتِلَهُنَّ أَبْدَانًا وَبَيْضًا
 وَأَشْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا
 إِذَا مَا رُحْنَ يَمْشِينَ الْهُوِينَا
 كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا
 يَقْتَنُ جِيَادَنَا وَيَقْلُنْ لِسْتُمْ
 بُعُولَتُنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا
 إِذَا لَمْ نَحْمِهِنَّ فَلَا بَقِينَا
 لَشَيْءٍ يَغْدُهُنَّ وَلَا خَبِينَا
 وَمَا مَنَعَ الظَّعَانِ مِثْلُ ضَرْبِ
 تَرَى مِنْهُ السُّوَاعِدُ كَالْقُلَيْفَا

وإذا ما مات سيد من سادات القبيلة، فإنه يُخشى على حماية نساء
 القبيلة من بعده. قال عنقرة بن شداد العبسي يرثي مالك بن زهير
 العبسي، ويستذكر حمايته معه لنساء عبس (الجزري، ٢٠١٠):

لقد جلبنا جلباً لمصرع مالك
 وكان كريماً ماجداً لهجان
 وكان إذا كان يوم كريمة
 فقد علموا أنى وهو فتيان
 وكنا لدى الهيجاء نحمى نساءنا
 ونضرب عند الكرب كل بنان
 وقال الربيع بن زياد العبسي يرثى مالك بن زهير (الأصفهاني):
 (٢٠١٠):

نام الخليلي وما أغمض حار
 من سييء النبأ الجليل الشاري
 من مثله تمبسي النساء حواشراً
 وتقوم مقولة مع الأسحار
 من كان مسروراً بمقتل مالك
 فليأت بسوتنا بوجه نهار
 يجد النساء حواشراً يندبنه
 يبكين قبل تبلج الأسحار

قَدْ كُنَّ يَخْبِيَانِ الْوُجُوهَ تَسْتُرًا
 فَالْيَوْمَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ
 يَخْمِشْنَ حُرَّاتِ الْوُجُوهِ عَلَى أَمْرِي
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَيِّبُ الْأَخْبَارِ
 أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ
 تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
 وَقَالَ الْمَهْلَهْلُ بْنُ رَبِيعَةَ يَصِفُ حَالَ نِسَاءٍ تَغْلِبُ بَعْدَ مَقْتَلِ كَلِيبِ
 وَائِلُ بْنُ رَبِيعَةَ (الجزري، ٢٠١٠):
 كُنَّا نَغَارُ عَلَى الْعَوَاقِبِ أَنْ تُرَى
 بِالْأَمْسِ خَارِجَةً عَنِ الْأَوْطَانِ
 فَخَرَجْنَ حِينَ تَوَى كَلِيبٌ حُسْرًا
 مَسْتَيَقْنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَوَانِ
 فَتَرَى الْكَوَاعِبَ كَالظُّبَاءِ عَوَاطِلًا
 إِذْ حَسَانَ مَصْرُعِهِ مِنَ الْأَكْفَانِ
 يَخْمِشْنَ مِنْ أَيْدِي الْوُجُوهِ حَوَاسِرًا
 مِنْ بَعْدِهِ وَيَعْدُنَ بِالْأَزْمَانِ

متسليات نكدهن وقد وري

أجوافهن بحرقه ووراني

وحماية النساء أمر مهم ويؤخذ بالحسبان عند التفكير بالوقائع
والحروب. قال لقيط بن يعمر الإيسادي يحذر إباد من كسرى
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرة

على نسائكم كسرى وما جمعنا

وكان الرجال يفتخرون بالنسب في الحروب، فهو دليل على
قوتهم مقارنة برجال القبيلة المنافسة، والذين عجزوا عن حماية
نسائهم منهم. قال الأفوه الأودي مفتخرًا على بني عامر (الأصفهاني،
٢٠١٠):

نقاتل أقوامًا فنسبى نساءهم

ولم ير ذو عز لنسوتنا جلا

نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى

لقوم علينا في مكارمة فضلا

وإننا بطاء المشي عند نسائنا

كما قيئت بالصيف نجدية بزلا

نَظْلُ غِيَارِي عِنْدَ كُلِّ سَتِيرَةٍ

نُقَلَّبُ جَيِّدًا وَاضِحًا وَشَوَى عَبْلًا

وكانت القبيلة التي لم تستطع حماية نساءها تعير بذلك،
وتُوسم بالضعف والهوان والعار. قارن عروة بن الورد العبسي بين
سبي عبس لثيلي بنت شعواء العامرية لمدة طويلة، وسبي بني عامر
أسماء العبسية لفترة وجيزة، قبل أن ينقذها قومها، وافتخر على
بني عامر بذلك، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

إِنْ تَأْخُذُوا أَسْمَاءَ مَوْقِفَ سَاعَةٍ

فَمَا خُذْ لَيْلِي وَهِيَ عِذْرَاءُ أَعْجَبُ

لبسنا زمانًا حسنًا وشبابها

ورُدَّتْ إِلَى شِعْوَاءَ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ

كما أخذنا حسنًا كرها ودمعها

غداة اللوى معصوبةً يتضَيَّبُ

وقال زهير بن جناب الكلبي معيرًا تغلب بسببه نساءهم
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

تَبًّا لِقَلْبٍ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ

سَوَّقَ الْإِمَاءَ إِلَى الْمَوَاسِمِ عَطَلًا

وقال أيضًا في ذلك (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وسَيِّئنا من تَغْلِب كلَّ بَيْضا

ء رُقُوب الضُّحى بِرُود الرُّضابِ

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي يفتخر بإحدى معارك قومه

(الأصفهاني، ٢٠١٠):

وأوانِس مثلِ الثَّمِى

حُورِ العيونِ قد استَبينا

وإذا ردَّ السابي سبائاه لقبيلتهنَّ، فهي معايرة أخرى لرجال

القبيلة. ذكر زهير بن جناب غزوه غطفان، وسبى نساء منهم، ثمَّ

ردَّ السبايا لهم، ومنَّته عليهم بذلك، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ولم تُصِبر لنا غُطفانُ لما

تلاقينا وأحرزت النساءُ

فلولا الفضلُ منا ما رجعتن

إلى عذراءٍ شيمتها الحياءُ

دراسات سابقة عن أدوار النساء في الحروب

وقد أكَّد عدَّة باحثين وقوع مسؤولية حماية نساء القبيلة من

النسبى على رجالها، وأن سبى النساء يجلب العار والسبة (طقوش، ٢٠٠٩؛ ضيف، ٢٠٠٨؛ أبو الرب، ٢٠٠٦). وأشار الحوفى (١٩٦٣) إلى أكثر من هذه الأدوار المذكورة للنساء فى الحرب فى الجاهلية، فرأى أن من النساء من حاربن، ومنهن من قادت جيوشاً عربية، ومن أدت دوراً جاسوسياً، أو حماسياً. ولكن الحوفى (١٩٦٣) عدّ فئة قليلة لا تظهر أمام أعداد الرجال التى تقوم بهذه الأدوار، فمثلاً ذكر أربع نساء قادت جيوشاً فى الجاهلية والفترة الأولى من الإسلام فقط. ولكن لا يصح استنتاج أن النساء كن يقدن الجيوش بناءً على هذا العدد الضئيل مقارنةً بعشرات الآلاف من القادة الرجال، بل الأصح القول بأنهن استثناء لا يُذكر، والاستثناء أمر طبيعى، وجزء من أى قاعدة، فليس من المعقول أن لا تظهر امرأة تقود جيشاً فى فترة أكثر من ١٥٠ عام وفى هذا العدد الكبير من القبائل.

الفردية

تعريف بنعد الفردية

يعيش الأفراد ضمن مجموعات أكبر، ولا يعيشون فرادى، وينشؤون في إطار هذه المجموعات علاقات مع أفرادها الآخرين، ولكل مجموعة تأثير معين بقوة ما على أفرادها، قوة تأثير الفرد ضمن مجموعته تشير إلى ارتفاع درجة الفردية، وتطغى فيها الاهتمامات الفردية، ومصلحة الفرد على اهتمامات المجموعة ومصالحها، والدرجة المنخفضة جداً من الفردية تُسمى الجماعية، وتشير إلى قوة تأثير المجموعة على أدوار الفرد، وتطغى فيها مصلحة المجموعة واهتماماتها على مصلحة الفرد واهتماماته.

الدرجة العالية من الفردية تجعل الروابط بين الأشخاص في المجموعة ضعيفة، والأفكار والقيم متباينة، حيث يختلف فكر الأفراد عن بعضهم بشكل كبير، بسبب حرية اختيار الفكر وأسلوب الحياة للجميع، أما الدرجة العالية من الجماعية فتفرض على أفراد المجموعة طريقة تفكير واحدة، وعادات وتقاليد متبعة من الجميع، ولا تسمح بأية فكرة جديدة لدى الأفراد.

فبالتالي يمكن تعريف الفردية على أنها السماح العالي للأفراد داخل المجموعة الواحدة باختلاف الفكري، أما الجماعية فهي المدى العالي من الولاء الفكري، والتشابه بين الأفراد في المجموعة الأكبر.

تأثير الفردية في الأسرة

ولدرجة الفردية - مثل باقى الأبعاد الثقافية الأخرى - تأثيرات على كل مؤسسات المجتمع، وأولها الأسرة، إذ تختلف علاقة الأفراد ببعضهم البعض فى الأسر الفردية عن الأسر الجماعية. فى الأسر الجماعية يعيش الأقارب فى مجموعات كبيرة معاً، أو قريبين من بعضهم البعض جغرافياً، وغالباً ما تكون الأسر ممتدة، ومكونة من الأب، والأم، والأبناء، والأجداد، وأحياناً الأعمام والعَمَّات، ويعيشون معاً طوال حياتهم، والسبب فى كون الأسر ممتدة ومتميزة بعلاقة طويلة الأمد هو الولاء المطلق لها من قبل أفرادها.

يفكر الأبناء بنفسهم كجزء من المجموعة، ويظنّون فكر «نحن» على فكر «أنا»، حيث يفكر الأبناء بعقلية الأسرة، وقوانينها، وعاداتها، ويجب أن يتناغم تفكيرهم ويتناسق مع الأهل، فلا توجد آراء شخصية، فالآراء محدّدة مسبقاً، ويعتبر إظهار أى رأى مخالف تحدياً ومواجهة مرفوضة، ويُصنّف صاحبه بأنّ له شخصية سيئة، ويُنظر له نظرة المعاقب على عدم احترامه القوانين الأسرية غير المكتوبة، وظهور رأى جديد مخالف لما ألفته الأسرة قد يستوجب اجتماعاً عائلياً لمناقشته والتصدى له، وهذا مهم لتنمية حسّ الولاء عند الأبناء، فعلاقتهم بالأهل علاقة تستمر

العمر بأكمله، إذ يعيش الأبناء في منزل الأهل أو في منطقة قريبة منهم حتى بعد زواجهم، ويستمرّ الولاء في الطقوس، والأعياد، والاحتفالات، والمناسبات.

يتدخّل الأهل في كلّ القرارات المصيريّة التي تخصّ الأبناء، مثل الزواج، والعمل، بل ويعتبر رأيهم أهمّ من رأي الفرد صاحب الشأن نفسه، فالزواج مثلاً شأن عائليّ تلتقى فيه أسرتا الزوجين، وليس الزوجان فقط، ممّا يستوجب تكافؤ الأسرتين اجتماعياً أو اقتصادياً، وقد يُرفض زواج ما لعدم حصول هذا التّكافؤ، أو قد تدفع العصيّة والولاء للأسرة الأكبر - مثل القبيلة - بقرار زواج أفرادها لأن يكون داخليّاً فقط، بمعنى أن يكون العروسان من نفس العائلة. تعطى هذه العلاقة طويلة المدى أطرافها إحساساً بالأمان النّفسي والمادّي، فالأهل مثلاً يساعدون ابنهم على مصاريف الدّراسة، فيكبر الابن ويجد وظيفة، ثمّ يساعد أهله مادياً، ويساعد الأفراد العاملون الأفراد الذين في مرحلة الدّراسة، أو الباحثين عن العمل، وتمتدّ العلاقات والاهتمامات والدّعم لتشمل الأشخاص الذين يتعاملون كثيراً مع العائلة، مثل الأصدقاء.

أمّا الابن الذي يكسر قواعد وعادات المجموعة، فيُوصم بالعار، ويلحقه الخزي أحياناً إذا كان الموضوع يتطرق لقيم أخلاقيّة معيّنة، والخزي والعار أحاسيس خارجيّة تنتج من معرفة الأقارب بالأمر الذي حصل، وتأثير معرفتهم على هذا الإحساس، وهذا التأثير

يزداد قوة كلما ازدادت درجة الجماعية، ويستمد هذا التأثير قوته من درجات الخصوصية المنخفضة التي تتسم بها هذه الأسر، حيث ليس هناك ما يعرف بشأن خاص، فالشأن لا بد أن يكون عامًا، لذلك تُناقش الأمور الخاصة بالأفراد بشكل جماعي، وينتشر الحديث في شؤون الآخرين كثيرًا.

على الطرف الآخر من المقياس هناك الأسر عالية الفردية، وفيها يعيش الأبناء الصغار مع أبيهم، وأمهم فقط، أما الأبناء الكبار فيعيشون حياة مستقلة، حتى قبل زواجهم وتأسيس أسرهم الخاصة بهم، إذ يغادر الابن منزل الأبوين فور استقلاليته المادية، واستطاعته الاعتماد على نفسه، فتبقى الأسر صغيرة، وولاء أفرادها لها قليل، فنادرًا ما يزور الأقارب بعضهم، وحتى علاقة الأبناء بالأبوين قد لا تستمر كثيرًا بعد مغادرة الأبناء منازل آبائهم، فتقل أو تنتهي نفسيًا وماديًا.

في هذا النوع من الأسر يتعلم الأبناء أن يكون لهم آراؤهم الشخصية، فلا تغطي شخصية الأسرة على شخصية الأبناء، بل العكس هو الصحيح، فيطغى فكر «أنا» على فكر «نحن»، ويفكر الأبناء بنفسهم كجزء مستقل، وليس بالضرورة أن يتناغم تفكير الأبناء مع عادات وطقوس معينة يمارسها أحد أفراد الأسرة، بل إن الابن الذي تشبه آراؤه آراء الآخرين يتم تصنيفه على أنه شخصية ضعيفة ومقلدة، إذ يجب أن تكون له آرائه وطرقه المختلفة، حيث

أن اختلاف الآراء يُعدّ أمراً صحيحاً.

يجعل عدم ولاء الأبناء لأهلهم الأسرة مصدرًا غير فعال للحساس بالأمان النفسى والمادى، فالابن يعمل ويعول نفسه مبكرًا، ويخرج من الإطار المادى والنفسى والفكرى للأسرة، أما الأهل فلا ينتظرون مساعدة ابنهم مستقبلاً. ولا يتدخل الأهل فى القرارات التى تخص الأبناء مثل الزواج والعمل أبداً، فهى شؤون شخصية لصاحبها، فلزواج مثلاً قد يتم إذا تكافأ الزوجان علمياً أو فكرياً بعيداً عن الوضع الاجتماعى أو الاقتصادى لأسرة أحدهما.

الابن الذى يخالف القوانين الخاصة بالأسرة يوصم بالذنب، وليس العار، والفرق بين الذنب والعار هو أن الذنب شعور داخلى، وليس لأطراف خارجية دور فى تكوينه، أما العار فهو شعور خارجى ينشأ من نظرة المجتمع، وذلك لأن الخصوصية مهمة ومحفوظة فى هذه الأسر، فلا يتحدث الأفراد فى شؤون الآخرين، ولا يتناقلون أخبارهم، لأنهم لا يعتقدون أنها من شأنهم.

الأسرة العربية الجاهلية على مقياس الفردية

العيش في مناطق جغرافية متقاربة

القراءة المتعمقة في الشَّعر الجاهلي تعطي إشارات واضحة على ارتفاع درجة الجماعة في الأسرة في ذلك العصر، حيث كانت الأسر ممتدة، يعيش أفرادها في مناطق جغرافية متقاربة، وكانت تشمل أكثر من الأب، والأم، فتتمتد إلى الأعمام، والعَمَّات، وكانت العشيرة كلها، وأحياناً القبيلة، تعيش في منطقة جغرافية واحدة. تحدث ذو الإصبع العدوانى عن قومه، وأشار إلى سكنهم معاً بكلمة الحى، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوِّ
نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَلَمْ يُبْقِئُوا عَلَى بَعْضِ
فَقَدْ صَارُوا أَحَادِيثًا
بَرَفَعَ الْقَوْلَ وَالْخَفَضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ
تُ وَالْمُؤَفُّونَ بِالْقَرْضِ

دراسات سابقة عن العيش في مناطق جغرافية متقاربة

لم يكتف طقوش (٢٠٠٩) بذكر عيش أفراد الأسرة الواحدة في الجاهلية معاً فقط، بل ذهب إلى وجود فكرة الملكية الجماعية للماء والكلأ بين أفراد الأسرة الواحدة كضرورة اقتصادية، ويشرف عليها غالباً الابن الأكبر، وقد ذهب على (١٩٩٣) إلى أن القبيلة بأكملها تسكن مكان واحد، وليس فقط الأسرة، وذلك بغرض حماية الأموال والأعراض.

نصرة الأقارب لبعضهم

ولعل السبب الرئيسي لسكنهم في مناطق جغرافية قريبة من بعضها البعض هو حماية أملاكهم وأعراضهم، فما أن يحدث حادث لأحدهم، حتى يهب الجميع لنجدة، وهذا أعطى الشعور بالأمان والقوة، ولهذا كثر مديح الأقارب، فهم الدعم والنجدة والأمان. قال زهير الشكبي يمدح بني عمروته (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فنعم بنو العم والأقربون

لدى حُطفة الزمن المُحِل

ونعم المواسون في النائبا

بِ للجَارِ والمعتفى المُرِبل

ونعم الحماة الكفاة العظيم
 إذا غابَظَ الأمر لم يُحلل
 ميامين صبر لدى العضلات
 على موجع الحدث العضل
 مباديل عفوا جزيل العطاء
 إذا فضلة الزاد لم تُبدل
 هم سبقوا يوم جرى الكرام
 دوى السبق في الزمن الأول
 وساموا إلى المجد أهل الفعال
 فطالبوا بفعلهم الأطول
 وأكد عبيد بن عبد العزى السلامي على حق القريب بالنصرة
 حتى في وجود الخلافات، فقال (البغدادي، ١٩٩٩):
 ولا أدفع ابن العم يمشي على شفا
 ولو بلغتنى من أذاه الجنابع
 ولكن أواسيه وأنسى ذنونه
 لترجفه يوما إلي الرواجع

وَأُفْرِشُهُ مَالِي وَأَحْفَظُ غَيْبَهُ
لَيْسَمَعَ إِنِّي لَا أَجَازِيهِ سَامِعُ
وَحَسْبُكَ مِنْ جَهْلٍ وَسُوءِ صَنِيعَةٍ
مُعَادَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعُ
فَسَلِّمْ عَنْكَ الْأَهْلُ تَسْلِمُ صُدُورُهُمْ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَرُوعَكَ رَايِعُ

الدَّهْرُ، فَقَالَ (الْكَنْدِيُّ، ٢٠٠٤):

أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنَ عَمْرٍو
وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذِي الْقَبَابِ
أَرْجَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِينًا
وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصَّمِّ الْهَضَابِ

وكان من المستغرب عدم نصرة القريب لقريبه. عاتب قيس بن
زهير العبسي ابن عمه الربيع بن زياد لتردده في نصرته على بني
بدر بعد قتلهم أخاه مالكاً، وكان الربيع متردداً لخلاف قد وقع
بينه وبين قيس، ولكن الربيع نصر قيس بعد معاتبته له، قال
قيس (الجزري، ٢٠١٠):

أَيْنَجُو بَنُو بَدْرٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ
 وَيَخْذُلْنَا فِي الْفَائِثَاتِ رَبِيعُ
 وَكَانَ زِيَادُ قَبْلِهِ يُتَّقَى بِهِ
 مِنَ الدَّهْرِ إِنْ يَوْمُ أَلَمْ فَطِيعُ
 فَقُلْ لِرَبِيعٍ يَحْتَذِي فِعْلَ شَيْخِهِ
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَافِظٌ وَمُضِيعُ
 وَإِلَّا فَمَا لِي فِي الْبِلَادِ إِقَامَةٌ
 وَأَمْرُ بَنِي بَدْرٍ عَلَى جَمِيعُ

كذلك فقد لام طرفة بن العبد البكري بُعْذَ وجفاء ابن عمه، فهذا
 غير مألوف وقاس على النفس، قال طرفة (التبريزي، ١٩٨٠):

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكًا
 مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنَأَى عَنِّي وَيَبْعِدُ
 يَلُومُ وَمَا أَدْرَى عِلَامَ يَلُومُنِي
 كَمَا لَا مَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُبُنْ مَعْبِدُ
 وَأَيَّاسُنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلِبَتُهُ
 كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسٍ مُلْحَدُ
 عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قَلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي
 نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حُمُولَةَ مَعْبِدُ

وقال في ذلك أيضاً (التبريزي، ١٩٨٠):

وإن يقذفوا بالقذع عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ
بِشَرْبِ حِيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدِيدِ
بِلا حَدِّثِ أَحَدُثُهُ وَكَمْ حَدِّثِ
هَجَائِي وَقَذْفِي بِالشَّكَاةِ وَمَطْرَدِي
فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ امْرَأًا هُوَ غَيْرُهُ
لَفَرَجَ كَرْبِي أَوْ لَأَنْظُرَنِي غَدِي
وَلَكِنْ مَوْلَايَ امْرُؤٌ هُوَ خَانِفِي
عَلَى الشُّكْرِ وَالتَّسَالِ أَوْ أَنَا مُفْتَدٍ
وِظْلُمُ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدُّ مُضَاضَةً
عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ

الثَّارِ شَانِ أُسْرَى

وظهرت نصرة الأقارب لبعضهم البعض جلياً في تفشي الثَّارِ، فالملتقون يجب أن يظهر من يطالب بدمه من أقاربه، مثل الأب، أو الابن، أو الأخ، أو العم، ولا يتحقق الثَّارُ بقتل القاتل فقط، إذ تُطلب أجرة القاتل كلها بالثَّارِ، وأحياناً عشيرته، وأحياناً قبيلته بأدملها - وهذا بحسب قوة أهل القتل ونفوذهم - إذ لا

يُنظر إلى القاتل بصفته الفردية، فمفهوم الفرد غير موجود، بل يُنظر إليه بصفته جزء من مجموعته، وهنا تظهر الدرجة العالية من الجماعية بقطبي المعادلة، فأسرة القتل بأكملها تريد الثأر من أسرة القاتل بأكملها. والأمثلة على الثأر كثيرة، منها ثأر قيس بن الخطيم بن عدى الأوسى لأبيه وجده، حيث أن رجل من عبد القيس قتل جده، ورجل من بني حارثة من الخزرج قتل أباه، وذلك في حادثين منفصلين، فتأر لهما -لأبيه وجده - قيس، فقتل قاتل أبيه بيثرب، وقتل قاتل جده بذي المجاز، على الرغم أن قيس كان طفلاً وقت الحادثين، وكان أخذه بالثأر عندما كبر، قال قيس بن الخطيم في ذلك (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ثارتُ عدياً والخطيم فلم أضعُ

ولاية أشياخ جعلتُ إزاءها

ضربتُ بذي الزّجين ربةً مالكٍ

فأبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها

وقد ثأر دريد بن الصمة لمقتل أخيه عبد الله، ولم يكن ثأره من القاتل فقط، ولا حتى من عشيرته، بل هاجم غطمان بأكملها يوم الغدير، قال دريد في ذلك (الأصفهاني، ٢٠١٠):

قَابِلُغٌ سُلَيْمًا وَالْفَاقِهَا
وَقَدْ يَغْطِفُ النَّسَبُ الْأكْبَرُ
بَأْنِي شَارَتْ لِإِخْوَانِكُمْ
وَكُنْتُ كَأْنِي بِهِمْ مُخْفَرُ

وقال في ذلك أيضًا (الأصفهاني، ٢٠١٠):

جَزَيْتَنَا بَنِي عَبَسَ جِزَاءً مَوْفَرًا
بِمَقْتَلِ عَبِيدِ اللَّهِ يَوْمَ الذَّنَائِبِ
وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ أَدْرَكَ رَكْضَنَا
بِذِي الرَّمْثِ وَالْأَرْطَى عِيَاضُ بْنُ نَاشِبِ
قَتَلْنَا بِعَبِيدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ
ذَوَابُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وقال أيضًا في نفس المناسبة (الأصفهاني، ٢٠١٠):

قَتَلْنَا بِعَبِيدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ
وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْ ضُمَّ أَجْمَعًا
ذَوَابُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ
مَنْيَتُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا
فَتَى مِثْلَ مَتْنِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ أَرْوَعَا

وذكر الشنفرى الأزدي ثأره لأبيه، فقال بعد مقتل قاتله
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

شَفِينَا بِعَبْدِ اللَّهِ بَعْضَ غَلِيلِنَا
وَعُوفٍ لَدَى الْمَعْدَى أَوَّانٍ اسْتَهْلَبَتْ
قَتَلْنَا حَزَامًا مُهْدِيًا بِمُلْبَدٍ
مَحْلُهُمَا بَيْنَ الْحَجِيجِ الصَّوْتِ
فَإِنْ تُقْبِلُوا تُقْبِلْ بِمَنْ نَيْلَ مِنْهُمْ
وَإِنْ تُذْبِرُوا فَأَمَّ مَنْ نَيْلَ فُتَّتْ

وقد يطلب الثأر أيضا ابن عم القتيل، فأبناء العمومة جزء من
الأُسرة الكبيرة، ومن الممكن أن يطالبوا بحق القتيل. قال شرحاف
بن المثلّم العائذي الضبيّ بعد قتله عُمارة بن زياد العبسيّ بابن عمه
(الجزري، ٢٠١٠):

أَلَا أَبْلَغُ سَرَاةَ بَنِي بَغِيضٍ
بِمَا لَاقَتْ سَرَاةَ بَنِي زِيَادٍ
وَمَا لَاقَتْ جَذِيمَةَ إِذْ تَحَامَى
وَمَا لَاقَى الْفَوَارِسُ مِنْ بَجَادٍ
تَرَكْنَا بِالنَّقِيمَةِ آلَ عَبَسٍ
شَعَاعًا يُقْتَلُونَ بِكُلِّ وَادٍ

وما إن فاتنا إلا شريدُ
يَوْمُ القفرِ في تيهِ البلايِ
فقلّ عَنّا عُمارة آل عبيسٍ
ونقلُ وردًا وما كلُّ بَدادٍ
تركْتَهُم بوايِ البطنِ رَهْناً
لبسِيذانِ القرارةِ والجلادِ

دراسات سابقة عن كون الثار شأن أسرى

ذكر على (١٩٩٣) أن أقرب عصبية في الجاهلية كانت بين أفراد الأسرة الواحدة، على اعتبار أن أقرب دم للإنسان هو دم أسرته، وهذا السبب الرئيسي الذي كان يدفع أفراد الأسرة أولاً لطلب الثار لأهلهم.

الفخر بالأسرة وإنجازاتها

وبنتيجة لهذا الانصراف للهوية الفردية ضمن بوتقة الأسرة الواحدة، فإن إنجازات الأفراد هي إنجازات الأسرة، ويحق لأي فرد الافتخار بها. قال الأفوه الأودي مفتخرًا بأبيه (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أبى فارسُ الشوهاء عمرو بن مالك

غداة الوغى إن مال بالجدِّ عاشر

وقال حاجز بن عوف الأزدي مفتخرًا بإنجازات أبيه وعمه يوم
داج، وهو يوم بين بني سلامان وبني هلال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أبي رُبْع الفوارس يوم داج
وعَمَى مالِكُ وَضَعَ السُّهُمَا
فلو صَاخَبْتَنَا لَرَضِيتَ مِنَّا
إذا لم تَغْبِقُ المائَةَ الغلاما

وقال لبيد بن ربيعة العامري مفتخرًا بأبيه وأعمامه (الأصفهاني،
٢٠١٠):

أُبْنِي هِرْ أَبْصَرْتُ أَعْدَا
مَامِي بَنِي أُمِّ البَنِينَا
وَأَبِي الذِي كَانَ الْأَرَا
مَلٌ فِي الشَّتَاءِ لَهُ قَطِينَا
وَأَبَا شَرِيكِ وَالْمَنَا
زِلٌ فِي المَضِيقِ إِذَا لَقِينَا
مَا إِنَّ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ
تُ بِمِثْلِهِمْ فِي الْعَالِينَا

فَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ
تُ بَطُولُ صُحْبَتِهِمْ ضَرِينَا
دَعْنِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِي
نِي إِنْ سَدَدْتُ بِهَا الشُّوْنَا
وَأَفْعَلُ بِمَالِكَ مَا بَدَا
لَكَ مُسْتَعَانًا أَوْ مُعِينَا

وقال أيضاً مفتخرًا بعشيرته (التبريزي، ١٩٨٠):

إِنَّا إِذَا التَقَّتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ
مَنَا لَزَاؤُ عَظِيمَةٍ جَشَامُهَا
وَمُقَسَّمٌ يُعْطَى الْعَشِيرَةُ حَقُّهَا
وَمُغْذَمٌ لِحَقُوقِهَا هَضَامُهَا
فَضْلًا وَذَو كَرَمٍ يَعْينُ عَلَى النَّدَى
سَمَحٌ كَسُوبٌ رَغَائِبُ غَنَامُهَا

وقال فيهم أيضا (التبريزي، ١٩٨٠):

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قَسَمَتْ فِي مَعْشَرٍ
أَوْفَى بِأَوْفَرِ خَطْنَا قَسَامُهَا

فَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ
وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا
وَهُمُ رَبِيعُ الْمُجَاوِرِ فِيهِمْ
وَالْمَرَمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ غَامُهَا
وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُنْطَى حَاسِدُ
أَوْ أَنْ يَلُومَ مَعَ الْعَدُوِّ لَوَامُهَا
وَقَالَتِ الْحَمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيَّةِ مَفْتَخَرَةٌ بِأَبِيهَا وَأَخِيهَا
ضَمْرَةُ (الأصفهاني، ٢٠١٠):

إِنِّي لِبِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ
سَادَ مَعْدًا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
إِنِّي لِأَخْتِ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ
إِذَا الْبِلَادُ لَفَعَتْ بِجَمْرَةٍ

وتعدى الفخر بالقراية من الدرجة الأولى، فوصل إلى الافتخار
بالنسب أيضاً. ذكر مضاض بن عمرو الجرهمي جدّه - جدّه هو
مضاض الجرهمي الذي زوج ابنته لإسماعيل عليه السلام - ونسبه
مفتخرًا، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَأَنْكَحَ جَدِّي خَيْرَ شَخْصٍ عُلِمَتْهُ
فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرُ

دراسات سابقة عن الفخر بالأسرة وإنجازاتها

أكد على (١٩٩٣) فخر الأفراد الجاهليين بأفراد أسرتهم، مثل الأعمام والأخوال، وأن كثرتهم أيضًا كانت مصدر للعز والفخر، خاصة إذا كانوا أصحاب سيادة، فكانوا يقولون مفتخرين: «رجل مُعَمِّ ومُخول».

وراثـة الإنجازات الأسرية

بالإضافة لحق الافتخار، فهناك حق وراثـة الإنجازات أيضًا، قال زهير بن جناب الكلبي مخاطبًا أحد أحفاده، ومؤكداً على هذا الحق (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَبْنَىٰ إِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ
أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً
وَتَرَكْتُكُمْ أَبْنَاءَ سَا
دَاتٍ زَنَادُكُمْ وَرِيَّةً

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى
قَدْ بَلَّتْهُ إِلَّا التَّجِيَّةُ

وكذلك فعل السموأل بناءً على وصية جده الذي أورثه المجد، وأوصاه بالحفاظ عليه، قال السموأل (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وفيت بأدع الكندي إني
 إذا ما ذم أقوام وفيت
 وأوصى عاديًا يومًا بالأ
 تهدم يا سموأل ما بنيت
 بنى لي عاديًا حصنًا حصينًا
 وماء كلما شئت استقيت

أهمية النسب الأسري

وبناءً على ذلك فإن النسب مهمٌ ونو قيمة كبيرة، وهو إشارة إلى
 مجد، أو عار. أشارت دختنوس بنت لقيط بن زُرارة التميمية إلى
 نسب أبيها عند ذكرها مناقبه في مراثيته، وكان أبيها قد قتل يوم
 شعب جبلة - وهو يوم بين تميم وحلفائها، وبني عامر وحلفائها
 - فقالت (الجزري، ٢٠١٠):

عثر الأغر بخير خب
 دف كهلبها وشبابها
 وأضرها لعدوها
 وأفكها لرقابها

وقريعتها ونجيبها
 في المطبقات ونابها
 ورئيسها عند الملو
 ك وزين يوم خطابها
 وأتمها نسباً إذا
 رجعت إلى أنسابها

دراسات سابقة عن أهمية النسب الأسري

رأى ضيف (٢٠٠٨) أن السيادة في القبيلة في الجاهلية غالباً ما تكون عن طريق الوراثة الأسرية، من الأب لأبنائه، ولكن طقوش (٢٠٠٩) نفى تماماً أن تكون السيادة بالوراثة الأسرية، بل ذهب إلى أن العرب كانت تأنف من توريث السيادة، وكانت تُؤود من توافرت فيه ست خصال، وهي الكرم، والنجدة، والحلم، والصبر، والتواضع، والبيان، أما الهاشمي (١٩٦٩) فقد ذكر أن العرب في الجاهلية كانت تفتخر بأنسابها، وأكد أن الرئاسة القبلية والشرف تكون متوارثة في أسرة معينة لامتيازها بصفات معينة، وقد اتخذ على (١٩٩٣) رأياً محايداً بخصوص السيادة في القبيلة، وأكد أن بعض السادة ورثوا سيادتهم بسبب القرابة، بينما استحقها آخرون بسبب صفات معينة فيهم.

انعدام الخصوصية الأسرية

ونظراً لاعتبار الفرد جزءاً من أسرته، فإن ما يخصه يعتبر شأنًا جماعياً يستطيع أى فرد التحدث فيه، ويترتب على هذا الأمر انعدام الخصوصية. اشتكى الشنفرى الأزدى من هذا الأمر فى أهله، وذكره كأول الأسباب التى دعت له لغادرتهم، والعيش مع الوحوش، قال الشنفرى (الهاشمى، ١٩٦٩):

ولى بونكم أهلون سيّد عمّلس
وأرقط زهلول وعرفاء جبال
هم الأهل لا مستودع السرّ ذائع
لديهم ولا الجانى بما جرّ يخذل

وقد أدرك امرؤ القيس الكندى أهمية حفظ اللسان، فقال (الهاشمى، ١٩٦٩):

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فلَيْسَ على شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَانٍ

أثر الشائعة فى الأسرة والتعامل معها

ونتيجة لتفشى ظاهرة كلام الأفراد فى شؤون غيرهم، وانعدام الخصوصية، فإن الشائعة لها أثر قوى فى هذه الأسر، والعار قد

يلحق بأي فرد إذا تناقل الناس شؤونه، لذلك يسعى الأفراد لدرء أي شائعة تطالهم. قال قيس بن الخطيم ردًا على من اتهموه بالتقاعس عن ثار أبيه وجده (الطائي، ١٩٩٨):

وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً
أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا

أما العباس بن مرداس السلمى حين رد على خفاف بن ندبة هجائه فقد ذكر أن الحى يعلم من هو العباس، فهو موضوع ذو أهمية، فالحى يجب أن يعلم، وسمعة السرة مهمة، قال العباس (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فَقَدْ يَعْلَمُ الْحَىُّ عِنْدَ الصُّبْحِ
بِأَنَّ الْعَقِيلَةَ بَى تُسْتَرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ الْحَىُّ عِنْدَ الرَّهَانِ
أَنِّي أَنَا الشَّامِخُ الْمُخْطَرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ الْحَىُّ عِنْدَ السُّؤَالِ
أَنِّي أَجْوَدُ وَأَسْتَمْطَرُ
فَأَنِّي تَعَيَّرَنِي بِالْفَخَارِ
فَهَا أَنَا هَذَا هُوَ الْمُنْكَرُ

تأثير الفردية على المجتمع

وتؤثر درجة الفردية على علاقات الأفراد في المجتمع، فتختلف المجتمعات عالية الفردية عن المجتمعات عالية الجماعية اختلافاً جذرياً وجلياً. في المجتمعات التي تحمل درجة عالية من الجماعية، يتعامل الأفراد مع أنفسهم، ويتم التعامل معهم أيضاً على أنهم جزء من مجموعتهم الأكبر، وغالباً ما تكون العائلة، فيلاحظ بوضوح أن هذه المجتمعات غالباً ما تكون مجتمعات قبلية. يترتب على هذه النظرة للفرد كجزء من مجموعته - قبيلته - الكثير من التبعات الاجتماعية، فتكون أهمية الفرد من أهمية مجموعته، ويُعدّ النسب مهماً، ومعيّاراً أساسياً لمفاضلة الناس، فيصبح بعض الأفراد أهم وأكثر نفوذاً بسبب انتمائهم القبلي، وهذا يؤثر على الكثير من المعاملات مثل الزواج، والعمل، وحلّ الخلافات، فيكون اسم العائلة مهماً في الزواج، والحصول على فرصة عمل، فمن الشائع والمألوف أن يطفئ اسم عائلة معين على مجال مهني ما. وحلّ الخلافات يتم بشكل جماعي أيضاً، ويتمدّي الفرد صاحب الخلاف، فمن الشائع مثلاً اعتبار الثأر قبلياً يطالب كل أفراد القبيلة به، وغالباً ما يتم حلّ الخلافات بعيداً عن المحاكم والجهات الرسمية، فقوة ضغط المجموعات والعادات الراسخة كفيلة بحلّ أغلب النزاعات.

نظراً لإحساس الجماعة أنَّ الفرد جزء منها، فإنَّ المجموعة تتكفل بحماية أفرادها، ومساعدتهم في حلِّ مشاكلهم، ويشعر الفرد بالأمان لانتمائه لمجموعة، وإحساس الفرد أنه جزء من مجموعته من شأنه زيادة الولاء لهذه المجموعة ليصل إلى الولاء المطلق في أغلب الأحيان، وهذا الولاء لا يكون نفسياً فقط، بل يكون فكرياً أيضاً، فيفقد الأفراد حرية التفكير، ويجب أن يفكروا كما اعتادت قبائلهم، فالعادات القديمة المتوارثة مهمة جداً، ولا يتم قبول شخصية مختلفة عن المجموعة، بل تُرفض، وقد يصل الأمر أحياناً إلى أكثر من الرفض، ممَّا يجعل هذه المجتمعات مقاومة بشكل كبير لأيَّة فكرة جديدة، كلُّ هذا يجعل الأفراد يتكلمون بصيغة الجماعة، فيكثر في حديثهم مفردات الجمع مثل «نحن»، و«لنا»، و«إننا»، بل تتأثر حتى لغتهم، فيتحدَّث الأفراد في بعض المجتمعات بصيغة الجمع عند الحديث عن أنفسهم بشكل فردي.

كذلك فإنَّ الخصوصية غير موجودة في مثل هذه المجتمعات، إذ أنَّ مفهوم شيء فردي خاصِّ بصاحبه غير موجود، فالفرد جزء من مجموعته، وعليه فإنَّ الشأن جماعي، يخصُّ كلَّ المجموعة، ويستطيع أي فرد التحدُّث فيه، ويترتَّب على ذلك وجود أثر كبير للشائعة، يصل إلى العار، الذي يظال أفراد المجموعة كلَّهم في بعض الأحيان، فتحاول المجموعات تجنب وردِّ الشائعات التي تخصُّ أفرادها.

تتبع المجتمعات الفردية على الجهة المقابلة للمجتمعات الجماعية على مقياس البعد الخاص بالفردية، وتختلف الأفكار فيها تمامًا، فالفرد يتعامل مع نفسه، ويتم التعامل معه باستقلالية تامة عن مجموعته، فهو فرد لا يقدمه أو يؤخره إلا أفكاره، ومميزاته الفردية، مثل شهاداته العلمية، وخبراته العملية، ومميزاته الشخصية.

بناءً على ذلك، فإن اختيار الأفراد للمعاملات الاجتماعية في مثل هذه المجتمعات يكون لمؤهلاتهم الفردية، وليس الجماعية، فالزواج مثلاً يتم بناءً على موافقة الطرفين وملائمتهم لبعضهم، ويتم ترشيح شخص ما لعم ما بناءً على خبراته الفردية فقط، وليس هناك قوى اجتماعية متمثلة بالعادات من شأنها أن تعيقه أو تدعّمه، وفي حال حدوث خلافات، يتم حلّها بشكل قانوني، ويتم التعامل فيها مع الأفراد أصحاب الشأن فقط.

استقلالية الفرد ترتب عليه حماية نفسه، وحلّ مشاكله بنفسه أيضاً، وهذا يجعل ولاء الفرد لنفسه فقط، وتصل الاستقلالية إلى التفكير، فالفرد حرّ في اختيار وتشكيل أفكاره - بما لا يخالف قانون الدولة - ولا تشكّل أي مجموعة ضغطاً عليه لتبني أفكار معينة، ممّا يجعل التباين في الأفكار وأسلوب الحياة بين الأفراد كبيراً جداً، وهذا يفقد العادات المتوارثة قيمتها، ويتيح المجال لدخول أية أفكار جديدة إلى المجتمع، واستقلالية الفرد تحفظ

خصوصيته أيضًا، فشأنه يعنيه فقط، ولا ينتهكه أحد، ومستوى الشُّعاع منخفض، وثبوتها يجلب الذنب، وليس العار.

المجتمع العربي الجاهلي على مقياس الفردية

العصبية القبلية

يبدل تحليل الشعر الجاهلي على أن الفرد في الجاهلية قد حمل العادات والأفكار التي تربى عليها في أسرته، ونقلها إلى مجتمعه، فبالتالي فإن الأفكار الجماعية، واعتبار الفرد جزءًا من مجموعته قد انتقل من الأسرة إلى المجتمع، فأصبح المجتمع يحمل درجة عالية جدًا من الجماعية، والشواهد على هذا كثيرة، وتعدّ العصبية القبلية أبرزها. افتخر عبيد بن عبد العزى بقومه بنى سلام بن مفرج - والملاحظ من كلام الشاعر اللهجة الجماعية - فقال (البغدادى، ١٩٩٩):

لعمري لنعم الحى إن كنت مادحاً
هم الأزد إن القول بالصدق شائع
كرام مساعيهم جسام سماعهم
إذا ألغت الناس الأمور الشرايع
لنا الغرف العليا من المجد والعلى
ظفرونا بها والناس بعد قوايع

لَنَا جَبَلًا عِزٌّ قَدِيمٌ بِنَاهُمَا
تَلِيْعَمَانِ لَا يَالُوهُمَا مَنْ يُتَابِعُ
فَكَمْ وَافِدٌ مِنَّا شَرِيفٌ مَقَامُهُ
وَكَمْ حَافِظٌ لِلْقَرْنِ وَالْقَرْنُ وَادِعُ
وَمَنْ مُطْعَمٌ يَوْمَ الصُّبَا غَيْرَ جَامِدٍ
إِذَا شَمَصَ عَنْ أَبْنَائِهِنَّ الْمَرَاضِعُ
يُشْرِفُ أَقْوَامًا سَوَانًا ثِيَابُنَا
وَتَبْقَى لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوهَا سَمَائِعُ
إِذَا نَحْنُ ذَارِعْنَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَى
قَبِيلًا فَمَا يَسْطِيعُنَا مَنْ يُذَارِعُ
وَمَنْ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ وَمُنْذِرُ
وَجَفَنَةٌ مِنَّا وَالْقُرُومُ النَّزَائِعُ
قَبَائِلُ مِنْ غَسَّانَ تَسْمُو بِعَامِرٍ
إِذَا انْتَسَبَتْ وَالْأَزْدُ بَعْدَ الْجَوَامِعُ
أَدَانُ لَنَا النُّعْمَانُ قَيْسًا وَخَنْدِفًا
أَدَانُ وَلَمْ يَمْنَعْ رُبِيعَةً مَانِعُ

وقال عبدالله بن سليم مفتخرًا بقومه الأزد (البغدادى، ١٩٩٩):

المَانِعُونَ السَّرْبَ مَطْرَدًا
 وَالْخَيْلُ تَنْحَطُ فِي الْقَنَا السُّمْرِ
 وَالضَّارِبُونَ الْكَبِشَ ضَاحِيَةً
 حَتَّى يَخِرُّ مُخَضَّبُ النُّحْرِ
 وَالْبَاذِلُونَ رِقَابَ مَالِهِمْ
 لِعُفَاتِهِمْ إِنْ ضُنَّ بِالْوَفْرِ
 فَبِمِثْلِهِمْ إِنْ كُنْتَ مُفْتَخِرًا
 فَاْفْخَرْ تَحْزُ أَقْصَى فِدَى الْفَخْرِ

وهذا زهير بن أبي سلمى المزنّي قد تعامل مع هُرم بن سنان
 المَرّي، والحارث بن عَوْف المَرّي - وهما السيّدان اللذان أنهيا حرب
 داحس والغبراء - على أنهما جزء من قومهما بنى مرّة، فمدحهما
 ضمن مديح قومهما، قال زهير (المزنّي، ١٩٨٨):

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالنَّازِلِ مِنْ مَنِيْ
 وَمَا سَحَفْتُ فِيهِ الْمَقَادِيْمُ وَالْقَمْلُ
 لَأُرْتَجِلَنَّ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لِأَدَابِنُ
 إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعْرِجَنِي طِفْلُ

إلى معشرٍ لم يُورثِ اللّؤمَ جدُّهم
أصاغرهم وكلُّ فحلٍ له نجلٌ
تريضٌ فإن تقوِ المرواةَ منهم
وداراتها لا تقوِ منهم إذا نخلٌ
فإن تقويا منهم فإن مُحجراً
وجزَع الجِسا منهم إذا قلَّ ما يخلو
بلادٌ بها نادمتهم وألقتهم
فإن تقويا منهم فإنهما بسلٌ
إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم
طوال الرّماح لا ضفاف ولا عزَلٌ
يخيلُ عليها جنةٌ عبقريةٌ
جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا
وإن يُقتلوا فيشتفى بدمائهم
وكأنوا قديماً من مناياهم القتلُ
عليها أسودُّ ضارباتٌ لبوسهم
سوابغٌ بيضٌ لا تخرقها النبلُ

إِذَا لَبَحَتْ خَرْبٌ عَوَانَ مُضِرَّةٌ
 ضُرُوسٌ تَهْرُ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عَصْلُ
 قَضَاعِيَّةٌ أَوْ أَخْتَهَا مُضْرِيَّةٌ
 يَحْرِقُ فِي حَافَاتِهَا الْحَطَبُ الْجَزْلُ
 تَجِدُهُمْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ هُمْ إِزَاءَهَا
 وَإِنْ أَفْسَدَ الْمَالُ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَزْلُ
 يَحْشَوْنَهَا بِالشَّرْفِيَّةِ وَالْقَنَا
 وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا نُكْلُ
 تَهَامُونَ نَجْدِيُونَ كَيْدًا وَنُجْعَةً
 لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ وَقَائِعِهِمْ سَجْلُ
 هُمْ ضَرَبُوا عَنْ فَرْجِهَا بِكَتَيْبَةٍ
 كَبِيضَاءٍ حَرَسَ فِي طَوَائِفِهَا الرَّجْلُ
 مَتَى يَشْتَجِرُ قَوْمٌ تَقُلُّ سِرْوَاتُهُمْ
 هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رَضَى وَهُمْ عَدْلُ
 هُمْ جَدُّوا أَحْكَامَ كُلِّ مُضْلَةٍ
 مِنَ الْعُقْمِ لَا يُلْفَى لِأَمْثَالِهَا فَضْلُ

بعزيمة مأمور مطيع وأمر
 مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل
 ولست بلاقٍ بالحجاز مجاوراً
 ولا سغراً إلا له منهم حبل
 بلاد بها عزوا مَعْدًا وَغَيْرَهَا
 مشاربها عذبٌ وأعلامها ثمل
 وهم خير حتى من معد علمتهم
 لهم نائل في قومهم ولهم فضل
 فرخت بما خبرت عن سيديكم
 وكانا امرأين كل شأنهما يعلو
 تداركتما الأحلاف قد ثل غرُشها
 وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
 فأصبحتما منها على خير موطن
 سبيلكما فيه وإن أحزنوا سهل
 إذا السنة الشهباء بالناس أجمعت
 ونال كرام المال في الجحرة الأكل

رَأَيْتُ نَوَى الْحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ
 قَطِينًا بِهَا حَتَّى إِذَا نَبَتْ الْبَقْلُ
 هُنَاكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالُ يُخْبَلُوا
 وَإِنْ يَسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسَرُوا يُغْلُوا
 وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حَسَانٍ وَجُوهِهِمْ
 وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
 عَلَى مَكْثَرِيهِمْ رِزْقٌ مِنْ يَعْثَرِيهِمْ
 وَعِنْدَ الْمَقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ
 وَإِنْ جَنَّتْهُمْ أَلْفِيَّتُ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ
 مَجَالِسٌ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
 وَإِنْ قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدُ
 رَشَدَتْ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذْلُ
 سَمَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكَى يَدْرِكُوهُمْ
 فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلِيمُوا وَلَمْ يَأْلُوا
 فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا
 تَوَارَتْهُمْ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه
وتُغرس إلا في منابيتها النخل

دراسات سابقة عن العصبية القبلية

ذكر ضيف (٢٠٠٨) عصبية الفرد الجاهلي لقبيلته، واعتزازه الشديد بها، وتقديسه لها أكثر من شعائره الدينية، وأكد طقوش (٢٠٠٩) على وجود رابطة العصبية بين أفراد القبيلة، وكونها مصدر القوة السياسية والعسكرية للقبيلة، وعامل مهم في الحروب بين القبائل، وفي الحفاظ على كيان القبيلة، وأكد الهاشمي (١٩٦٩) على دفع العصبية القبلية في الجاهلية للأفراد إلى السير على منهج القبيلة سواء أصابت أو أخطأت، وقد ذكر على (١٩٩٣) تمسك العرب الجاهليين بالعصبية القبلية، وتلبية ندائها عند الملّات.

نصرة القبيلة لأفرادها

وعلاقة الفرد في الجاهلية بمجتمعه -المتّمسّل بقبيلته - علاقة منفعة متبادلة، يتبادل فيها الفرد مع قبيلته الحقوق والواجبات، فالقبيلة تحمي أفرادها، في المقابل يجب أن يُظهر أفرادها الولاء المطلق لها. ذكر دريد بن الصّمة الجشمي نصر قبيلته له عند أخذه بثّار أبيه من بني يربوع، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

دَعَوْتُ الْحَيَّ نَصْرًا فَاسْتَهْلُوا
 بِشُبَّانِ ذَوِي كَرَمٍ وَشَيْبِ
 عَلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالِ
 وَرَجُلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الْكَثِيبِ
 فَمَا جَبُنُوا وَلَكِنَّا نَضْبِنَا
 صُدُورَ الشَّرْعِيَّةِ لِلْقُلُوبِ
 فَكَمْ غَادَرَنَ مِنْ كَابٍ ضَرِيعٍ
 يَمْحُجُ نَجِيعُ جَائِفَةِ ذُنُوبِ
 وَتِلْكَمُ هَانَةٌ لِابْنِي رَبَابِ
 إِذَا مَا كَانَ مَوْتُ مِنْ قَرِيبِ
 فَأَجَلُّوا وَالسَّوَامُ لَنَا مُبَاحُ
 وَكُلُّ كَرِيمَةٍ خَوْ غُرُوبِ
 وَقَدْ تَرَكَ ابْنُ بَكْرٍ فِي مَكْرٍ
 حَبِيبًا بَيْنَ ضِعْمَانِ وَذَيْبِ

وذكر عمرو بن كلثوم التغلبي منعة قومه وحماية قبيلته
 لأفرادها، فقال (التبريزي، ١٩٨٠):

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ
 عَنِ الْأَحْقَاصِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
 نَجِدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ
 فَمَا يَذَرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَ
 كَأَنَّ سَيُوفَنَا مَنَا وَمِنْهُمْ
 مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا
 كَأَنَّ ثِيَابَنَا مَنَا وَمِنْهُمْ
 خُضْبُنَ بَارِجُوانٍ أَوْ طَلِينَا

وافتحرو وذاك بن تمل المارني بقومه ووعد بني شيبان بالحرب،
 وذكر أن قومه ينصرون ويمنعون أي فرد منهم، في أي مكان،
 وبغض النظر عن السب، فقال (الطائي، ١٩٩٨):

إِذَا اسْتَفْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ
 لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ

وتتعدى الحماية أفراد القبيلة لتصل الأنساب والحلفاء أيضاً.
 ذكر زهير بن جذيمة العنسي تصدى خالد بن جعفر بن كلاب
 العامري له حين طالب غنياً بدم ابنه شأس، وغنى هم أخوال خالد
 بن جعفر، وحلفاء لبني عامر بن صعصعة، قال زهير (الحزري،
 ٢٠١٠):

فلولاً كلابٌ قد أخذتُ قرينتى
 برءٌ غنىً أعبداً ومواليا
 ولكن حمتهم عصبة عامرية
 يهزون فى الأرض القصار العواليا
 مساعير فى الهيجا مصاليت فى الوغى
 أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا
 يقيمون فى دار الحفاظ تكرماً
 إذا ما فنى القوم أضحت خواليا

دراسات سابقة عن نصرة القبيلة لأفرادها

أكد عدة باحثين ودارسين للمجتمع الجاهلى على نصرة القبيلة
 لأفرادها فى الملمات، بغض النظر عن كونهم ظالمين أو مظلومين
 (طقوش، ٢٠٠٩؛ وظيف، ٢٠٠٨؛ وعلى، ١٩٩٣؛ والهاشمى،
 ١٩٦٩).

الشارشأن قبلى

ولا تقتصر الحماية على الأحياء فقط من أفراد القبيلة، بل تصل
 إلى أمواتها، ويكون ذلك بأخذ الثأر من قاتليهم وقبائلهم. حض
 لبيد بن ربيعة العامرى على الأخذ بثأر عروة بن عتبة العامرى

- عروة الرّحال - من البرّاض بن قيس الضمرى، وكان نتاج هذا
الثّار يوم الفجار الثّانى بين قيس عيلان بأكملها وكنانة، قال لبيد
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

فأبلغ إن عرضت بنى نُمَيْرٍ
وأخوالَ القَتِيلِ بنى هِلَالٍ
بأنّ الوافدَ الرّحالَ أضحي
مقيمًا عند تَيْفَنَ ذِي الظُّلَالِ

وقام المنخل اليشكري بعد أن عرف بنية عكبّ قتله بتحريض
قومه على الأخذ بثأره، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

طُلَّ وسطُ العراقِ قتلى بلا جُرْ
مٍ وقومي يُنتَجون السّحالا
وقال أيضًا في ذلك (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ألا من مبلغ الحيين عنى
بأنّ القومَ قد قتلوا أبيا
فإن لم تثاروا لي من عكبّ
فلا رؤيتُم أبدا صديا

دراسات سابقة عن كون الثأر شأن قبلي

أجمع دارسو المجتمع العربي في الجاهلية على واجب القبيلة بالثأر لأفرادها، وأن أفراد القبيلة تسخر نفسها لخدمة هذا الواجب، وأن تركه يعدّ سبة وعار، فلم يكن أفراد القبيلة يرضون بالدية، فكان الثأر سبب رئيسي لحروب القبائل في ما بينها (طقوش، ٢٠٠٩؛ ضيف، ٢٠٠٨؛ وعلي، ١٩٩٣ والهاشمي، ١٩٦٩).

الولاء المطلق للقبيلة

وللقبيلة على أفرادها واجبات أهمها الولاء المطلق. قال زهير بن مسعود يظهر ولائه لقومه بني ضبة (البغدادي، ١٩٩٩):

إِنَّ بَنِي ضَبَّةٍ قَوْمِي فَلَنْ
أَشْرِبَهُمْ مَا حَفَّتِ النَّيْبُ
قَوْلُهُمْ بِرٍّ وَجَارَاتِهِمْ حِجْرُ
فَلَا هُجْرٌ وَلَا حُوبُ
يَنْمِي بِهِمْ آبَاؤُهُمْ لِلْعُلَى
وَنَسْوَةٌ بِيضٌ مَنَاجِبُ

حروب القبيلة الواحدة

وليست الحروب التي تحدث داخل القبيلة الواحدة إلا اصطدام
بعضين ثقافيين ببعضهما البعض، ينتج عنه تحييد للجماعية
نتيجة انخفاض درجتها أمام البعد الآخر، والجدير بالذكر أن
تحييد الجماعية لم يصل القبائل إلى الفردية، بل قسّم القبيلة إلى
مجموعتين أو أكثر -عمادها العشائر الأصغر - وبقيت المجموعات
الجديدة الأصغر محافظة على درجتها العالية من الجماعية، ومن
الأمثلة على الحروب داخل القبيلة الواحدة حرب داحس والغبراء
بين عيس وذبيان وهي قبائل من غطفان، وحرب البسوس بين بكر
وتغلب وهي قبائل من وائل، وحروب متفرقة بين الأوس والخزرج
وهي قبائل من الأزد.

داحس والغبراء

وكانت القبيلة الأكبر قبل حروبها الداخلية تمثل بأكملها
مجتمعا واحدا للأفراد، فبالتالي فإن الفكر الواحد، والحماية،
وكل ما يفرضه ارتفاع درجة الجماعية موجود فيها، فكانت غطفان
مجتمعا واحدا قبل داحس والغبراء. لام الربيع بن زياد العبسي
حذيفة وحمل ابنى بدر الفزاري الذبياني ضم قيس بن زهير العبسي
ونصرته بعد خلاف حصل بينه وبين قيس، وقد أشار الربيع في
لومه إلى واجباته، وعلاقة أبيه أيضا من قبله مع قبيلة فزارة، فقال

الرَّبِيع (الجزري، ٢٠١٠):

ألا أبلغ بني بدر رسولاً
على ما كان من شناً ووتر
بأنّي لم أزل لكم صديقاً
أدافع عن فزارة كل أمر
أسالم سلمكم وأردُّ عنكم
فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبي ابن عمكم زياد
صفى أبيكم بدر بن عمرو
فأجأتكم أبا الغدرات قيساً
فقد أفعمتكم إيغار صدري
فحسبي من حذيفة ضم قيس
وكان البدء من حمل بن بدر
فإما ترجعوا أرجع إليكم
وإن تأبوا فقد أوسمت عذري

ثمّ حدث حادث فصل هذا المجتمع إلى مجتمعين محافظين على
درجتهم العالية من الجماعة، وليس هذا الحادث إلا رهاناً على

الخيّل، وهو من التّنافس الذي تمليه الدّرجة العالية من الذّكورة على الأفراد، فغلبت درجة الذّكورة على درجة الجماعة، وانقسم المجتمع، ولكن مع حفاظ مجموعات الجديدة على الدرجات العالية من الجماعة داخلها. ناشد أبو جعدة الفزاريّ حمل وحذيفة أبناء بدر على ترك الرّهان على الخيّل، فقال (الجزريّ، ٢٠١٠):

آل بدر دعوا الرّهان فإنّا
قد ملّنا اللّجاج عند الرّهان
ودعوا المرء في فزارة جارًا
إنّ ما غاب عنكم كالعيان
ليت شعري عن هاشم وحصين
وابن عوف وحاتّ وسانان
حين يأتيهم لجاجك قيسًا
رأى صاح أتيت أم تشوان

وحتى أثناء الحرب فإنّ العلاقة الجماعة القديمة بين القبيلتين لم تنته تمامًا، فهذا قيس بن زهير العبسيّ قد عرق أنّ ذبيان وعبس مجتمع واحد مُشترك المصير، وأنّ مُصاب ذبيان في مقتل حمل وحذيفة لا يقلّ عن مصاب عبس، فقال في قتله لحمل وحذيفة الفزاريّين (الطائيّ، ١٩٩٨):

شفيت النفس من حمل بن بدر
وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أك قد بردت بهم غليلي
فلم أقطع بهم إلا بناني

ورثي قيس حذيفة وحمل أيضا، وفي شعره بعض الأسف على ما
سارت إليه القبيلة الواحدة، قال قيس (الطائي، ١٩٩٨):

تعلم أن خير الناس ميت
على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي
عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر
بغى والبقى مرتعه وخيم
أظن الجلم دل علي قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم

البسوس

وحرب البسوس أيضا مرت بنفس التسلسل من الجماعية العالية
في وائل، ثم حدث رجح كفة الذكورة على الجماعية، فقسم القبيلة

الأكبر إلى قبائل أصغر تحمل الدرجة العالية من الجماعية. وفي كلام زهير بن جناب الكلبي القاضي مفتخرًا بانتصاره على وائل - وكان ذلك قبل حرب البسوس - دلائل واضحة أن تغلب وبكر قبائل تقاتل معًا، وتنصر بعضها البعض، قال زهير (الجزري)،
(٢٠١٠):

أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ حَذِرِ الْمَوِ
بِ إِذْ يَتَّقُونَ بِالْأَسْلَابِ
إِذْ أَسْرَنَّا مَهْلَهْلًا وَأَخَاهُ
وَابْنَ عَمْرٍو فِي الْقَيْدِ وَابْنَ شَهَابِ
وَسَبِينَا مِنْ تَغْلِبَ كُلِّ بَيْضَا
رَقُودَ الضَّحَى بِرُودِ الرِّضَابِ
حِينَ يَدْعُو مَهْلَهْلًا يَا الْبَكْرَ
هَذَا أَهْدَى حَفِيزَةَ الْأَحْسَابِ
وَيُحَكِّمُ وَيُحَكِّمُ أَبْيَحَ جِمَاكُمِ
يَا بَنِي تَغْلِبَ أَنَا ابْنُ رِضَابِ
وَهُمْ هَارِبُونَ فِي كُلِّ فَجٍ
كَشْرِيدِ النُّعَامِ فَوْقَ الرُّوَابِ

واستدارت رحي المنايا عليهم

بليوث من عامر وجناب

فهم بين هارب ليس يالو

وقتييل معقصر في التراب

فضل العز عزنا حين نسمو

مثل فصل السماء فوق السحاب

وقال الحارث بن عباد البكري يذكر مشاركة بكر وتغلب في

خزاز، وكانت خزاز قبل السوس أيضا (ثيحو، ١٩٩١):

نَحْنُ مَنَعْنَاكُمْ وَرُودَ النِّهَرِ

بِالْمَرْهَقَاتِ وَالرَّمَاكِ السُّمَرِ

فَوَارِسُ بَنِ تَغْلِبٍ وَبَكْرِ

عَلَى خَيْوَلٍ تُشْرَبُ وَضُمَرِ

وذكر عمرو بن الأسود مشاركة بكر وتغلب في ذي قار، وكانت

قبل السوس أيضا، فقال (الأصمعي، ١٩٦٣):

لَمَّا سَمِعْتُ نَدَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا

وَابْنِي رَبِيعَةَ فِي الْعَجَاجِ الْأَقْتَمِ

ومحلماً يمشون تحت لوائهم
 والموت تحت لواء آل محلم
 وسمعت يشكر تدعى بحبيب
 تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
 وحبيب يزجون كل طمرة
 ومن اللهازم شخت غير مصرم
 والجمع من ذهل كان زهاءهم
 جرد الجمال يقودها ابنا شعثم

ثم حكم كليب وائل بن ربيعة التغلبي معداً، وكان يحمي حماه
 التي ترعى فيها نوقه وإبله، ومعها إبل أبناء عمه البكريين، وعند
 البكريين خالتهم البسوس ضيفة، فجعل جناس بن مرة البكري
 إبل خالته ترعى مع إبله في حمى كليب، فرفضها كليب، وبعد
 عدة مناوشات قتلها، وقل في ذلك (شيخو، ١٩٩١):

سيعلم آل مرة حيث كانوا
 بأن حماي ليس بمستباح

وكان جناس يعتبر أن خالته وإبلها في جواره، وأن قتل الذقة
 تعدياً على هذا الجوار، وأشعلت الدرجة العالية من التنافس هذه

الفكرة، وحوّلت قتل الناقة إلى صراع على حماية الحمى، قال
جساس (شيخو، ١٩٩١):

إنّما جارى لعمري
فَاعْلَمُوا أدنى عيالي
وأرى للجار حقاً
كيميئني من شمالي
وأرى ناقة جارى
فَاعْلَمُوا مثل جمالي
إنّما ناقة جارى
فى جوارى وظلالى
إنّ للجار علينا
دفع ضيم بالعوالي
فأقلنى اللوم مهلاً
نود عرض الجار مالى
سأودى حق جارى
ويدى رهز فعالى
أو أرى الموت فيبقى
لؤمته عند رجالي

ثم قتل جساس كليباً، وكانت حرب البسوس ثاراً لمقتل كليب،

وانقسم المجتمع المكوّن من وائل إلى مجتمعين مختلفين يحملان الدرجات العالية من الجماعة، عمادهما قبيلتي بكر وتغلب، وفي شعر جنّاس أيضاً الأسى على انقسام هذا المجتمع، ولكنها مقتضيات حماية الجار، والغديّة التي تفرضها الدرجة العالية من الدكورة، خاطب جنّاس مهلهلاً أخا كليب وصاحب تأره أنّ المصاب بكليب قد لحق وائلاً بأسرها، قال جنّاس (شيخو، ١٩٩١):

أَلَا أَبْلِغُ مُهْلَهْلَ مَا لَدَيْنَا
فَادْمُعْتَنَا كَادْمُجِهِ غِزَارُ
بَكَيْنَا وَائِلَ الْبَاغَى عَلَيْنَا
وَشُرُّ الْعَيْشِ مَا فِيهِ غِيَارُ
وَنَحْنُ مَعَ الْمَنَايَا كُلِّ يَوْمٍ
وَلَا يُبْجَى مِنَ الْمَوْتِ الْفِرَارُ
وَكُلُّ قَدْ لَقِيَ مَا قَدْ لَقِينَا
وَكُلُّ لَيْسَ مِنْهُ لَهُ إِصْطِبَارُ

أيام بين الأوس والخزرج

وبلغ التنافس ذروته بين قبائل الأوس والخزرج - وهي قبائل من الأزد من كهلان القحطانية، سكنت المدينة المنورة - فامتدت حروبهم لأكثر من مئة عام، بدأت بحرب سمير، وتبعتها عدّة

حروب مثل يوم السرارة، وحرب فارغ، وحرب حاطب، ويوم
الربيع، ويوم البقيع، ويوم الفجار الأول للأنصار، يوم معبس
ومضرس، ويوم الفجار الثاني للأنصار، ويوم بُعات، وغيرها من
الأيام، وانتهت حروبهم بدخولهم الإسلام.

وظهر التنافس حلياً في أشعار الطرفين، ومنها قول حسان بن
ثابت الخزرجي يوم السرارة يفتخر على قيس بن الخطيم الأوسي
(الجزري، ٢٠١٠):

وَإِنِّي لِنَجَاءِ الْمَطِيِّ عَلَى الْوَجِي
وَإِنِّي لَنَزَالُ مَا لَمْ أَعُودِ
وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لَذَى اللَّوْثِ مَرْحَبًا
وَأَهْلًا إِذَا مَا رِيحٌ مِنْ كُلِّ مَرَّصِدِ
وَإِنِّي لِيدْعُونِي التَّدَى فَأَجِيبُهُ
وَأُضْرِبُ بِيضَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ
فَلَا تَعْجَلَنَّ يَا قَيْسُ وَارْبِعْ فَإِنَّمَا
قُضَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدِ
حُصَامٍ وَأَرْمَاحٍ بِأَيْدِي أَعِزَّةٍ
مَتَى تَرَهُمْ يَا بَنَ الْخَطِيمِ تَلْبُدِ

أَسْوَدُ لَدَى الْأَشْبَالِ يَخْمِي غَرِينَهَا
مَدَاعِيْسُ بِالْخَطَى فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَرَدَّ عَلَيْهِ قَيْسٌ، وَقَالَ (الجزري، ٢٠١٠):
فَإِنِّي لِأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ
يَسْرِى النَّاسَ ضَلَالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
لِسَاءِ عَمْرٍَا ثَوْرًا شَقِيًّا مُوعَظًا
أَلَدُّ كَأَنَّ زَأْسَهُ زَأْسُ أَصِيدٍ
كَثِيرِ الْمَنَى بِالرَّادِ لَا صَبْرَ عِنْدَهُ
إِذَا جَاعَ يَوْمًا يَشْتَكِيهِ ضَحَى الْغَدِ
وَذَى شَيْمَةٍ عَمْرَاءَ خَالَفَ شَيْمَتِي
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَنَفْسَكَ أَرْتَدِ
فَمَا الْمَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلَّا مُعَارَةٌ
فَمَا اسْطَئَعْتُ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ
مَتَى مَا تَقْدُ بِالْبَاطِلِ الْحَقُّ يَأْبَهُ
وَإِنْ قَدْتُ بِالْحَقِّ الرَّوَابِىَ تَنْقَدِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ
ضَلَلْتَ وَإِنْ تَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ تَهْتَدِ

وخاطب صخر بن سلمان البياضى الخزرجى سويد بن الصامت
الأوسى يوم الربيع، وفى خطابه ما يدل على أن الحرب بين
العشيرتين لم تنسَ حقوق القبيلة الأكبر، قال صخر (الجزرى،
: (٢٠١٠)

ألا أبلغا عنى سويد بن صامت
وربط سويد بلغا وابن الأسلت
بأننا قتلنا بالربيع سراكم
وأقلت مجروحا به كل مفلت
فلولا حقوق فى العثيرة إنها
أدلت بحق واجب إن أدلت
لنالههم منا كما كان نالههم
مقانب خيل أهلكت حين حلت

فرد عليه سويد بن الصامت (الجزرى، : (٢٠١٠):

ألا أبلغا عنى صخيرا رسالة
فقد دقت حرب الأوس فيها ابن الأسلت
قتلنا سراياكم بقتلى سرايتنا
وليس الذى ينجو إليكم بمفلة

تأثير الفردية في علاقة الأفراد بالملوك والسادة

وعلاقة الفرد بالحاكم في الجاهلية تحكمها بالمقام الأول درجة بُعد المسافة كما تمّ شرحها في الفصل الأول من الكتاب، إلا أن هذه العلاقة قد يؤثر عليها أبعاد ثقافية أخرى في مواقف معينة، فتتطغى درجة أحدها على درجة الآخر، وقد تمّ شرح تأثير الذكورة في الفصل الثاني، والجدير بالذكر هنا أن درجة الجماعة العالية تؤثر أيضاً على هذه العلاقة.

قتل عمرو بن كلثوم التغلبي لعمر بن هند اللخمي

في قصة مقتل الملك عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم التغلبي المذكورة والمفصلة في الفصل الثاني من الكتاب، استخدم عمرو بن كلثوم صيغة الجماعة كثيراً، فكان يستمد قوته من قوة تغلب قبيلته باعتباره جزءاً منها، قال عمرو بن كلثوم في الحادثة (الزوزني، ١٩٩٣):

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا
وَأَنْظِرْنَا نَخْبِرَكَ الْيَقِينَا
بَأْنَا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضًا
وَنُضِدُّهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُوِينَا

وَأَيُّسَامَ لَنَا غُرَّ طَوَالٍ
عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ تَدِينَنَا
وَسَيِّدُ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّوْهُ
بِتَاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْمُحْجَرَيْنَا
تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ
مُقَلَّدَةً أَعْنَتُهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِسَدَى طُلُوحٍ
إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُوعِدَيْنَا
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا
وَشَذَبْنَا قِتَادَةً مَنْ يَلِينَا
مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمِ رَحَانَا
يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرْقَى نَجْدٍ
وَلَهُوتُهَا قَضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا

وتغلب قبيلة كبيرة، أفرادها كثير العدد، وهذا عامل مهم في
زيادة قوتها، حتى قال فيهم عمرو بن كلثوم (القبريزي، ١٩٨٠):

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
وَقَاءَ الْبَحْرِ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا

هزيمة الحارث بن أبي شمر الغساني في تغلب ومقتل أخيه

وفي قصة أخرى لعمر بن كلثوم التغلبي أن الحارث بن أبي
شمر الغساني ملك غسان بالشَّام مرَّ بتغلب فلم يستقبلوه، فساء
ذلك، فتوَعَّدَهم، فردَّ عليه عمرو بن كلثوم بالصيغة الجماعية،
وقال (الجزري، ٢٠١٠):

أَلَا فَاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَا
أَبَيْتَ اللَّعْنَ نَابِي مَا تُرِيدُ
تَعْلَمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلُ
وَأَنَّ بِنَارَ كُبَّتِنَا شَدِيدُ
وَأَنَا لَيْسَ خِيٍّ مِنْ مَعْدٍ
يُقَاوِمُنَا إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ

وكعادة الملوك في غزو من يهجوهم أو يتوَعَّدَهم، فقد غزا الحارث
الغساني تغلب، إلا أنه انهزم فيها، وقُتل أخوه، وعدد كبير من
جيشه، وقال عمرو بن كلثوم في ذلك (الجزري، ٢٠١٠):

هَلَا عَظَفْتَ عَلَى أَخِيكَ إِذْ دَعَا
بِالشُّكْلِ وَيْلَ أَبِيكَ يَا ابْنَ أَبِي شَمِرٍ
فَذُقِ الَّذِي جَسَمْتَ نَفْسَكَ وَاعْتَرَفَ
فِيهَا أَحَاكَ وَعَامِرُ بْنُ أَبِي حُجْرٍ

قتل أبو حنش التغلبي لشرحبيل بن الحارث الكندي

والتغلبى الآخر الذى قتل ملكا تارا لأخيه هو أبو حنش، الذى
قتل الملك شرحبيل بن الحارث الكندى تارا لأخيه ذى السنينة
التغلبى، ومعلوم ارتباط التار بالدرجة العالية من الجماعية، فكان
أن هدده الملك سلمة - وهو أخو شرحبيل - بالقتل، فقال أبو حنش
التغلبى يرد على سلمة تهديده (الجزرى، ٢٠١٠):

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو
جباءً أبيتك يوم صُنِيعَاتٍ
وكانت غُدْرَةً شَنْعَاءُ تَهْفُو
تَقْلُدُهَا أَبوكَ إِلَى الْمَاتِ

تهديد عامر بن جوين الطائى للمنذر بن النعمان اللخمي

وفى حالة أخرى لم تتعد المناوشة، قام عامر بن جوين الطائى

بتهديد المنذر بن النعمان الأكبر ملك الحيرة، وحذره عاقبة مهاجمة قومه طي، وقد كان عامر أجار امرؤ القيس بن حجر بعد مقتل أبيه، مما أثار النعمان عليه، فهدده النعمان، فرد عليه عامر، وصيغة الجماعة واضحة في كلامه، فقال (القالى، ١٩٧٦):

تَعْلَمُ أبيتَ اللَّعنَ أنْ قناتنا
تزيدُ على غمِزِ الثَّقافِ تصعبا
أتوعدنا بالحربِ أمْكَ هابلُ
رُويدكُ بَرْقًا لا أبا لكِ خُلْبًا
إذا خطرَتْ دونى جديلةً بالقنا
وحافستِ رجالَ الفؤوتِ دونى تحدبا
أبيتُ التى تهوى وأعطيتكِ التى
تسوقُ إليك الموتَ أخرجْ أكلها
فإنْ شئتَ أنْ تزدارنا فأتِ تعترفِ
رجالا يُذيلونَ الحديدَ المعقربا
وإنْكَ لو أبصرتهم فى مجالهم
رأيتَ لهم جمعا كثيفا وكوكبا

وذكر العيش الرخى جلادهم
وملأهسى بأكتاف السدير ومشربا
فأغض على غيظ ولا ثرم التى
تحكم فيك الزاعبى المحربا
وقال أيضا فى ذلك (البغدادى، ١٩٩٩):

أبلغ الملوك مألكة
من نأى فى الأرض أوقربا
أن خولى من ذرى أجا
زلقا تخاله نوبا
خوله قرعى حمولتنا
تأكل العضاة والكثبا

تهديد عارق الطائى لعمر بن هند اللخمى

وفى حادثة أخرى بين الملك عمرو بن هند ورجل آخر من طى،
وهو قيس بن جروة - الملقب بعارق - فقد كان الملك قد نكث عهده مع
طى الذين كان لهم عهد على ألا يغزوا، ولا ينازعوا، ولا يفاخروا،
فقام قيس على إثر ذلك بتهديد الملك، وأرسل أبياتا بدرجة واضحة
من الجماعة العالية، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

إلى الملك الخير ابن هند تزوره
وليس من القوت الذى هو سابقه
وإن نساء حُرَّ ما قال قائلُ
غنيمةٌ سوء بينهنَّ فهارقه
ولو تيل في عهد لنا لحمُ أرنب
رددنا وهذا العهد أنت مُعالقه
فهيك ابن هند لم تغفك أمانةُ
وما الرء إلا عقده ومواثقه
وكنا أناسًا خافضين بنعمة
يسيل بغا تلُع السلا وأبارقه
وأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصهوة
حرامٍ على زملته وشقائقه
وأقسم جَهْدًا بالمنازل من منى
وما خب في بطائحهنَّ ذرايقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلتم
لأنتحين العظم نو أنا عارقه

ولأن درجة بُعد المسافة عالية، فقد هدده عمرو بن هند بالقتل،

فاستهزأ قيس من تهديد عمرو له ، فما كان من الملك عمرو بن هند
إلا أن غزا طى وأسر منها ، قال قيس (الأصفهاني ، ٢٠١٠) :

من مبلغ عمرو بن هند رسالة
إذا استحقبتها العيس تفضى على البعد
أيوعدنى والرمل بينى وبينه
تبين رويداً ما أمامه من هند
ومن أجاب دونى رعان كأنها
قنابل خيل من كميبت ومن ورد
غدرت بأمر أنت كنت اجتذبتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد
فقد يترك الغدر الفتى وطعامه
إذا هو أمسى خلبة من دم القصد

عمرو بن هند اللخمى والعبدىون

وكانت علاقة الملك عمرو بن هند بالعبديين متوترة ، وكان
سويد بن خذاق من بنى عبد القيس من العبديين قد هجاه وتوعده ،
وأيضاً صيغة الجماعة واضحة في شعر سويد الذى قال (الدينورى ،
١٩٥٨) :

جَزَى اللهُ قَابُوسَ بْنِ هَنْدٍ بِفِعْلِهِ
 بِنَا وَأَخَاهُ غَدْرَةَ وَأَثَامَا
 بِمَا فَجَرَا يَوْمَ الْعُطَيْفِ وَفَرَقَا
 قَبَائِلَ أَخْلَافَا وَحَيَا حَرَامَا
 لَعَلَّ لَبُونَ الْمَلِكِ تَمْنَعُ ذَرْهَا
 وَيَنْعَتُ صَرْفُ الدَّهْرِ قَوْمَا نِيَامَا
 وَالْأُتَغَادِينِي الْمَنِيَّةُ أَغْشَكُمُ
 عَلَى عُدْوَاءِ الدَّهْرِ جَيْشَا لَهَامَا

وانتهت مشاكل العبديين مع عمرو بن هند بغزو عمرو لهم،
 والنسبي منهم، حتى استجداه المزيق العبدى، فقال (الأصمعى،
 :١٩٦٣)

حَقًّا أَبَيْتُ اللَّعْنَ أَنْ أَبْرَ فَرْتَنَا
 عَلَى غَيْرِ إِجْرَامٍ بَرِيقِي مُشْرِقِي
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكَلٍ
 وَالْأَفَادِرْ كُنْسِي وَلَا أَمَزَقِي
 أَكَلَفْتَنِي أَدْوَاءَ قَوْمٍ تَرَكْتُهُمْ
 وَالْأَتَدَارْ كُنْسِي مِنَ الْبَحْرِ أَغْرَقِي

إِنَّ يُثْمَرُوا أَنْجِدَ خِلَافًا عَلَيْهِمْ
 وَإِنْ يُعْمِنُوا مُسْتَحَقِّبِي الْحَرْبِ أُعْرِقِ
 فَلَا أَنَا مَوْلَاهُمْ وَلَا فِي ضَجِيفَةٍ
 كَفَلْتُ عَلَيْهِمْ وَالْكَفَالَةُ تُغْنِي
 وَظَبْيِي بِهِ أَنْ لَا يُكَبِّرَ نِعْمَةً
 وَلَا يَقْلِبَ الْأَعْدَاءَ مِنْهُ بِمَعْبِقِ

قتل علباء بن الحارث الأسدى لحجر بن الحارث الكندى

وفى مقتل الملك حجر بن الحارث ملك كندة موقف آخر من طغيان
 درجة الجماعة على درجة بعد المسافة، وبدأت القصة حين كان
 حجر حاكماً على بنى أسد فى فترة حكم أبيه الحارث بن عمرو،
 وكانوا يدفعون له الإتاوة، فهم مسلمون لمقتضيات بعد المسافة، إلى
 أن رفضوا دفعها فى أحد الأيام، فغزاهم حجر، وسبى منهم -وهى
 مقتضيات الدرجة العالية من بعد المسافة - وكان ممن سباهم عبيد
 بن الأبرص الشاعر، الذى طلب العفو من الملك له ولقومه، فقال
 عبيد (الدينورى، ١٩٥٨):

مَهْلًا أُنِيَّتِ اللَّعْنَ مَهْلًا

إِنْ فِيمَا قُلْتُ آمَةٌ

فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَدَيْ
 رَبِّ الْقُصُورِ إِلَى الْقِيَامَةِ
 تَطْرِيبُ عَابِ أَوْ صِيَا
 حُ مَحْرَقِ وَزُقَاء هَامَةِ
 أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ
 وَهُمْ الْغَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ

ثم ملك حجر بعد موت أبيه الحارث، واستغل بنو أسد عدم استقرار مملكته، وعداواته الكثيرة مع المناذرة، ومشاكله الداخلية مع القبائل العربية، ورفضوا دفع الإتاوة مرة أخرى، فغزاهم حجر، فقتله علباء بن الحارث، فطلب امرؤ القيس بثأر أبيه، قال امرؤ القيس حين كاد يهاجم كنانة ظاناً أنهم بنو أسد (الجزري، ٢٠١٠):

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ
 هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
 وَقَاهُمْ جِدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ
 وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ
 وَأَقْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضٍ
 وَلَوْ أَدْرَكَتْهُ صَفَرُ الْوِطَابِ

وردَ عبيد على امرئ القيس، وفي كلامه الصيغة الجماعية الواضحة، واعتبار شأن مقتل حجر الملك شأنًا جماعيًا تُعنى فيه قبيلة أسد بأكملها، وليس قاتله فقط، قال عبيد (الأسدي، ١٩٩٤):

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا
إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَأْتِكَ أَيَّامُنَا
فَاسْأَلْ تُنْبَأُ أَيُّهَا السَّائِلُ
سَائِلُ بَنَى حُجْرًا وَأَجْنَادَهُ
يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
يَوْمَ أَتَى سَعْدًا عَلَى مَاقِطِ
وَجَاوَلْتُ مِنْ خَلْفِهِ كَاهِلُ
فَأَوْرَدُوا بِرَبِّهَا لَهُ ذُبْلًا
كَأَنَّهُمْ نُّورُ اللَّهَبِ الشَّاعِلُ

مظاهر ارتفاع درجة الجماعية والذكورة في المجتمع العربي الجاهلي

أظهر الفصل السابق من الكتاب ارتفاع درجة الذكورة في المجتمع الجاهلي، وما ترتب عليها من التهديد، والفخر، وذكر

الإنجازات، الناتج عن التنافس بين الأفراد، وإذا اقترن ارتفاع
الذكورة في المجتمع بدرجة عالية من الجماعية، فإن الفرد الذي
يرى نفسه، والذي يتم التعامل معه على أنه جزء من قبيلته،
سينقر نفس الفكر التنافسي إلى سياق جمعي، وبالتالي فإن هذه
التهجة الحادة سيتم استخدامها بصيغة المجموعة أيضاً، فسيضرب
الفرد بسيف قبيلته، ويهدد باسمها، ويفتخر بها، وبإنجازاتها،
ويبالغ في وصفها.

التحدي بصيغة الجماعة

من الأمثلة على التحدي بصيغة الجماعة قول عمرو بن كلثوم
التغلبى (الزوزنى، ١٩٩٣):

نَعْمُ أَنَا سَنَا وَنَعِيفُ عَنْهُمْ
وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
نَطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَا
وَنَضْرِبُ بِالسَّيُوفِ إِذَا عُشِينَا
بِسُفْرِ مِنْ قَنَا الْخَطِيئِ لَنَنْ
ذَوَابِلَ أَوْ بَيْضَ يَخْتَلِينَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا
وُسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا

نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا
وَنَخْتَلِبُ الرِّقَابَ فَنُخْتَلِينَا

وقوله أيضا (الزوزنى، ١٩٩٣):

إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَانِ حَيٌّ
مَنْ الْهَوَلِ الْمُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَا
نَضِبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدٍّ
مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقَيْنَا
بِشُبَّانٍ يَرْوُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا
وَيُثَيِّبُ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبَيْنَا
حُدْيَا النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا
مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَيْنِنَا
فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ
فَتُضْبِحُ خَيْلُنَا عُصْبًا تُبِينَا
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ
فَنُفْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِنَا

بِرَأْسِ مَنْ بَنَى جُشْمَ بْنِ بَكْرٍ
 نَدُّ بِه السُّهُولَةُ وَالْحُرُونا
 أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا
 تَضَعُضُنَا وَأَنَا قَدْ وَنِينَا
 أَلَا لَا يَجْهَلُن أَحَدٌ عَلَيْنَا
 فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ بِصِغَةِ الْجَمَاعَةِ

قام دريد بن الصمة الجشمي بتهديد بني الحارث من مذحج،
 وكان أحدهم قد قتل أخاه خالد، وبتحليل شعر دريد، يلاحظ
 أنه يهدد مجموعة بمجموعة أخرى، على الرغم أن القاتل فرد،
 والمقتول فرد، ولكن الفرد ليس إلا جزءاً من قبيلته، فبالنَّالِ فإنَّ
 المألوف أن تهاجم قبيلة دريد كلها بني الحارث كلهم، قال دريد
 (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يَا بَنِي الْحَارِثِ أَنْتُمْ مَعْشَرُ
 زَنْدُكُمْ وَارِ فِي الْحَرْبِ بُهْمُ
 وَلَكُمْ خَيْلٌ عَلَيْهَا فَتِيَّةُ
 كَأَسْوَدِ الْغَابِ يَحْمِيَنِ الْأَجْمُ

ليس في الأرض قبيلٌ مثلكم
 حين يرفضُ العدا غيرَ جُشم
 لستُ للصُّفةِ إن لم آتكم
 بالخناذيرِ تبارى في اللُجُم
 فتقرُّ العينُ منكم مرةً
 بانبيعاتِ الحرِّ نوحًا تلتدُم
 وترى نجرانَ منكم بلقعا
 غيرَ شمطاءَ وطفلٍ قد يتِم
 فانظروها كالسَّعالي شُرُبا
 قبلَ رأسِ الحولِ إن لم أُحترم

فكان أن ردَّ عبد الله بن عبد المदान على دريد، وكان رثه بنفس
 اللهجة الجماعية في التهديد، قال عبد الله (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نُبئتُ أنْ دُرَيْدا ظَلَّ معترضا
 يُهدى الوعيدُ إلى نجرانَ من حضنِ
 كالكلبِ يعوى إلى بيداءٍ مقفرةٍ
 من ذا يواعدنا بالحربِ لم يحنِ

إن تلقَ حَيَّ بنى الديانَ تلقَهُمُ
 شُمُّ الأنوفِ إليهم عِزَّةُ اليمينِ
 ما كانَ فى الناسِ للديانِ من شبهِ
 إلا رعيينِ وإلا آلُ ذى يزنِ
 أغمض جفونَكَ عما لست نائله
 نحنُ الذينَ سبقنا الناسَ بالذمِ
 نحنُ الذينَ تركنا خالدًا عطبًا
 وسطَ المجاجِ كأنَّ المرءَ لم يكنِ
 إن تهجُّنَّا تهجُّ أنجادًا شرامحةً
 بيضُ الوجوهِ مرافيدًا على الزمِ
 أوزى زيادَ لنا زُئسدًا ووالدنا
 عبدُ المدانِ وأوزى زئده قطنِ

وقال الأعشى ميمون القيسى يهدد يزيد بنى شيبان، ويذكره
 بأفعال قومه القيسيين (التبريزى، ١٩٨٠):

لا أعرفنكَ إن جدتْ عداوتُنَا
 والتمسِ النصرَ منكم عوضَ تحتملِ

تَلْزُمُ أَرْمَاحَ ذِي الْجَدَيْنِ سَوْرَتَنَا
 عِنْدَ اللَّقَاءِ فَتُرْدِيهِمْ وَتَعْتَزِلُ
 لَا تَقْعَدَنَّ وَقَدْ أَكَلْتَهَا حَطْبًا
 تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
 سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا
 أَنَّ نُوفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكْلُ
 وَاسْأَلْ قَشِيرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمْ
 وَاسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَقْتَعِلُ
 إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقْتَلَهُمْ
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَهِلُوا

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي يرد على امرئ القيس الكندي
 تهديده بني أسد بأخذ الثأر لأبيه منهم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نَحْنُ الْأَلَى فَاجْمَعْ جَمْعُ
 عَكَ ثُمَّ وَجْهَهُم إِلَيْنَا
 وَاعْلَمْ بَأَنَّ جِيَادَنَا
 أَلَيْنَ لَا يَقْضِينَ نَيْنَا

ولقد أبحنا ما حمي
 ت ولا مبيع لما حمينا
 هذا ولو قدرت علي
 ك رماح قومي ما انتهينا
 حتى تنوشك نؤشة
 عاداتهن إنا افتونا
 نغلي السباء بكل ما
 تقية شمول ما صونا

وقال جنداش بن زهير العامري يتوعد قريش في يوم العجار
 الثاني (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يا شدة ما شدتنا غير كاذبة
 على سخيئة لولا الليل والحرم
 إذ يتقيننا هشام بالوليد ولو
 أنا ثقفنا هشامًا شالت الخدم
 بين الأراك وبين المرج تبطحهم
 زرق الأسننة في أطرافها السهم

فإن سمعتم بجيش مالك سرفاً
وبطن مراً فأخفوا الجرس واكتتموا
وقال حسان بن ثبّع ملك اليمن يتوعد الروم (الأصفهاني)،
(٢٠١٠):

أيها الناس إن رأيي يُريني
وهو الرأي طوفة في البلاد
بالعوالي وبالقبائل تُردي
بالبطاريق بمشية العوادي
وبجيش عرمرم عربي
جُحفل يستجيب صوت المنادي
من تميم وخنديف وإياد
والبهاليل جُمير ومراد
فإذا سرت سارت الناس خلفي
ومعى كالجبال في كل واد
نقني ثم سق حمير قومي
كأس خمير أولى النهى والعماد

وقال حسان بن ثابت يفتخر بنصر الخزرج على الأوس في يوم

الشَّارِقَةُ، ويتوَعَّد قيس بن الخطيم (الجزري، ٢٠١٠):

وَأَنى لِفُجَاءِ المَطَى عَلَى الوَجَى
وَأَنى لَنَزَالٍ لِمَا لَمْ أَغُودِ
وَأَنى لِقَوَالٍ لَدَى اللُّوثِ مَرْحَبًا
وَأَهْلًا إِذَا مَا رِيحٌ مِنْ كُلِّ مَرَصِدِ
وَأَنى لَيَدْعُونِى النَّدَى فَأَجِيبُهُ
وَأَضْرِبُ بِيضَ العَارِضِ المَتَوَقِّدِ
فَلَا تَعْجَلُنْ يَا قَيْسُ وَارْبِعْ فَإِنَّمَا
قُصَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مَهْنَدِ
حَسَامٍ وَأَرْمَاحٍ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ
مَتَى تَرَاهُمْ يَا بَنَ الخطِيمِ تَلْبُدِ
أَسْوَدَ لَدَى الأشْجَالِ يَخْمِي عَرِينَهَا
مَدَاعِيْسُ بِالْخَطِيئِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

التَّنَافُسُ وَالفِئْرَةُ بِصِيفَةِ الجَمَاعَةِ

وكذلك فقد كان التَّنَافُسُ بَيْنَ القَبَائِلِ حَاضِرًا، كَمَا كَانَ بَيْنَ
الأَفْرَادِ، فَيُلَاحِظُ ادِّعَاءُ فَرْدٍ مَا تَفُوقُ قَبِيلَتَهُ عَلَى القَبَائِلِ الأُخْرَى،
عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ هَذِهِ القَبِيلَةِ. وَجَّهَ حَاجِبُ بَنِ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيَّ

الحديث للحارث بن ظالم المري عندما تخلى حاجب عن حمايته له
 من بنى عامر بلهجة لا تخلو من التنافس القبلي، والفخر، على
 طريقة الفرسان، ولكن بصيغة الجماعة، قال حاجب (الأصفهاني،
 :٢٠١٠):

لَعَفْرُ أَبِيكَ الْخَيْرُ يَا حَارِبَ إِنَّنِي
 لَأَمْنَعُ جَارًا مِنْ كُلَيْبِ بْنِ وَائِلٍ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْمَعْدِيُّ أَنَّنَا
 عَلَى ذَاكَ كُنَّا فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
 وَأَنَا إِذَا مَا خَافَ جَارُ ظُلَامَةٍ
 لِبِئْسَنَا لَهُ ثَوْبِي وَفَاءِ وَنَائِلِ
 وَأَنْ تَمِيمًا لَمْ تَحَارِبْ قَبِيلَةَ
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَعْتَ بِالْكَوَاهِلِ
 وَلَوْ حَارِبْتَنَا عَامِرُ يَا بَنَ ظَالِمٍ
 لَعَضَّتْ عَلَيْنَا عَامِرُ بِالْأَنَامِلِ
 وَلَا سَتِيقَنْتُ عَلَيَا هَوَازَنَ أَنَّنَا
 سَفُوطْنَهَا فِي دَارِهَا بِالْقَنَابِلِ

وقال عمرو بن كلثوم مفتخرًا بقبيلته تغلب بنبرة لا تخلو من

المنافسة مع القبائل الأخرى (التبريزي، ١٩٨٠):

مَتَسَى نَعْقَدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ
تَجُذُّ الْحَبْلُ أَوْ تَقْصِرُ الْقَرِينَا
وَنُؤْخِذُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذَمَارًا
وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَنَا

وذكر الحارث بن حلزة اليشكري البكري نظرة القبائل الأخرى
لقبيلة بكر، وما في هذه النظرة من حسد وكره لإنجازاتهم، قال
الحارث (التبريزي، ١٩٨٠):

فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءِ تَنْمِيهِ
نَا حَصَوْنُ وَعِزَّةُ قَعَسَاءُ
قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّصَتْ بَعْيُونِ النَّ
أَسَ فِيهِمَا تَغِيْظُ وَإِبَاءُ

دراسات سابقة عن التنافس والغيرة بصيغة الجماعة

ذكر ضيف (٢٠٠٨) تضمّن الحماسة الشديدة بين القبائل
العربية الجاهلية حقداً على القبائل الأخرى، وهذا الحق قد صدره
الخصومة والمنازعة بين هذه القبائل.

ذكر إنجازات القبيلة والفخر بها

والفخر أيضًا كان جماعيًا يشمل مآثر القبيلة وإنجازاتها،
فكثُر الفخر بالقبيلة، قال الأعشى ميمون يفتخر بقومه القيسيين
(التبريزي، ١٩٨٠):

نحنُ الفوارسُ يومَ الحنو ضاحيةً
جنبى فطيمة لا ميل ولا عزلُ
قالوا الطرادُ فقلنا تلكَ عادتُنا
أو تنزلون فإننا معشرُ نُزلُ
قد نخضبُ العيرَ فى مكنونِ فائلهِ
وقد يشيطُ على أرماجنا البطلُ

وقال زهير بن جناب الكلبى يفتخر بقومه (الجزرى، ٢٠١٠):

فإننا حيثُ لا يخفى عليكم
ليوثُ حينَ يحتضرُ اللواءُ

قال الحاضرة الذبياني يفتخر بيوم كفافة، ونصر فزارة وبني
ثعلبة على تميم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَنْ تَمِيمٌ وَقَدْ طَغَتْ
مَرَأَى الْمَلَا حَتَّى تَضُمَّنَهَا نَجْدُ

وقال مُعَقِّلُ بْنُ عَامِرٍ الْعَامِرِيُّ فِي يَوْمِ شَعْبِ جَبَلَةَ، وَهُوَ يَوْمُ بَيْنِ
تَمِيمٍ وَغَطَفَانَ وَبَيْنِ بَنِي عَامِرٍ (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نَحْنُ حُمَاةُ الشُّعْبِ يَوْمَ جَبَلَةَ
بِكُلِّ غَضَبٍ صَارِمٍ وَمُعْبَلَةٍ
وَهَيْكَلٍ نَهْدٍ مَعًا وَهَيْكَلَةٍ

وقال لُبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ يَوْمَ شَعْبِ جَبَلَةَ (الأصفهاني،
٢٠١٠):

وَهُمْ حُمَاةُ الشُّعْبِ يَوْمَ تَوَاكَلَتْ
أَسَدٌ وَذُبْيَانٌ الصِّفَا وَتَمِيمٌ
فَارْتَحَتْ كُلُّمَا هَمَّ عَشِيَّةَ هَزَمِهِمْ
حَيٌّ بِمُنْعَرَجِ الْبَيْلِ مُقِيمٌ

وقال الْأَفْوَاهُ الْأَوْدِيُّ فِي قِتَالِ حَدَثِ بَيْنِ أَوْدَ وَبَنِي عَامِرٍ
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَلَا يَا لَهْفَ لَوْ شَهِدْتُ قِنَاتِي
قِبَائِلَ عَامِرٍ يَوْمَ الصَّبِيبِ

غداةً تجمعت كعبٌ إلينا
حلائبٌ بين أفناء الحروب
فلما أن رأونا فى وُغاهَا
كآسادِ الغريفةِ والحجيبِ
تداعوا ثم مالوا عن ذراها
كفعلِ الخامعاتِ من الوجيبِ
وطاروا كلنَّعامِ ببطنِ قَوْ
مُوءَلِّبةٍ على حذرِ الرقيبِ

وقال خدّاش بن زهير العامريّ يفتخر بفعلِ هوازن فى قريش
فى الفجارِ الثّانى (الأصفهانيّ، ٢٠١٠):

فعاركنّا الكُماةَ وعاركونا
عِراكَ النُّمُرِ عاركتِ الأسودا
فولّوا نضربُ الهاماتِ منهم
بما انتهكوا المحارمَ والحدودا
تركنا بطنَ شَمْطَةٍ من علاءِ
كَأَنَّ خِلالَها مَعْرَا شريدا

ولم أرَ مثَّهم هُزِمُوا وَقُتُّوا
ولا كذِيبَانَا عَنَّا مَذُودَا

وقال البند الزماني يفتخر بموقعة ليكر على تغلب (الأصفهاني،
٢٠١٠):

فلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ
وَأَمْسَى وَهُوَ عَزِيَانُ
ولم يَبْقَ سِوَى الْعُدَا
بِ بِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا
شَدَدْنَا شِدَّةَ اللَّيْثِ
عَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بَضْرِبٍ فِيهِ تَفْجِيعُ
وَتَأْيِيْمٌ وَارْتِنَانُ
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزُّقِ
غَذَا وَالزُّقُ مَلَانُ

وقال طرفة بن العبد يذكر انتصار قومه بكر على تغلب يوم
تحلاق اللم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

سائلوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا
 بِقَوَانَا يَوْمَ تَخْلَقُ اللَّحْمَ
 يَوْمَ تُبْدَى الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَقِهَا
 وَتُلْفُ الْخَيْلُ أَغْرَاجَ النَّعَمِ
 وَقَالَ الْأَعَشَى مَيْمُونٌ يَذْكُرُ انْقِصَارَ بَكْرِ عَلِيٍّ تَمِيمٍ يَوْمَ الزُّوَيْرَيْنِ
 (الجزري، ٢٠١٠):

يَا سَلَمَ لَا تَسْأَلِ عَنَّا فَلَا كُشِفَتْ
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا سَوْدٌ مَقَارِيفِ
 نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا يَوْمَ صَبَحْنَا
 يَوْمَ الزُّوَيْرَيْنِ فِي جَمْعِ الْأَحَالِيفِ
 ظَلُّوا وَظَلَّتْ تَكَرَّرَ الْخَيْلُ وَسَطَهُمْ
 بِالشَّيْبِ مِمَّا وَبِالْرَّدِ الْغَطَارِيفِ
 تَسْتَأْنِسُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى بِأَعْيُنِهَا
 لَمَحَ الصَّقُورُ عَلَتْ فَوْقَ الْأَطَالِيفِ
 انْسَلَّ عَنْهَا بِسِيلِ الصَّيْفِ فَاجْرَدَتْ
 تَحْتَ اللَّبُودِ مَتُونٌ كَالزَّحَالِيفِ
 وَقَالَ عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ يَفْتَخِرُ بِفِعَالِ ذُبْيَانَ فِي بَنِي عَامِرٍ

يوم ساحوق (الجزري، ٢٠١٠):

ونحن صيحنًا عامرًا في ديارها
غلالة أرماح وضربًا مذكرا
بكل رُقاق الشفرتين مهتدٍ
ولدين من الخطي قد طرَّ أسمر
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم
ومقتلهم تحت الوغى كان أجدر

وقال عنقرة بن شداد في غارات قومه عنهم على قبائل ضبة
وتميم (المبيني، ٢٠٠٤):

تُزاجفُ زحما أو نلاقى كتيبة
تُطاعفُننا أو يذعرُ السرخ صائحُ
فلما التقينا بالجفار تصعضو
ورُدت على أعقابهم المِسالِحُ
وسارت رجالُ نحو أخرى عليهم الـ
خديدُ كما تمشي الجمالُ الدوالِحُ
إذا ما مشوا في السابِغاتِ خببتهم
سُيولا وقد جاشت بهم الأباطِحُ

فَأَشْرَعَتْ رَايَاتٍ وَتَحَتِ ظِلَالُهَا
 مِنْ الْقَوْمِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ الْمَرَاجِحُ
 وَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قَطْبِهَا الرُّوحُ
 وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ الصَّفَائِحُ
 بِهَا جِرَّةٌ حَتَّى تَعْيِبَ نَوْرُهَا
 وَأَقْبَلَ لَيْلٌ يَقْبِضُ الطَّرْفَ سَائِحُ
 تَدَاعَى بَنُو غَيْبٍ بِكُلِّ مُهَنَّبٍ
 حُصَامٌ يُزِيلُ الْهَامَ وَالضَّفَّ جَانِحُ
 وَكُلُّ رُذَيْنِي كَأَنَّ بَسْدَهُ
 بِشَهَابٍ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَاضِحُ
 فَخَلُّوا لَنَا عَوْدَ النِّسَاءِ وَجَبَّيُوا
 غَبَابِيذَ مِنْهُمْ مُسْتَقِيمُ وَجَامِحُ
 وَكُلُّ كَعَابٍ خَذَلَةِ السَّاقِ فَخْمَةٌ
 لَهَا مَنْصِبٌ فِي آلِ ضَبَّةٍ طَامِحُ
 تَرَكْنَا ضِرَارًا بَيْنَ عَانٍ مُكْبَلٍ
 وَبَيْنَ قَتِيلٍ غَابَ عَنْهُ النُّوَابِحُ

وَعَمَرُوا وَحَبَانًا تَرْكَمَا بِقِفْرَةٍ
تَعُودُهُمَا فِيهَا الضَّبَاعُ الْكُوالِحُ
يُجَسِّرُونَ هَامًا فَلَقَتْهَا رِمَاخُنَا
تَزِيلُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَسَابِخُ

وقال يذكر أفعال عبس بقبيلة كلب عند ماء عُراعر، وقتلهم
لسيدهم مسعود بن مصاد (العبسي، ٢٠٠٤):

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنْ يَوْمَ عُراعر
شَفَى سَقَمًا لَوْ كَانَتْ النَّفْسُ تَشْتَفِي
فَجِئْنَا عَلَى غَمِيَاءَ مَا جَمَعُوا لَنَا
بِأَرْغَمَ لَا خَلٍّ وَلَا مُتَكَشِّفٍ
تَمَارَوْا بِنَا إِذْ يَمْدُرُونَ جِيَاضَهُمْ
عَلَى ظَهْرِ مَقْصِيٍّ مِنَ الْأَمْرِ مُحْصَفُ
وَمَا نَذَرُوا حَتَّى غَشِينَا بُيُوتَهُمْ
بِقَبِيَّةٍ مَوْتٍ مُسْبِلِ الْوَدْقِ مُزْعِفِ
فَطَلْنَا نَكْرُ الْمَشْرِقِيَّةَ فِيهِمْ
وَحُرْصَانَ لَدُنِ السَّمْهَرِيِّ الْمُتَقَفِ

عَلَّائُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٍ
 بِأَسْيَافِنَا وَالْقَرْحُ لَمْ يَتَّقَرْفِ
 أَبِينَا فَلَا نُعْطَى السَّوَاءَ عَدُونَا
 قِيَامًا بِأَعْضَادِ السَّرَاءِ الْمُعْطَفِ
 بِكُلِّ هَتُوفٍ عَجَسُهَا رَضْوِيَّةَ
 وَتَسْهِمُ كَسِيرِ الْجَمِيرِ الْمُؤْتَفِ

وقال مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو الْجَرَهْمِيِّ مُفْتَخِرًا بِنَصْرِ جَرَهْمٍ عَلَى
 قَطُورَاءَ (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَنَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْحَيِّ عَثْوَةَ
 فَأَصْبَحَ مِنْهَا وَهُوَ خَيْرَانُ مُوجَعُ
 وَمَا كَانَ يَبْغِي أَنْ يَكُونَ سَوَاؤُنَا
 بِهَا مَلِكًا حَتَّى أَتَانَا السَّمِيدُ
 فَذَاقَ وَبَالَآ حِينَ حَاوَلَ مُلْكُنَا
 وَحَاوَلَ مِنَّا غَصَّةً تَتَجَرَّعُ
 وَنَحْنُ غَمْرُنَا الْبَيْتَ كُنَّا وَلَاتُهُ
 نَضَارِبُ عَنْهُ مَنْ أَتَانَا وَنَدْفَعُ

وما كان ينبغي ذاك في الناس غيرنا
ولم يك حى قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت
ورثنا ملوكاً لا ترام فتوضع
وقال حاجز بن عوف الأزدي يفتخر بأيام قومه (الأصفهاني)،
(٢٠١٠):

إن تذكروا يوم القرى فإنه
بواء أيام كثير عيدها
فنحن أبحن بالشخيمة واهنا
جهازاً فجئنا بالنساء نقودها
ويوم كراء قد تدارك ركضنا
بني مالك والخيل صغر خدودها
ويوم الأراكات اللواتي تأخرت
سراة بني لهبان يدعو شريدها
ونحن صبحنا الحي يوم تنومة
بملؤمة يهوى الشجاع وثيدها

ويوم شرّوم قد تركنا عصابةً
لدى جانب الطُّرُقَاء حُمراً جلودها
فما رغمت حلفاً لأمر يصيبها
من الذلّ إلا نحنُ رغماً نزيدها

وقال زهير بن جَنَاب الكلبي يذكر إحدى وقعات قومه
(الأصفهاني، ٢٠١٠):

سُيُوفٌ وأرماحٌ بأيدي أعزّةٍ
ومَوْضُونَةٌ بمِثْلِ أَفْسَادِ مُحَرِّقٍ
فما برحوا حتى تركنا رثيتهم
وقد مار فيه المَضْرَجِيُّ المَذَلُّقُ
وكائنٌ ترى من ماجدٍ وابنِ ماجدٍ
لَهُ طَغْفَةٌ نجلاءٌ للوجهِ يشهَقُ

المبالغة في وصف القبيلة

كذلك فإن الوصف المبالغ فيه يكون أيضاً على مستوى القبيلة،
فيصف الشعراء قبائلهم باعتبارهم جزءاً منها. أكثر عمرو بن كلثوم
في وصف قومه تغلب، وكان مما قاله فيهم (التبريزي، ١٩٨٠):

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ
 إِذَا قُبِبَ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
 بِأَنَا الْعَاصِمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ
 وَأَنَا الْهَادِلُونَ لِمُجْتَدِينَا
 وَأَنَا الْمَابِعُونَ لِمَا يَلِينَا
 إِذَا مَا الْبَيْضُ رَايَلَتْ الْجُفُونَا
 وَأَنَا الْمُتَعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا
 وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أَتَيْنَا
 وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفْوَا
 وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَذْرًا وَطِينَا

وقال فيهم أيضًا (الزوزنى، ١٩٩٣):

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا
 يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
 يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ
 وَلَهُوتُهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا

وقال أيضًا (التبريزي، ١٩٨٠):

وَنَحْنُ عَبْدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَا
 رَقْدُنَا فَسُوقَ رَقْدِ الرَّافِدِينَا
 وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذِي أَرَاطَى
 تَسْفُ الْجَلَّةُ الْخُورُ الدَّرِينَا
 وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطْعِنَا
 وَنَحْنُ الْعَارِمُونَ إِذَا عُصِنَا
 وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا
 وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا

وقال أيضا (الزوزنى، ١٩٩٣):

إِذَا بَلَغَ الْبَطَامَ لَنَا صَبِيٌّ
 تَخِرُّ لَهُ الْجَنَابِرُ سَاجِدِينَ

وقال السموأل بن عاديء يصف قومه بنى الديان (الطائي،

: ١٩٩٨)

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
 فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

وَمَا قَلُّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ
وَمَا ضَرُّنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نَجِيرُهُ
مَنْيَعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ
هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ
يَعِزُّ عَلَى مَنْ كَادَهُ وَيَطْوِلُ
وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَابِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا
وَتُكَرِّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطْوِلُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فَرَاشِهِ
وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ
صَفُونَا قَلَمَ نَكْدَرِ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا
إِنَاثُ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفَحُولُ
عَلُونَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطْنَا
لِوَقْتِ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ
فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمَزِينِ مَا فِي بَصَابِنَا
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلُ
وَنُنَكِّرُ إِنِ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ
وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
إِذَا سَيِّدُ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُ
قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ
وَمَا أَخْبَدَتْ نَارُ لَنَا دُونَ طَارِقِ
وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نُزِيلُ
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا
لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ قُلُولُ

معدود، لا تُنَلَّ بِصَالِهَا
فَتَقْدَحُ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
سليمان حطت الناس عنا وعنهم
وليس سوا عالم وجهول
«من دس الديان قطب لقومهم
تدور رحاهم حولهم وتجول»

وقال الأعشى يسمون القيسى فى قومه (القيسى، ١٩٥٠):

نسى - يا خيل تحمل بئرنا
خانيذ منها جلة وصلاب
تنتق أدمالا يخيّم سلاحهم
إذا كان خمّا للصّيح الجماعم
وأنا أدار يعتدى الناس خلفنا
كَمَا يَعْتَدِي النَّاءُ الظَّمَاءُ الْحَوَائِمَ

وقال الحارث بن حلزة يبتكر قومه اليكريتين (التبريزى،

: (١٩٨٠)

فَبَقِينَا عَلَى الشَّيْءِ تَتَعَيَّنُ
 قَالَا حَصَوْتُ وَعَوْتُ نَعْمَاءُ
 قَبْلَ مَا الْيَوْمُ بَيُّضَتْ يَعْيُونِ الْكَ
 تَابَسَ قِيَمَهَا تَغِيَتْ وَأَسَاءُ
 وَكَأَنَّ الْمُنُونِ تَسْرُدِي بِنَا أُرُ
 عَنْ جَوْنًا يَنْجَالِبُ عَمَلُ الْعَمَاءُ
 مَكْفَهْرًا عَلَى الْحَوَالِثِ مَا تَرُ
 تُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيِّنُ حَمَاءُ

وصف الأدوات الحربية الخاصة بالقبيلة

قال زهير بن مسعود الضبي يصف قطعان الغنم والحيول،
 والسيوف لدى قومه (البغدادي، ١٩٩٩):

وَقَدْ أَرَى الْحَيَّ بِهَا فِيهِمْ
 كَهَيْبَتِ الشَّيَاطِينِ وَالشُّعْبِ
 وَالْجَامِلِ الْحَوْمِ لَهُ رَجَاءُ
 كَأَنَّهُ لِلنَّاطِلِ أَنْبُوبُ

وَالصَّافِنَاتُ الْجُرُودُ كُلُّ إِلَى

صالح عرق الخيل منسوب

وَقُضِبُ الهندي مجلوزة

قد قومت منها الأنابيب

وقال معقر بن حمار يصف خيول قومه بني بارق وهم من

الأزد - في يوم جيلة (البغدادى، ١٩٩٩):

يُفَرِّجُ عَنَّْا كُلَّ ثَغْرِ مَخَافَةٍ

جَوَادُ كَبْرَحَانَ الْأَبَاءِ ضَامِرُ

وَكُلُّ طَمُوحٍ فِي الْجِرَاءِ كَأَنَّهَا

إِذَا أَغْتَمَّتْ فِي الْمَاءِ فَتَخَاءُ كَابِرُ

لَهَا نَاهِضٌ فِي الْمَهْدِ قَدَمَهُدَّتْ لَهُ

كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَعْلِ حَسَنَاءُ عَاقِرُ

قال الأعشى ميمون يصف الرماح والسيوف لدى قومه القيسيين،

ويهدد بها الحارث بن وعلّة (القيسى، ١٩٥٠):

فَلَا وَأَبِيكَ لَا نَعْطِيكَ مِنْهَا

طَوَالَ حَيَاتِنَا إِلَّا سِنَانًا

وَلَا كُلُّ أَتَمَرٍ وَهُوَ ضَنْقٌ
 كَأَنَّ اللَّيْطَ أَنْبَتَ خَيْرَانَا
 وَلَا كُلُّ ذِي شُطْبٍ صَقِيلٌ
 يَقْدُ إِذَا عَلَا الْعُنُقُ الْجِرَانَا
 أَكْبَّ عَلَيْهِ مِصْقَلَتَيْهِ يَوْمًا
 أَبُو عَجَلَانَ يَشْحَذُهُ قَتَانَا
 فَظَلَّ عَلَيْهِ يَرْشَحُ غَارِضَاهُ
 يَحُدُّ الشَّقْرَتَيْنِ فَمَا أَلَانَا

دراسات سابقة عن وصف الأدوات الحربية الخاصة بالقبيلة

تطرَّق ضيف (٢٠٠٨) لوصف العرب الجاهليين لأدوات
 الحرب الخاصة بقبائلهم كثيراً مثل السيوف، والقسي، والرماح،
 والخيول، وأكد أن هذا الوصف جاء لترهيب الأعداء من القبائل
 الأخرى، وللمفاخرة عليهم.

أهمية النسب ووراثة الأمجاد القبلية

وللنظرة إلى الفرد على أنه جزء من مجتمعه عدّة مظاهر تمّ
 نقاشها سابقاً، منها أهمية النسب، ولأنّ المجتمع العربي في
 الجاهلية ذو درجة عالية من الجماعية، فمن المتوقع ظهور هذا

المظهر فيه. قال عمرو بن كلثوم يذكر الأمجاد التي ورثتها قبيلة تغلب من أسلافه (التبريزي، ١٩٨٠):

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلَقَمَةَ بْنِ مَيْفٍ
أَبَاحَ لَنَا حُصُونِ الْمَجْدِ دِينَا
وَرِثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ
زُهَيْرًا نَعْمَ ذُخْرُ الدَّاجِرِينَا
وَعَتَابًا وَكُلْتُومًا جَمِيعًا
بِهِمْ نَلْنَا ثَرَاتِ الْأَكْرَمِينَا
وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ
بِهِ نَحْمِي وَنَحْمِي الْمُتَجِينَا
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّيبٌ
فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا

وقال في ذلك أيضًا (التبريزي، ١٩٨٠):

وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعْدُ
نُطَاعِنُ نُونَهُ حَتَّى يَبِينَا

وقال مضاوي بن عمرو الجرمي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَكُنَّا مُلُوكًا فِي الدَّهْورِ الَّتِي مَضَتْ
وَرِثْنَا مُلُوكًا لَا ثَرَامَ فَتَوَضَّعُ

دراسات سابقة عن أهمية النسب ووراثة الأمجاد القبلية

اعتنى العرب كثيراً بالأنساب القبلية، لدرجة فصله كعلم منفصل، وظهور من برعوا فيه، ولاحقاً ألقت عدة مراجع مهمة تحدثت بهذا الشأن، منها مثلاً جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، والذي أكد في مقدمته على الصّوروات الاجتماعية والدينية لمعرفة الأنساب، كما شرح ابن حزم بالتفصيل نسب العرب كلها، وبعض البربر، وتطرق أيضاً لفاخرات العدنانيين مع القحطانيين على الملك، والدين، كما ذكر افتخار القبائل الجاهلية على بعضها البعض بالشجاعة، والكرم، والحكمة، والرئاسة، والشعر (الأندلسي، ١٩٩٢)، وقد أكد على (١٩٩٣) هذا الرأي أيضاً، وذكر حرص القبائل الجاهلية على حفظ أنسابها، والتعصب لها.

انعدام الخصوصية في القبيلة

وتمنح النظرة إلى الفرد كجزء من مجموعته أيضاً الحق للمجموعة في مناقشة أموره، مما يؤدي إلى انعدام الخصوصية، ونظرة العار التي تلحق الأفراد ومجموعاتهم حال شيوع فعلهم لشيء مخالف

للأعراف، فكان مجرد الكلام له وقع كبير على القبائل -حتى وإن لم يجئ بدليل عليه - وكان العرب في الجاهلية يستخدمون هذا الأسلوب -محاولة إلحاق العار بالخصم - لمعرفةهم بأثره القوي. قال الأعشى ميمون يردّ مزاعمًا ليزيد الشيباني على قبيلته قيس (التبريزي، ١٩٨٠):

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة
أيا تُثبِت أما تفك تأكل
ألست مُنتهياً عن نحت أثلتنا
ولست ضارها ما أطبت الإبل
كناطح صخرة يوماً ليفلقها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
تغرى بنا رهط مسعود وإخوته
عند اللقاء فتردى ثم تعزل
لا أعرفك إن جدت عداوتنا
والتمس النصر منكم عوضاً تحتمل

وقال الحارث بن حلزة يشكو كلام التغلبيين عن قبيلته بكر (الزوزنى، ١٩٩٣):

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَابِثِ وَالْأَنْبَا
 ، خَطِبَ نَعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ
 إِنَّ إِخْوَانَنَا الْأَزَاقِمَ يَغْلُو
 نَ عَلَيْنَا فِي قِيْلِهِمْ إِحْفَاءُ
 وَقَالَ أَيْضًا فِي نَفْسِ الْمَنَامَةِ (التَّبْرِيزِيُّ، ١٩٨٠):

أَيْهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا
 عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِّذَاكَ بَقَاءُ
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غِرَاتِكَ إِنَّا
 قَبْلَ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ

وهذا عمرو بن كلثوم يفتخر بكرم تغلب قبيلته، وضيافتهم لبني
 الطَّمَّاح ودعمنى، ولكن عمرو مهتم برأيهم في منزلهم، ويخشى ذكر
 تغلب بسوء، وهذا أمر يشغله، قال عمرو (التَّبْرِيزِيُّ، ١٩٨٠):

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا
 وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
 نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا
 فَعَجَّلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ
قُنَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طُحُونًا

أثر الشائعة في القبيلة والتعامل معها

وأثر الشائعة قوى جدًا في هذه المجتمعات، فهذا النابغة الذبياني قد فرّ من الملك النعمان بن المنذر لشائعة أطلقها عليه كل من الفحل اليشكري ومرة بن ربيع بن قريع، وأرسل النابغة الاعتذارات تلو الأخرى للملك، وهذا لمجرد شائعة، وكان مما قال (الذبياني، ١٩٩٦):

فلا لعمرُ الذي مسحتُ كعبتهُ
وما هريقَ على الأَصَابِ مِنْ جَسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ تمتَحُها
ركبانُ مكةَ بينَ الغيلِ والسَّعدِ
ما قلتُ من سيئٍ؛ مما أتيتُ بهِ
إذا فلا رفعتُ سوطي إلى يدي
إلا مقالةَ أقوامٍ شقيتُ بها
كانتْ مقالَتُهُمْ قَرْعًا على الكبدِ

إِنَّ فَعَاقِبَتِي رَبِّي مُعَاقِبَةٌ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْفَنَدِ

وقال أيضا (الذبياني، ١٩٩٦):

أَتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبِطٌ لِي بَغْضَةٍ
لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعُ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبِ
وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعُ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقْوَمِهِ
وَلَوْ كَبِلْتُ فِي سَاعِدِي الْجَوَامِعُ

وقال عامر بن جوين الطائي يردّ مزاعم بني جرم، وهم بطن من
طي، كانوا قد ادّعوا أنّ شعره ملتبس بغيره (البغدادي، ١٩٩٩):

وَبَنُو جَرِمٍ وَإِنْ زَعَمُوا
أَنَّ شَعْرِي كَانَ مُؤْتَشِبًا
إِنِّي غَيْرَ الَّذِي زَعَمُوا
وَابْسِطْ فَيَ طَيِّ نَسَبًا
إِنِّي مِنْ غَضَبِهِ فَرَعْتُ
بِرُوءَ لِمَا تَكُنْ ذُنَابًا

الفكر الواحد والنظرة إلى أصعاب الأفكار الجديدة

ونتيجة لوحدة مصير الأفراد مع قبائلهم، وانصهار الهوية الفردية فيها، فقد فقدوا الحرية المطلقة للتفكير، ووجب عليهم التفكير ضمن إطار القبيلة الذي رسمته عاداتها وتقاليدها، وقد ساعد على هذا أيضًا انعدام الخصوصية، وتناول شؤون الأفراد على أنها شأن قبلي جماعي، فبالتالي تعميم حق التحدث فيها، والشعور بالعار المرافق لأية شائعة، والنتيجة أنه ليس لأحد من الأفراد أن يأتي بجديد، والآن سيقابل باستهجان القبيلة، ورفضها، وكلامها. ظهرت معاناة طرفة بن العبد، الذي ذكر تجنّب قومه له، لكثرة شربه الخمر، وتبذيره في الإنفاق، فقال (القيسي، ٢٠٠٢):

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذْتِي
وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَبَثِيرَةُ كُلُّهَا
وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْعَبْدِ
رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي
وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمُدْبِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِي أَحْضِرِ الْوَعْيَ
وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَبِيتِي
فَدَعْنِي أَبَادُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

الصَّعَالِيكُ

وقد تعددت ردود أفعال الأفراد نتيجة لهذا الضغط الجماعي على فكرهم وسلوكهم، وما تركته الطبقية وأهمية النسب من ظلم اجتماعي وعدم إعطاء الفرصة لعيش حياة مختلفة، فمن الأفراد من اكتفى بلوم أقاربه وعشيرته وشكوى جفائهم، مثل ما فعل طرفة بن العبد البكري، الذي عومل بجفاء من عشيرته لكثرة شربه الخمر وانصرافه للهوى وإنفاقه غير المحسوب، ومنهم من انتزع حقوقه وغير عادات قبيلته لحاجتها إليه، وهذا ما فعله عنتر بن شداد العبسي، الذي كان يُعامل معاملة الفئات الأقل مكانة نتيجة لسواد لونه، ولكنه فرض حقوقه بفروسيته، ومنهم من ثار على الوضع القائم، وترك قبيلته، واتجه إلى مجتمع جديد، أو حاول صنع مجتمع عادل، وفردى، فكان مجتمع الصَّعَالِيك؛ والصَّعَالِيك هم من تحرروا من تبعيتهم القبلية، وعاشوا بمعزل عن قبائلهم، وقد ورد ذكر لفظ الصَّعَالِيك صراحة في شعرهم، قال عمرو بن براق النهمي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

تقول سليمان لا تعزّضن لثقلته

واليلك عن الليل الصعاليك قائم

ذكر ضيف (٢٠٨) ثلاثة أسباب أدت لتقصّك في الجاهلية،
وهي خلع القبائل للأفراد بسبب كثرة جرائمهم، أو مجموعة أبناء
السود الذين نبذوا للنسيبهم، أو الذين احترقوا الصلابة.

بعض هذه الأسباب يشير بوضوح إلى ارتفاع درجة الجماعية،
حيث رفضت القبائل أن يخرج عن مألوفها في السبب الأول
وطردنّه، ممّا يدلّ بوضوح على عدم تقبّل أية فكرة غير مألوفة،
وخلع صاحب ممّا يدفعه إلى اللجوء لمجتمع جديد، فعال الكثير
من هذه الفئة صعاليك، ومن الأمثلة على ذلك خلع خزاعة لقيس
بن الحذافرة، وتبرؤها منه، وإعلانها أنها لا تحمل جريمة له ولا
تطالب بحريّة عليه، فالتجأ قيس إلى بني عديّ بن عمرو بن خالد،
ثمّ إلى بني عديّ بن قيس في التجأه إلى بني عديّ (الأصقهانى)،
(٢٠٩)

حريّ بن خير عن خلع مطري

رجالاً حموة آل عمرو بن خالد

وآداب الظلم، وأهمية النسب - وهي من مظاهر ارتفاع درجة
الجماعية كما في سابقاً - إلى عدم تقبّل أيتاء السود، والتعامل معهم
على أنهم من اجتماعيّات، ممّا أدّى إلى شعورهم بالظلم الاجتماعي،

وبحثهم عن مجتمع أكثر عدلاً، فتشكلوا عتاد القسنة الفانية من فئات الصّعاليك، ومن هذه الفئة كلُّ السّليّك من السّلكة.

أمّا الفئة الثالثة، وهي فئة محترقي الصّعلتك. درّ در سستها أكثر غموضاً، وربما كلُّ السّجاء أقرانها إلى الصّعلتك المولوحين، نابغاً من نظرة شاملة للمجتمع ومعطيائه، وليس سادس شخصياً، وأبرز الصّعاليك من هذه الفئة كان عروة بن العروة العيسى. ذكر عروة صراحة انتفاء أمّه لقبيلة نهد، وهي قبيلة سبب ذات شأن كبير، وهو العار الوحيد الذي يلزمه، فقال (١٩٩١).

وما بي من عارٍ إخال علمته

بسوى أنّ أخوالى إنا ننسبوا نهد

وعروة وإن ذكر هذا الأمر، فإنّه كان من السراة سره. ذكر الحطيئة للخليفة عمر بن الخطّاب أنّ عيسى فسى حاجتها كنت تأتم بشعر عروة (الأصمعي، ٢٠١٠). فلا يبدو أن عروة قد عانى الظلم الاجتماعي بشكل شخصي، بل كانت مصيره عروة للمجتمع أكثر شمولية، وأشارت عدّة مصادر (الأصمعي، ٢٠١٠. العيسى، ١٩٩٨) إلى تزعم عروة مجتمع الصّعاليك حتى أن عروة الصّعاليك، ويبدو أنّه حاول أن يؤسّس نظاماً اجتماعياً في طبقة فيه، ويتساوى فيه الأقران مع السّادة. فلا يبدو أنّ جزءاً من غنائم الصّعاليك لنفسه - كما اعتقد - من

كان يأويهم ويطعمهم إذا فشلوا في غاراتهم، قال عروة لرجل غيره
بنحول جسمه (العيسى، ١٩٩٨):

إني امرؤ عافى إنائي بشركة
وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ مني أن سميت وأن ترى
بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جُسوم كثيرة
وأخسو قراح الماء والماء بارد

ودعا عروة أيضًا في شعره إلى المثابرة وتبذ الكسل، فهي صفات
الصعلوك الناجح في رأيه -وهي مختلفة عن صفات الفرد الناجح
في المجتمعات التقليدية التي يلعب فيها النسب دورًا مهمًا في
النجاح - قال عروة (العيسى، ١٩٩٨):

لحي الله صعلوكًا إذا جنَّ ليله
مصافي الشاش ألفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسه كل ليلة
أصاب قراها من صديق ميسر

يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يَصْبِحُ نَاعِثًا
 يَحُتُّ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ
 قَلِيلُ التَّمَاسِ الزَّادِ إِلَّا لِنَفْسِهِ
 إِذَا هُوَ أَمْسَى كَالْعَرِيشِ الْمَجُورِ
 يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ
 وَيُمْسِي طَلِيخًا كَالْبَعِيرِ الْمَحْسُورِ
 وَلَكِنْ صَعَلُوكَا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
 كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَابِضِ الْمُتَنَوِّرِ
 مُطْلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجِرُونَهُ
 بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الشَّهْرِ
 إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ
 تَشَوَّفُ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ
 فَذَلِكَ إِنْ يَلَقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا
 حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَفِنَ يَوْمًا فَاجْدِرِ

وكانت لامية الشنفرى الأزدى من أبرز ما قيل فى الانخلاع عن

القوم والتّصعلك، قال الشّنفري (الهاشمي، ١٩٦٩):

أقيموا بنى أُمى صدورَ مَطيكم
فإنّى إلى قومِ سواكم لأنيلُ
فقد حَمَتِ الحاجاتُ واللّيلُ مقمرُ
وشدّت لِطَيّابِ مطايا وأرحلُ
وفى الأرضِ منأى للكريم عن الأذى
وفيهما لئن خافَ القلى مُتعرّلاً
لعمرك ما بالأرضِ ضيقٌ على أمرى
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولى بونكم أهْلون سيّدُ عملسُ
وأرقطُ زُهْلول وعرفاءُ جيّالُ
هم الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعُ
لديهم ولا الجانى بما جرُّ يُخذلُ

فمن الواضح شكوى الشّنفري من انعدام الخصوصية، وجعلها السّبب الأول لاتخاذ قرار التّصعلك، وعدم الخصوصية من أهم سمات المجتمعات عالية الجماعة.

دراسات عن الفكر الواحد والنظرة إلى أصحاب الأفكار الجديدة

قال طقّوش (٢٠٠٩) أنّ الفرد الذى كان يخالف أعراف القبيلة فى الجاهليّة، أو يرتكب جريمة ترفضها، فإنّه يُطرد منها، ويُسمّى الطّريد، ويتمّ خلعُه فى المواسم والأسواق العامّة، وتطرّق على (١٩٩٣) إلى قضية خلع القبيلة لأحد أفرادها، وقال إنّ الفرد الذى لا يقوم بواجباته ويشعر بتبعيته لقبيلته، أو يجرم ويستمرّ فى غيّه، فإنّه يُخلع من قبيلته بإعلان فى موقف رسمى وعامّ مثل الحج والأسواق، ليعلم به الجميع، من قبيلته ومن القبائل الأخرى. وأكد بروّنة (٢٠٠٩) أنّ ظهور فئة الصّعاليك فى الجاهليّة ما هو إلّا مشروع إنشاء مجتمع جديد يميل لدرجة أعلى من الفرديّة، ويسمح بدور أكبر للأفراد، بعيداً عن مجتمع القبيلة التّقليدى الذى كان يتمتّع بمجموعة من المحرّمات والمقدّسات التى يجب ألا تُخرق، وينتج عنها ذوبان لشخصيّة الأفراد فى عادات القبيلة ورموزها، وذهب عبد الرحيم وأحمد (٢٠١٧) إلى أنّ أسباب الصّعلكة كانت سلوك المجتمع تجاه الفقراء، وتعامل المجتمع مع الصّعاليك على أنّهم أقلّ مكانة إمّا للونهم، أو لسلوكهم.

عدم التيقن

تعريف ببعد عدم التيقن

كلّ الناس معرّضة لمواجهة حقيقة أنّها لا تعلم الذي سيحدث مستقبلاً، فالمستقبل غير مؤكّد وغامض، والغموض يزيد من القلق، والقلق مختلف عن الخوف من حيث ارتباط الخوف بمسبّب، فيخاف الشخص لسبب ما، أمّا القلق فغير مرتبط بسبب، بل مرتبط بعدم التيقن والغموض، ودرجة الشعور بالقلق من الأشياء الغامضة هي درجة مكتسبة ثقافياً من البيئة المحيطة بالأفراد، ويلعب بُعد عدم التيقن الدور الرئيسي في تشكيلها، وعدم التيقن هو البعد الرابع في الثقافة المجتمعية، ويمكن تعريفه على أنّه مدى القلق -وما يسبّبه من تهديد- من الأشياء الغامضة والمواقف غير المألوفة، وتؤثر درجة عدم التيقن على السلوك الجمعي للأفراد في مجموعة ما.

يحتاج الناس في المجموعات عالية عدم التيقن إلى تنظيم المواقف، وترتيبها، وتجنب الأشياء المفاجئة، وغير المحسوبة، ويتمّ ذلك بكثرة القوانين، والتشريعات، التي تسعى لتنظيم كل شيء، بغض النظر عن اتباعها من عدمه، ولكن مجرد وجودها مريح ومخفف للقلق، والمجموعات القلقة هي مجموعات تعبيرية، يظهر الأفراد فيها مشاعرهم سواء الإيجابية أو السلبية، ويلجأون

إلى طرق للهروب من القلق، ومن هذه الطرق شرب الخمر، أما المجموعات منخفضة عدم التيقن، فلا يقلق الناس من الغموض وعدم الترتيب كثيراً، فيقلّ القلق، والعصبية، والتعبير الإيجابي والسلبى عن المشاعر، ولا تستدعى الحاجة لكثير من القوانين، فليس بالضرورة أن يكون كل شئ منظماً تماماً.

تأثير عدم التيقن فى الأسرة

وعدم التيقن له تأثيراته التى تبدأ من الأسرة، وينقلها الفرد معه إلى المجتمع الأكبر، شأنه فى ذلك شأن الأبعاد الثقافية الأخرى. يقوم الأهل فى المجتمعات التى تتميز بارتفاع درجة عدم التيقن بتربية أبنائهم على التسمية الصارمة للأشياء، والقيم، والسلوكيات، وأن أى شئ ليس له إلا بعدين، أحدهما جيد تماماً، والآخر سيئ تماماً، فالصنيف ضيق ومطلق، ولا يعطى الفرصة لخيارات متعددة، كذلك طرق عمل الأشياء -حتى البسيطة منها- تصبح متوارثة، ويصعب تغييرها، والتفريق بين الخير والشر واضح وحاد، ولا يحتمل النسبية، وأى شئ مختلف عن الحقيقة الواحدة خطير، وبالقالى فإن الغريب مثير للرغبة والقلق، ونتيجة لارتفاع نسبة القلق، ترتفع نسبة التفكير العاطفى، ثم يصبح التعبير عن المشاعر مقبول، والتصرفات العصبية أو الحميمة مقبولة أيضاً، ووجود القوانين مهم كمرجعية للأفراد، ولكن ليس

بالضرورة الالتزام بها.

والأسرة في المجتمعات ذات الدرجة المنخفضة على مقياس عدم التيقن لديها تصنيفات أيضاً ومسميات للأشياء، ولكنها أقل دقة، وليست مطلقة، إذ تحتل خيارات عديدة، فبالنّال أي شيء مختلف عن الذي تعودّه الفرد فيها مثير للفضول والاهتمام، فالقلق لغير المألوف منخفض، والتّفكير العاطفي قليل، فبالنّال التعبير العاطفي قليل أيضاً.

الأسرة العربيّة الجاهليّة على مقياس عدم التيقن

وضوح وصرامة وصايا الآباء للأبناء

والتأمّل في واقع حال الأسرة العربيّة في الجاهليّة يكشف أنّها تميل بشكل واضح وكبير لدرجات عليا على مقياس عدم التيقن، فالقوانين فيها صارمة، وواضحة، ولها شكل واحد للتطبيق، وعدم تطبيقها يستوجب الوصف بالصفة المطلقة على الطرف النقيض الآخر، وينقل الآباء حكمتهم على شكل وصايا لأبنائهم، وهي وصايا مباشرة، ومطلقة. أوصى ذو الإصبع العدواني ابنه أسيد بمجموعة من الوصايا المحددة، لدرجة لا تعطى مساحة لأسيد لأن يتعامل بنفسه مع الأحداث، فالدرجة العالية من عدم التيقن ليست بسبب مجرد الوصايا، أو الحكم، أو مكارم الأخلاق، بل بسبب التسميات المطلقة للأشياء، والحكم عليها بمنظور الحق المطلق، أو

الباطل المطلق، قال ذو الإصبع (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَنْسَيْدُ إِنْ مَالًا فَلَنْكَـ

تَ فَيَسِّرْ بِهِ سَيِّرًا جَمِيلًا

آخِ الْكِرَامَ إِنْ اسْتَطَعـ

تَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا

وَاشْرَبْ بِكَاسِهِمْ وَإِنْ

شَرِبُوا بِهِ السُّمُّ الْقَمِيلَا

أَهِنْ اللَّئَامَ وَلَا تَكُنْ

لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذَلُولَا

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا تَوَا

خِيَهُمْ وَجَدَتْ لَهُمْ فُضُولَا

وَدَعَ الَّذِي يَعِدُ الْعَشِيرَ

رَةً أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلَا

أُهْنِي إِنْ الْمَالَ لَا

يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلَا

أَسِيدُ إِن أَرْمَعْتَ مِنْ
بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلًا
فَاخْفِظْ وَإِنْ شَخَطَ الْمَرَا
رُ أَخَا أَخِيكَ أَوْ النَّزِيلَا
وَارْكَبْ بِنَفْسِكَ إِنْ هَمَمَ
تُ بِهَا الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولَا
وَصِلِ الْكِرَامَ وَكُنْ لِنَ
تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَصُولَا
وَدَعْ التَّوَانِي فِي الْأُمُ
رٍ وَكُنْ لَهَا سَلْبًا ذُلُولَا
وَابْسُطْ يَمِينَكَ بِالنَّدَى
وَامْدُدْ لَهَا بَاعًا طَوِيلَا
وَابْسُطْ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكَ
تُ وَشَيْدَ الْحَنْبِ الْأَثِيلَا

وَاعْزِمَ إِذَا حَاوَلْتَ أَمَّ
 رًا يَفْرِجُ الْهَمَّ الدَّخِيلَا
 وَابْذُلْ لِضَيْفِكَ ذَاتَ رَحْ
 لِكَ مُكْرَمًا حَتَّى يَزُولَا
 وَاحْتَلِّ عَلَى الْأَيْفَاعِ لَدَى
 عَافِينَ وَاجْتَنِبِ الْمَسِيلَا
 وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ
 يَوْمًا وَأَرَعَدَتْ الْخَصِيلَا
 فَاهْصِرْ كَهْصِرِ اللَّيْثِ
 خَضْبٌ مِنْ فَرِيضَتِهِ التَّلِيلَا
 وَانْزِلْ إِلَى الْمَيْجَا إِذَا
 أَبْطَالَهَا كَرِهُوا النُّزُولَا
 وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْمَهْـ
 مٍ فَكُنْ لِفَاجِهِ حَمُولَا

وليس الأمر متعلقًا بالوصايا فقط، بل بطريقة عمل الأشياء

البسيطة، فهي طريقة واحدة متوارثة، وغيرها خاطئ، فقط لأنه مختلف. وصف الحارث بن حنّرة موقفًا حصل له مع عمرو. حيث اعترضت الرمال الإبل، فقام الحارث بإعطائه مجموعة من الأوامر الصريحة، والمباشرة، والمطلعة، والمحددة، ومنها ألا يضع الماء البارد على ضروعها، وأن يحلب الألمان للضيوف، استخدم الحارث وصف الشرّ للبن المكسوع، وهو الحيار المعلق على الطرف الآخر، فليس هناك حلول أخرى، إنا أن يسقى اللبن للضيوف، أو أن يصح اللبن شرًا، قل الحارث (الضبي، ١٩٢٠):

قُلْتُ لِنَفْسِي حِينَ أَبْصَرْتُهُ

وَقَدْ خَبَا مِنْ ذُونِهَا عَالِجٌ

لَا تَكْسَعُ الشَّوْلَ بِأَعْبَارِهَا

إِنَّكَ لَا تَذَرِي مِنَ النَّاتِجِ

وَاحِلْتُ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانِهَا

فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ

رُبُّ عِشَارٍ سَوْفَ يَغْتَالِهَا

لَا مُبْطِئِي الشَّدَّ وَلَا عَائِجُ

يُسَوِّقُهَا شَلًّا إِلَى أَهْلِهِ
كَمَا يَسَوِّقُ الْبَكْرَةَ الْفَالِحُ
قَدْ كُنْتُ يَوْمًا تَرْتَجِي رِبْلَهَا
فَأُطْرِدُ الْحَاسِلُ وَالذَّالِحُ
بَيْنَا الْمَتَى يَنْفَى وَيُنْفَى لَهُ
تَاجَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِحُ
يُتْرَكُ مَا رَفَحَ مِنْ غَيْشِهِ
يَعِيثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجُ

وأوصى لبيد بن ربيعة العامري ابنه مجموعة من الوصايا الدقيقة،
لدرجة أنه ذكر له بالتفصيل ما يضع على قبره بعد وفاته، وكيف
يضعه، وذكره أن المطلق الآخر -النتيجة السيئة - هو نتيجة عدم
الالتزام بالوصايا، بمعنى أنه في حال التزامه بالوصايا فلن يصبح
ضعيف الرأي، قال لبيد (العامري، ٢٠٠٤):

ذَرْنِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنُ
فِي إِنْ رَفَعْتُ بِهِ شُؤُونَا

وَافْعَلْ بِمَالِكَ مَا بَدَا
 لَكَ إِنَّ مُعَانَا أَوْ مُعِينَا
 وَاعْفُ عَنِ الْجَارَاتِ وَامْنَحْ
 هُنَّ مَيْسِرَكَ السَّمِينَا
 وَابْذُلْ تَنَاثُومَ الْقَدْرِ إِنَّ
 نِسْوَاتَهَا دُهِمَّا وَجُونَا
 ذَا الْقَدْرِ إِنْ نَضِجَتْ وَعَجَبْ
 لَ قَبْلَهُ مَا يَشْتَوِينَا
 إِنَّ الْقُدُورَ لَوَاقِحُ
 يُحَلِّبْنَ أَمْثَلَ مَا رُعِينَا
 وَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجِبْ
 عِلَّ فَوْقَهُ خَشْبًا وَطِينَا
 وَصَفَائِحُ صُمَّا رَوَا
 سِيهَا يُبَسِّدُنَ الْغُضُونَا

لَيَقِينَنَّ وَجْهَ الْمَرْءِ سَفَا
سَافَ التُّرَابِ وَلَنْ يَقِينَا
ثُمَّ اعْتَبِرْ بِثَنَاءِ رَهْ
طَبْلِكَ إِذْ تُؤَى جَدُّنَا جَنِينَا
وَتَرَاجَعُوا غَيْرَ الْمَرَا
فَبَقِيَ مِنْ أَخِيهِمْ يَابِسِينَا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ إِنْ خَفِظَ
تَ فَلَنْ تُرَى أَبَدًا غَبِينَا

وقد أوصى لبید ابنتیه عند وفاته أيضًا، وحدد لهما ما يجب فعله وما لا يجب، قال لبید (الهاشمی، ١٩٦٩):

فَإِنْ حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكُمْ
فَلَا تَخْمِشَا وَجْهَهَا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَلِيفَةَ
أَضَاعَ وَلَا حَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدْرَ

وذكر الأعشى ميمون القيسی عزمه على توصية ابنه عدة وصايا

عند اقتراب أجله ، وهي وصايا تحمل نفس صفات سابقاتها من حيث المباشرة ، والوضوح ، والتسمية المطلقة للأشياء ، قال الأعشى (القيسي ، ١٩٥٠) :

سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى
وصاة امرئ قاسى الأمور وجرباً
بأن لا تبغ الود من متباعدٍ
ولا تنأ عن ذي بغضة أن تقرّباً
فإن القريب من يُقرب نفسه
لغمر أببك الخير لا من تنسباً
متى يغترّب عن قومه لا يجد له
على من له رهط خوالئه مفضباً
ويحطم بظلم لا يزال له
مصارع مظلوم مجراً ومسحباً
وتدفن منه الصالحات وإن يسى
يكن ما أساء النار فى رأس ككبنا

وليس مجبراً إن أتى الحي خائفٌ
ولا قاتلاً إلا هو المتعيبا

وذكر الأعشى ميمون وصايا والده له، فقال (القيسي، ١٩٥٠):

إن الأعزّ أنا كان قال لنا
أوصيكم بثلاث إنني تلفُ
الضيفُ أوصيكم بالضيف إن له
حقاً على فأعطيهِ وأعترفُ
والجارُ أوصيكم بالجار إن له
يوماً من الدهر يثنيه فينصرفُ
وقاتلوا القوم إن القتر مكرمةٌ
إذا تلوّى بكف المعصم العرفُ

دراسات سابقة عن وصايا الآباء للأبناء

أكد خضر (٢٠٠٥) على الحرص الكبير من الشعراء الجاهليين على تربية أبنائهم، وتقديمهم لمجتمعاتهم بشكل مناسب لتبؤثهم مواقع مهمة في قبائلهم، وقد أكد أيضاً أن الآباء حاولوا تشكيل

شخصية مثالية لأبنائهم، ورسم صورة البطل القدوة فيهم، وقد قدّم الباحث أنموذجاً تربوياً متعدد الجوانب، ولكنه لم يتطرق لوضوح الوصايا ومباشرتها وعدم إعطاء الأبناء المساحة المناسبة لتعدد الخيارات أمامهم.

تأثير عدم التيقن في المجتمع

وتأثيرات درجة عدم التيقن التي تتمتع بها ثقافة معينة تنعكس على العلاقات بين الناس في المجتمع أيضاً، فالمجتمعات التي تسجل درجات عالية على مقياس عدم التيقن يتسم أغلب أفرادها بارتفاع درجة القلق من المستقبل بسبب غموضه، فترتفع درجات التوتر بين الناس، وتنخفض معدلات السعادة، ويحتاج الأفراد قوانين كثيرة تصبط إيقاع كل شيء، وتبقى السميات والمفاهيم مطلقة، وقابضة تحت تصنيفين متعاكسين، فالشيء إما خير وإما شر، ولا يوجد تفاوت في طرق عمل الأشياء بسبب القلق من المختلف الغامض، ولذلك لا تدخل المفاهيم الجديدة للمجتمع، ويقاوم الأفراد أي تغيير حتى لو كان طفيفاً، ويتعاملون مع الاختلاف على أنه شيء خطير، ومهدد، كما يلجأ الناس لعدة طرق لمعالجة التوتر، وأبرزها شرب الكحول بنسب عالية.

أما الأفراد في المجتمعات ذات عدم التيقن المنخفض لا يقلقون كثيراً من المستقبل، أو من أي شيء غامض، لذلك لا يحتاجون

لأن يكون كل شيء منظمًا تمامًا، فتقل القوانين، وتزيد المرونة،
وتتعدد طرق عمل الشيء الواحد، فيكون المختلف مثيرًا للفصول
بدون القلق، لذلك فإن الماهيم الجديدة تدخل المجتمع بسهولة،
والتغيير المستمر سمة المجتمع.

المجتمع العربي الجاهل على مقياس عدم التيقن

القلق من الدهر وتقلب أحواله

وواقع حال المجتمع العربي في الجاهلية عكس درجة عالية من
عدم التيقن، وذلك استنادًا لما وصلنا من شعر تلك الفترة، وقد ذكر
الشعراء قلقهم من الدهر وتقلباته كثيرًا، وذكروا بضرورة الحذر
منه. لم يخف امرؤ القيس الكندي قلقه من الدهر بعد موت أبيه
وجدّه ملوك كندة، فقال (الكندي، ٢٠٠٤):

أُبْعِدَ الْحَارِثَ الْمَلِكَ ابْنَ عَمْرٍو

وَتَعَدَّ الْخَيْرَ حُجْرَ ذِي الْقَبَابِ

أَرْجَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لَيْثًا

وَلَمْ تَغْفَلْ عَنِ الصَّمِّ الْهَضَابِ

ورثى ليبيد بن ربيعة العامري أخاه أربد رثاء العالم بتقلبات
الدهر ونوائبه، فقال (الهاشمي، ٢٠٠٤):

فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ نَيْنَانَا
 فَكُلُّ قَتَى يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَلْدِيَارٍ وَأَهْلُهَا
 بِهَا يَوْمٌ خَلُّوْهَا وَرَاحُوا بِلَاقِعُ
 وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
 لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضُّوَارِبُ بِالْحَصَى
 وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
 وَقَالَ أَيْضًا فِي دُورِ الدَّهْرِ بِزَوَالِ النِّعَمِ (الهاشمي، ١٩٦٩):
 أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلُ
 وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ
 وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
 نُؤْيْهَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَابِلُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيُهُ
 إِذَا كُشِّفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْمَحَاصِلُ

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفى يذكر بفواجع الدهر. وأحتمها
الموت (الهاشمى. ١٩٦٩):

كلُّ عيش وإن تطاول دحرا
منتهمى أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لي
فى رموس الحبسال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر
غولة الدهر إن ذا الدهر غولا

وذكر عدى بن زيد العبّادى شخفا بفواجب الدهر. ودعاه إلى
استحضارها دائما، قال عدى (الأصفهاني. ٢٠١٠):

أيها الشامت المعير بالذه
ر أنت المبرأ الموفور
أم لذك العهد الوثيق من الأي
ام بل أنت جاهل معرور

وقال ذو الإصبع العدوانى فى اختلاف أحوال الدهر (الأصفهاني،
٢٠١٠):

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مَحْزُونٍ
أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا أُمَّ هَارُونَ
أَمْسَى تَذَكَّرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَحَطَتْ
وَالدَّهْرُ نَوَّغِلْظَةً حَيْنًا وَنَوَّلِينَ

وقال السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ التَّمِيمِيُّ — وهو من الصَّعَالِيكِ — فِي ذَلِكَ
أَيْضًا (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ لَوَنَانٍ لَوْنُهُ
وَطَوْرَانٍ بَشْرٌ مَرَّةً وَكَذُوبٌ

وقال امرؤ القيس في عدم ثبات الدهر على حال (الكندي،
٢٠٠٤):

أَلَا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيْالٍ وَأَعْصُرٌ
وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٌ بِمُسْتَمِرٌّ

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي يذكر تقلب أحوال الناس،
كنتيجة لتقلبات الدهر (التبريزي، ١٩٨٠):

فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْلُوسٌ
وَكُلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبٌ
وَكُلُّ ذِي إِسْلٍ مَسْرُوثٌ
وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبٌ
وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوَبٌ
وَعَاثِبُ الْمَوْتِ لَا يَمُوتُ

وقال أيضا في التحذير من الدهر (الهاشمي، ١٩٦٩):

كفى زاجرا للفرء أيام دهره
تروح له بالواعظات وتفتدى
وقال أخيه بن الجلاح الأوسى فى زوال النعم (الجزري،
٢٠١٠):

فما يدري الفقير متى غناه
وما يدري الغنى متى يعيل
وما تدري وإن أجمعت أمرا
بأي الأرض يدرك المقيـل

وما تدري وإن أنتجت سقبا
 لميرك أم يكون لك الفصيلُ
 وما إن أخوة كبروا وطابوا
 لباقية وأمهـم هـبـولُ
 ستثكلُ أو يفارقها بنوها
 بموتٍ أو يجيء لهم قتلُ

وذكر الأضيظ بن قريع التميمي دور الدهر في تغيير أحوال
 الناس المادية، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لكل هم من الهموم سعة
 والمنى والصبح لا فلاح معه
 لا تحقرن الفقير علك أن
 تركع يوماً والدهر قد رفته

وقال علقمة الفحل التميمي في نوائب الدهر (الهاشمي،
 ١٩٦٩):

وَكُلُّ حِصْنٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ

عَلَى دَعَائِمِهِ لَا بُدَّ مَهْدُومٍ

وَذَكَرَ عَنقَرَةُ بْنُ شَدَّادِ الْعَبْسِيُّ بِزَوَالِ النِّعَمِ، فَقَالَ (الْعَبْسِيُّ،
: (٢٠٠٤)

فَلَا تَكْفُرِ النُّعْمَى وَأَتْنِ بِفَضْلِهَا

وَلَا تَأْمَنْنِ مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدٍ

وَقَالَ فِي تَفَرُّقِ الْأَحِبَّةِ (الْعَبْسِيُّ، : (٢٠٠٤)

لَا شَكَّ لِلْمَرْءِ أَنَّ الذَّهْرَ نَوَ خُلْفٍ

فِيهِ تَفَرُّقُ نَوِ الْإِثْبِ وَمَالُوفٍ

وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي فِي اخْتِلَافِ أَحْوَالِ الزَّمَانِ (الْأَصْفَهَانِيُّ،
: (٢٠١٠)

هَلِ الذَّهْرُ إِلَّا الْيَوْمُ أَوْ أَمْسٍ أَوْ غَدٍ

كَذَاكَ الزَّمَانُ بَيْنَنَا يَتَرَدَّدُ

يَرُدُّ عَلَيْنَا لَيْلَةً بَعْدَ يَوْمِهَا

فَلَا نَحْنُ مَا نَبْقَى وَلَا الذَّهْرُ يَنْقَدُ

لَنَا أَجَلٌ إِمَّا تَنَافَى إِمَامُهُ

فَنَحْنُ عَلَى آثَارِهِ نَتَوَرَّدُ

ونعى زهير بن أبي سلمى المزنقى ابنه سالم، وكان النعى على شكل حوار مع رجل غزاه دهره بالنعم، فذكره زهير بفواجع الدهر، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

رَأَتْ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غَبِطَةً

وَأَخْطَأَهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعَظَائِمُ

وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونٌ وَتُوْبِغَتْ

سَلَامَةٌ أَعْوَامٌ لَهُ وَعَنَائِمُ

فَأَصْبَحَ مَحْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ

تَغْبِطُهُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ

وعندى من الأيام ما ليس عنده

فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعَى بِفَاجِعِ

كما راعنى يوم النّقاءِ سالمُ

وقال الأسود بن يعفر النهشلي يذكر أحوال الأقوام السابقة،
ويحذر من الإطمئنان للدهر (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ولقد علمت لو أن علمي نافعي
أن السبيل سبيل ذى الأغواد
إن المنية والحنوف كلاهما
يوفي المخارم يرميان سوادى
ماذا أوّل بعد آل مخرق
تركوا منازلهم وتعد إباد
أهل الخورنق والشدير وبارق
والقصر ذى الشرفات من مبداد
نزّلوا بأنقرة يفيض عليهم
ماء الفرات يفيض من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم
فكانما كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة
ففي ظل ملك ثابت الأوتار
فإذا النعيم وكر ما يلتهى به
يوماً يصير إلى بلى ونفاد

وقال قس بن ساعدة الإيادي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

في الذاهبين الأولي
ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأصغر والأكابر
أيقنت أني لا محصا
لـة حيث صار القوم صائر

دراسات سابقة عن القلق من الدهر وتقلب أحواله

تطرق سلمان (٢٠١٥) إلى العداء بين الشعراء الجاهليين وبين

الدَّهْر، والذي استمر لما بعد الإسلام، وقد كان سبب هذا العداء نظرتهم الفلسفية للدَّهْر على أنه قوَّة غامضة لا ينجو منها أحد، كذلك فقد أكَّد على (١٩٩٣) على هذا المعنى، وأشار إلى تطرُّق الجاهليين للدَّهْر، وتحذيرهم منه على اعتباره مستبًا للقوارع وغير مأمون الجانب.

انتشار الخمر

يُعتبر التكيف مع نسبة القلق العالية أحد الأسباب المهمة لانتشار شرب الخمر بكثرة في المجتمع الجاهلي، إذ أنَّ المجتمعات ذات الدرجات المرتفعة على مقياس عدم التيقن تزداد فيها نسبة شرب الكحول كما ذكر سابقاً، وقد أكثر الشاعر الجاهلي من ذكر الخمر ومجالسها، وأكثر بعضهم في وصفها، فوصفها عمرو بن كلثوم التغلبي، ثم بعد أن انتهى من وصفها، ذكر غموض المستقبل، وأنَّ الغد مرهون بما لا يعلم المرء، في ربط صريح منه بين المستقبل الغامض الذي يمثل السبب، والخمر التي تمثل طريقة التكيف، وتخفيف القلق من هذا الغموض، قال عمرو بن كلثوم (الزوزني، ١٩٩٣):

أَلَا هُبِّي بِصَحْبِكَ فَاصْبِحِينَا

وَلَا تُبْقِي خُمُوزَ الْأُنْدَرِينَا

مُشْعَشَعَةٌ كَأَنَّ الْحُمْصَ فِيهَا
 إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
 تَجَوَّرُ بِذِي اللَّيْنَةِ عَنْ هَوَاهُ
 إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا
 تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمُرْتُ
 عَلَيْهِ لَمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا
 صَبَبْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أَمْ غَمِرُوا
 وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا
 وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمْ غَمِرُوا
 بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَا
 وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبِكَ
 وَأُخْرَى فِي بَمَشُقٍ وَقَاصِرِينَا
 وَإِنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا الْمَنَايَا
 مُقَدَّرَةٌ لَنَا وَمُقَدَّرِينَا

قَفَى قَتْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا
 نُخَبِّرُكَ الْيَقِينِ وَتُخْبِرُنَا
 قَفَى نَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتَ ضَرْمًا
 لَوْ شَكَ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتَ الْأَمِينَا
 بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْبًا وَطَعْنَا
 أَقْرَبَ بِهِ مَوَالِيكَ الْعُيُونَا
 وَأَنْ غَدَا وَأَنْ الْيَوْمَ رَهْنُ
 وَبَعْدَ عَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا

وللقلق المسبب لشرب الخمر عدة أسباب، أبرزها الحرب، إذ كثيراً ما ارتبط ذكر الخمر بالحرب في الشعر الجاهلي، فيبدو أن الفارس لم يكن يخفى قلقه من الحرب، وما ستؤول إليه، فيذكر الخمر، ثم يتطرق للحماسة، والتي لها عدة صورة مثل الفخر بإنجاز، أو بقبيلة، والأبيات السابقة لعمر بن كلثوم مثال على ذلك، إذ كانت مناسبتها قتل عمرو بن كلثوم لذلك الحيرة عمرو بن هند، وهو أمر ليس بالهين، وعواقبه الحرب التي أقلقته عمرو بن كلثوم، ثم إنه بدء بذكر مناقب قبيلته وإنجازاتها بعد ذكره للخمر، فقال عمرو بن كلثوم (الزوزني، ١٩٩٣):

أَبَا هُنْدٍ فَلَا تُفْجِلْ عَلَيْنَا
وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا
بَأْنَا نُورِدُ الرِّايَاتِ بَيْنَا
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُوِينَا
وَأَيَّامَ لَنَسَا عُرَّ طَوَالِ
غَضِينَا الْمَلِكِ قِيَهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوْجُوهُ
بِتَاجِ الْمَلِكِ يَخْمِسِي الْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا الْخَيْلَ غَاكِفَةً عَلَيْهِ
مُقْلَدَةً أَعْنَتْهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحِ
إِلَى الشَّامَاتِ تَنْقِي الْمُوْعِدِينَا
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا
وَشَذَبْنَا قِتَادَةً مِّنْ يَلِينَا

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمِ رَحَانَا
يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ بِفَالِهَا شَرْقِي نَجْدِ
وَلَهُوتُهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا

وربط عنتره بن شداد العبسي أيضا بين شربه للخمر، وإنجازاته
الحربية، فقال (التبريزي، ١٩٨٠):

ولقد شربت من الدامة بعد ما
رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالشَّوْفِ الْمَعْلَمِ
بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ نَابِ أَسْرَةٍ
قُرْنَتْ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مَقْدَمِ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ
مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
وَإِذَا ضَخَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى
وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَانِلِي وَتَكْرُمِي

وحليل غانية تركتُ مجدلاً
 تمكو فريضة كشدق الأعلم
 سبقت يدای له بعاجل ضربة
 ورشاش نافذة كلون الغندم
 هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
 إن كنت جهلة بما لم تعلمی
 إذ لا أزال على رحالة سابح
 نهدي تعاورة الكمأة مكلّم
 طوراً يجرّد للطعان وتارة
 يأوي الى حصد القسي عرمم
 يُخبرك من شهد الوقيفة أننى
 أغشى الوغى وأعف عند المغنم
 ومدّج كرة الكمأة بزّاله
 لا مُفعين هرباً ولا مُستسلم

جاءت له كفى بعاجل طعنة
بمثقّف صدق الكُبوب مُقوّم
برحیبة الفرغین یهدی جرسها
باللیل معتمس الذئاب الضرم
فشككت بالرمح الأصم ثیابه
لیس الکریم علی القنا بمحرّم
فتركته جزر السماع ینشئه
ما بین قلّة رأسه والمعصم
ومسك سابعة هتكت فروعها
بالسيف عن حامی الحقيقة معلم
رید یداه بالقداح إذا شتا
هتاك غایات التجار ملوّم
لما رآنى قد نزلت أریده
أبدى نواجذه لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته
بمهند صافی الحديدة مخدّم

عهدي به مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا
خَضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعَظْمِ
بَطَلٍ كَأَنَّهُ ثِيَابُهُ فِي سَرْخَةٍ
يُحْذِي نِعَالُ النَّسَبِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

كذلك فعل حسان بن تُبَعِّع ملك اليمن الذي ذكر الخمر في سياق
وعيده بالحرب على الروم، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَأْيِي يُرِينِي
وَهُوَ الرَّأْيُ طَوْفَةً فِي الْبِلَادِ
بِالْعَوَالِي وَبِالْقَنَابِلِ تَرْدِي
بِالْبَطَارِيْقِ مِشْيَةً الْعُودِ
وَبِجَيْشٍ عَرْمَرَمٍ عَرَبِيٍّ
جَحْفَلٍ يَسْتَجِيبُ صَوْتَ الْمَنَادِ
مَنْ تَمِيمٍ وَخَنْدَقٍ وَإِيَادٍ
وَالْبَهَالِيلِ جَمْعِيٍّ وَمَرَادٍ

فإذا سرت سارت الناس خلفي
ومعى كالجبال في كل واد
سقني ثم سق حمير قومي
كأن خمرا أولى النهى والجماد

وكذلك افتتح عمرو بن الإطنابة الخزرجي تهديده للحارث بن
ظالم المري بذكره للخمر، قال عمرو (الأصفهاني، ٢٠١٠):

عللاني وعللا صاحبي
واسقياني من المروقي ريا
إن فينا القيان يعزفن بالدف
لفتياننا وعيشا رخيا
يتبارين في النعيم ويصعب
ن خيال القرون مسكا ذكيا
إنما همهن أن يتحلي
ن سموطا وسنبلا فارسيا

من سموط المرجان فُصِّلَ بالشَّد
 رِ فَأَحْبَبْنَ بِحَلِيهِمَنْ حُلِيَا
 وَفَتَى يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيِّدِ
 فَبِ إِذَا كَانَتْ السَّيُوفُ عَصِيَا
 إِنَّمَا لَا نُسَرُّ فِي غَيْرِ نَجْدِ
 إِنْ فِينَا بِهَا فَتَى خَزْرَجِيَا
 يَدْفَعُ الضَّيْمَ وَالظُّلَامَةَ عَنْهَا
 فَتَجَافِي عَنْهُ لَنَا يَا فَنِيَا
 أَبْلَغِ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الرَّعَا
 دِيدَ وَالْفَاذِرَ النُّذُورَ عَلِيَا
 أَلَمَّا يَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا يَقْرَ
 تَلُ يُقْظَانُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيَا
 وَمَعَى شِكَّتِي مَعَابِلُ كَالْجَمِ
 رِ وَأَعْدَدْتُ صَارِمًا مُشْرِفِيَا

لو هَبَطَتِ الْبِلَادُ انْسَيْتَكَ الْقَتْدَ

لَ كَمَا يُنْسِيءُ النَّسِيءُ النَّسِيءَا

وذكر حاتم الطائي الخمر، واعتبرها من الأساسيات في الحياة،
وقرنها بالماء، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَفْسَاوِي إِنْ يُصْبِحُ صَدَائِي بِقَفْرَةٍ

مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ

تَرَى أَنَّ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَرْفِي

وَأَنَّ يَدَيَّ مِمَّا بَخَلْتُ بِهِ صِفْرُ

وافتحخر عبيد بن الأبرص بتصريف قومه عند الشرب وعند
الصحو، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

نُغْلِي الدُّهَاءَ بِكُلِّ عَا

تَقِي شَمُولٍ مَا صَخُونَا

وَنُهَمِينَ فِي لَذَاتِنَا

عُظْمَ التَّلَابِ إِذَا انْقَشِينَا

وتجدر الإشارة إلى أسباب أخرى لشرب الخمر، إذ ليست فقط

لتخفيف القلق، حيث قرن لها بعض الشعراء الجاهليين بالمتعة، وهذا سيتم شرحه بتفصيل أكثر في فصل التَّعَاشُل.

دراسات سابقة عن انتشار الخمر

أكد أياز خان Ayaz Khan (٢٠١٣) أن كل البيوت العربية في الجاهلية تقريباً احتوت على الخمر، وأن الذين لم يستهلكوها كانوا قلة قليلة، وكان شرب الخمر نشاطاً أساسياً في المجالس، وبلغ من انتشار الخمر أن كان له مئتان وخمسون اسماً في اللغة العربية، كذلك فقد ذكر ضيف (٢٠٠٨) شيوع الخمر في المجتمع الجاهلي، وعدها إحدى الآفات التي ضربت هذا المجتمع.

الأحلاف والحاجة إلى القوانين

وحاجة المجتمعات ذات الدرجات العالية على مقياس بعد عدم التيقن إلى القوانين وسيلة أخرى من وسائل تكيف أفرادها مع الغموض المقترن بالمستقبل. ذكر الحارث بن حلزة في نزاع قبيلته بكر مع قبيلة تغلب حلف المجاز، وضرورة الرجوع إليه لحل الخلافات بين القبيلتين، فقال (التبريزي، ١٩٨٠):

فَاتْرُكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَاشِي وَإِمَّا

تَتَعَاشُوا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ

وَأَذْكُرُوا حَلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قَدْ
 دَمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ
 حَذَرَ الْخَوْنِ وَالتَّغْدَى وَهَلْ يَنْدُ
 قُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ

ومن الأحلاف المشهورة في الجاهلية حلف الفضول، وقصة
 إنشائه أن رجل يمني اشترى بضاعة من رجل من بني سهم، في
 قريش، فلوى السهمي بحقه، فاستنجد اليمني بقريش، ووصل
 الخبر إلى العباس بن مرداس السلمى، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

إِنْ كَانَ جَارُكَ لَمْ تَنْفَعَكَ ذِمَّتُهُ
 وَقَدْ شَرِبْتَ بِكَاسِ الْغُلِّ أَنْفَاسًا
 قَاتَتْ الْبُيُوتَ وَكُنَّ مِنْ أَهْلِهَا ضِدًّا
 لَا تُلْفُ نَادِيَهُمْ فُحْشًا وَلَا بَاسًا

ودعا زهير بن أبي سلمى المزنئ القبائل المتصالحة بعد حرب
 داحس والغبراء بضرورة إنشاء حلف لحفظ الحقوق، فقال
 (التبريزي، ١٩٨٠):

فَمَنْ مَبْلَغُ الْأَحْلَافِ عَنْ رِسَالَةٍ
وَذُبْيَانٍ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسِمٍ

دراسات سابقة عن الأحلاف والحاجة إلى القوانين

تطرق على (١٩٩٣) للأحلاف في الجاهلية بشكل مفصل، وذكر وجود شيء من الدلالة الدينية في معنى الجلف، وذلك بسبب الالتزام الشديد به من قبل القبائل المتحالفة، والعار والازدراء الذي يلحق من يخالفه، وهذا قد تبدى جلياً في المظاهر والطقوس التي رافقت إنشاء الأحلاف، ومنها مثلاً إدخال أيدي المتحالفين في جفنة مملوئة بالدم، أو إشعال نار للتحالف، أو الطواف حول الكعبة لإشهاد الأصنام على التحالف، وقد كانت التحالفات تُعقد لضرورات اقتصادية، أو عسكرية، أو سياسية.

الحكمة والنصيحة

وأنت الأحلاف بالقوانين الاجتماعية الرسمية والمكتوبة، بينما أنت مجموعة أخرى من القوانين غير الرسمية ولا المكتوبة، على شكل نوائح أو حكم، وهي لا تقل أهمية عن القوانين الرسمية، وهي نوائح واضحة، ومباشرة، وضيقة، ومطلقة، ولا تحتل تعدد الخيارات، أو الأوجه، فعملها يستوجب المدح، وتركها يستوجب الذم. والأمثلة على هذا النوع من الحكم والنوائح كثيرة، قال

المثقب العبدى يذكر بضرورة الوفاء بالوعد، والملاحظة وصف كل
سلوك وطلاقة، فمثلاً قول «نعم» بعد «لا» يعدّ حسناً، بينما قول
«لا» بعد «نعم» يعدّ قبيحاً - الطرف النقيض الآخر - قال المثقب
(الضبي، ١٩٢٠):

لَا تَقُولُنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ
أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ
حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا
وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاجِشَةٌ
فَبَلَا فَبِذَا إِذَا خَفَتِ النَّذَمُ
فَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَاصْبِرْ لَهَا
بِنَجَاحِ الْقَوْلِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ
وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّمَّ نَقْصٌ لِلْفَتَى
وَمَتَى لَا يَثِقُ الذَّمُّ يُذَمُّ
أَكْرَمُ الْجَسَارِ وَرَاعِ حَقَّهُ
إِنَّ عِرْفَانَ الْفَتَى الْحَقُّ كَرَمٌ

أَنَا بَيْتِي مِنْ مَعْدٍ فِي الذُّرَى
وَلِيَّ الْهَامَةُ وَالْفَرْعُ الْأَشْمُ
لَا تَرَانِي رَاتِعًا فِي مَجْلِسٍ
فِي لُحُومِ النَّاسِ كَالسُّبُعِ الضُّرْمِ
إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَكْشِرُ لِي
حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِثْتُ شَتْمَ
وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقُرْتُ
أُذْنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ
فَتَعَزَّيْتُ خَشَاءً أَنْ يَرَى
جَاهِلٌ أَنِّي كَمَا كَانَ زَعَمُ
وَلِبَعْضِ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ
ذِي الْخَنَاءِ أَبْقَى وَإِنْ كَانَ ظَلَمُ
إِنَّمَا جَادَ بِشَأْنِي خَالِدُ
بَعْدَ مَا حَاقَتْ بِهِ إِحْدَى الظُّلَمِ

مِنْ مَنَایَا یَتَخَاسِنُ بِهِ
 یَبْتَدِرُونَ الشَّخْصَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
 مُتَرَعِّجُ الْجَفْنَةِ رَبِيعُ النَّدَى
 حَسَنٌ مَجْلِسُهُ غَيْرُ لُطَمٍ
 یَجْعَلُ الْهَنَاءَ عَطَايَا جَمَّةً
 إِنْ بَغِضَ الْمَالُ فِي الْعَرِضِ أَمَمٌ
 لَا یُبَالِی طِیْبُ النَّفْسِ بِهِ
 تَلَفَ الْمَالُ إِذَا الْعَرِضُ سَلَمٌ
 أَجْفَلُ الْمَالِ لِعَرِضٍ جُنَّةٌ
 إِنْ خَیِرَ الْمَالِ مَا أَذَى الذَّمِّ

وقال السموأل بن عادياء (الطاشي، ١٩٩٨):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرِضُهُ
 فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا
 فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

وقال الغند الزماني (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وفي العُدوان للعدوا
ب توهمين واقرا
وبعض الحلم عند الجه
ب للذلة إيمان
وفي الشر نجا حيد
ن لا يُنجيك إحسان

وقال عدى بن زيد العبادي (القرشي، ١٩٨١):

ففسك فاحفظها عن العي والردى
متى تغوها يغو الذي بك يقتدى
وان كانت النعماء عندك لامري
فمثلا بها فاجز الطالب وارزدي
إذا ما امرؤ لم يرُج منك هوانه
متى لا يبين في اليوم يصرمك في الغدي

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَتَسْأَلُ عَنْ قَرِينِهِ
 فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْقَارِنِ يَفْتَدِي
 إِذَا أَنْتَ فَافَكْهْتَ الرِّجَالَ فَلَا تُلْعِ
 وَقُلْ بِمِثْلِ مَا قَالُوا وَلَا تَتَزَيَّدِ
 إِذَا أَنْتَ طَالَبْتَ الرِّجَالَ نَوَالَهُمْ
 فَعِيفْ وَلَا تَأْتِ بِجَهْدٍ فَتُنْكَدِ
 سَتُدْرِكُ مِنْ ذِي الْفُحْشِ حَقَّكَ كُلَّهُ
 بِحِلْمِكَ فِي رَفْقٍ وَلَمَّا تَشَدَّدِ

وقال زهير بن أبي سلمى المزني (التبريزي، ١٩٨٠):

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ يَنْلَنُهُ
 يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتِ كُلِّ لَهْذَمٍ
 وَمَنْ يُوَفِّ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ
 إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبُرِّ لَا يَتَجَمَّعُ
 وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْلَنُهُ
 وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ
 عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَن عَنْهُ وَيُذَمَّ
 وَمَنْ لَا يَزُلْ يَنْتَرِجِلِ النَّاسُ نَفْسَهُ
 وَلَا يُعْفَهَا يَوْمًا مِنَ الذُّلِّ يَنْذَمُ
 وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
 وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ
 وَمَنْ لَا يَنْذُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
 يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمُ
 وَمَنْ لَا يُضَانِعَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
 يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْبِمْ
 وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
 يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمُ

دراسات سابقة عن الحكمة والنصيحة

تطرّق عدّة باحثين للحكمة والنصيحة بوصفهما غرضاً من أغراض
 الشعر، وإن لم يُجمع الباحثون على كونهما أغراضاً مستقلة، وقد

ذكر ضيف (٢٠٠٨) الحكمة في الشعر الجاهلي، وبين أن معانيها محدودة وضيقة، فلا ينحرف الشعراء عن تلك المعاني قيد أنملة، وأكدت سلمان (٢٠١٥) أن الشاعر الحكيم في الجاهلية لعب دوراً مهماً في الإصلاح الاجتماعي، والوعظ، وتوطيد مكارم الأخلاق، ونهذ الصفات السيئة، ولكنها نفت رأي ضيف الذي يخصص معاني الحكمة، وأكدت أن معانيها خارج دائرة الحصر.

التَّوَجُّه طَوِيل الْمَدَى

تعريف بُعد التَّوَجُّه طَوِيل الْمَدَى

يفكّر الأفراد في مجموعات ما بالماضى والحاضر كثيراً، بينما يوجّه أفراد مجموعات أخرى تفكيرهم نحو المستقبل، ولا يلتفتون للماضى أو يهتمّون بالحاضر بشكل كبير، وتُعَدُّ هذه الفكرة جوهر بُعد التَّوَجُّه طَوِيل الْمَدَى، والذي يمكن تعريفه بأنّه المدى الزمّنى للتخطيط وتوقع النتائج.

ونتيجة لهذا الفرق في التَّوَجُّه الخاصّ بمدى التخطيط وتوقع النتائج، فإنّ شخصيّة الأفراد تتأثّر بدرجة مجموعتهم على مقياس التَّوَجُّه طَوِيل الْمَدَى، ففي المجموعات ذات الدّرجة العالية على المقياس يميل الأفراد للتّوفير، والصّبر، والثّابرة، والتّفكير الواقعي، ويملكون شخصيّات أكثر براغماتيّة، بينما يهتمّ الأفراد في المجموعات ذات الدّرجات المنخفضة على المقياس -المجموعات ذات التَّوَجُّه قصير المدى - بالعيش الآن، وجودة الحياة العالية، و«حفظ الوجه».

تأثير التَّوَجُّه طَوِيل الْمَدَى في الأسرة

في الأسر ذات الدّرجات العالية على مقياس التَّوَجُّه طَوِيل

المدى، لا يتوقع الأفراد نتائج سريعة لأعمالهم، فبالنّال يؤمنون بفكرة الاستثمار بعيد المدى، ممّا يجعلهم صبورين، ومثابرين، ومؤمنين بأهميّة التّوفير، ولا مانع لديهم من استثمار طويل الأمد مثل التّعليم، فهم متمسكون بأهدافهم ويعملون بإصرار، ولا ينتظر الأبناء من آباءهم تلبية جميع رغباتهم بسرعة.

وفى هذا النوع من الأسر، ليس هناك ثبات على تقاليد معيّنة، لأنّ التقاليد ليست إلّا جزءاً من الماضي الّذى لا يشكّل أهميّة كبيرة، فالتغيّر المناسب للمصلحة هو السّمة الغالبة، وهذا يجعل «حفظ الوجه» ليس مهمّاً كثيراً بقدر أهميّة المنفعة، فالزّواج مثلاً مشروع نفعى قائم على مصلحة طويلة المدى، ومفهومه وفكرته أكثر أهميّة من التقاليد أو الطّقوس المتبعة لإتمامه، سواءً فى الاختيار أو فى الإعلان.

وهذه الشخصيات الواقعيّة تؤمن بأهميّة المحافظة على علاقات طيبة مع النّاس، ممّا يترتّب عليه التّحلّى بصفات ودودة ومحبة مثل التّواضع، والتّحلّى عن صفات مكروهة مثل محاولة فرض الرّأى أو إظهار التّفوّق على الآخرين.

أمّا على الطرف الآخر، فهناك الأسر ذات التّوجّه قصير المدى، والّتى يتوقع الأفراد فيها نتائج سريعة لأعمالهم، فلا يدركون كثيراً فكرة الاستثمار طويل المدى - مثل التّعليم - ممّا يجعلهم قليلى الصّبر والمثابرة، وكثيرى الإنفاق والاستهلاك، وتعنيهم

جودة الحياة الحالية، ويبتظر الأبناء الإشباع الفوري لرغباتهم من قبل آبائهم.

والثبات على تقاليد قديمة مهم في هذه الأسر، بل إنه أهم من المنفعة التي تحيط بها هذه التقاليد، وذلك لأن الماضي جزء مهم جداً في تكوين شخصية الأفراد، وهذا نتيجة الفكرة اللاشعورية التي تصوّر الماضي بأنه جميل ومثالي، فبالتالي فإن كل شيء فيه صحيح ويُتقدى به، بما في ذلك التقاليد، وفي مقارنة مع المثال السابق الخاص بالزواج في الأسر ذات التوجّه طويل المدى، فإن الزواج هنا مشروع قائم على التقاليد منذ الاختيار إلى الإعلان، والتقاليد لا تقل أهمية عن غرض الزواج نفسه.

ونتيجة لهذا المفهوم السائد عن أهمية التقاليد واتباعها، فإن «حفظ الوجه» يعتبر ضرورة، وتتجلى هذه الضرورة في المناسبات الاجتماعية، وفي وجود الآخرين، فهناك دائماً ضغط اجتماعي للمساعدة والإنفاق، مثل مواكبة النمط الاستهلاكي للجيران والأقارب.

وقد يتحلّى الأفراد بصفات منفرة وغير ودية مثل الغرور، أو محاولة فرض الرأي، أو إظهار التفوّق على الآخرين، والسبب هو عدم إدراك قيمة إنشاء علاقات طويلة مع الأفراد الآخرين، أو المحافظة عليها.

الأسرة العربية الجاهلية على مقياس التوجه طويل المدى

تقديس الماضي المتمثل بالتقاليد ووصايا الآباء، والفخر به

وتحليل الشعر الجاهلي يظهر أنَّ الأسرة العربية في تلك الفترة كانت ذات درجة عالية من التوجه قصير المدى، حيث يعيش الأفراد في الماضي ويهتمهم كل ما هو قديم، ويعتقدون أنَّ الخير في هذا القديم، فيقوم الآباء بتوصية الأبناء بشكل تفصيلي كما ذكر في الفصل السابق من الكتاب والخاص ببعد عدم التيقن، وينفذ الأبناء الوصايا بحذافيرها، وتتداخل عدة أبعاد ثقافية فيما يخص الوصايا والحكم، فيحتاج الأبناء معرفة وجود الوصايا والحكم لتخفيف التوتر والقلق والغموض، وهذا ما تمليه الدرجة العالية من عدم التيقن، وينفذ الأبناء الوصايا لأنها جزء من الماضي المثالي -بالنسبة للأبناء - والتقاليد الأسرية، و«يحفظون وجوههم»، وهذا نتيجة ارتفاع درجة التوجه قصير المدى، أما ارتفاع درجة بُعد المسافة فيصور الأهل على أنهم سلطة، ويجب على الأبناء إظهار التبعية لهم، ومن مظاهر هذه التبعية احترام وصاياهم. ذكر طرفة بن العبد القيسي احترامه لوصية أبيه، فقال (القيسي، ٢٠٠٢):

ومثل الذي أوصى به عبدل أمضى

قد أمضيت هذا من وصية عبدل

وصف لبید بن ربیعۃ العامری أناہ وأعمامہ لابنتہ مصوراً الماضي

الجميل الذي كانوا يعيشونه، قال لبید (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَبْنَىٰ هَلْ أَبْصَرْتُ أَعْمَىٰ
مَامَىٰ بَنَىٰ أُمُّ الْبَنِينَا
وَأَبَىٰ الَّذِي كَانَ الْأَرَا
مَلٌ فِي الشَّتَاءِ لَهُ قَطِينَا
وَأَبَا شَرِيكَ وَالْمَنَا
زَلٌ فِي الْمَضِيقِ إِذَا لَقِينَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمْعُ
تُ يَمْتَلِهِمْ فِي الْعَالِينَا
فَبَقِيتُ بَعْدَهُمْ وَكَدْ
تُ بَطُولُ صُحْبَتِهِمْ ضَنْبِينَا
دَعْنِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِي
نِي إِنْ سَدَنْتُ بِهَا الشُّوْنَا

وافعلْ بما لك ما بدا

لك مُستعاناً أو مُعيناً

دراسات سابقة عن تقديس الماضي المتمثل بالتقاليد ووصايا
الآباء، والفخر به

قال خضر (٢٠٠٥) عن موقف الأبناء من وصايا آبائهم في
الجاهلية: «كان الأبناء يتلقّون هذه الوصايا باعتزاز كبير،
ويُصغون إلى آبائهم، وهم يعزفون لهم هذه الألحان، فتلقّفوها سنناً
لا يحيدون عنها، وحفظوها كأنها أناشيد قومية».

الكرم في الأسرة

ومن ضمن العادات الأسرية المهمة، كانت عادة إكرام الضيوف،
والتّمسك حرص الآباء على توصية أبنائهم بها. ذكرت حبيبة بنت
عبد العزى وصايا وتعاليم أبيها وجدها بإكرام الضيف، وذكرت
أيضاً احترامها والتزامها بهذه التعاليم، قالت حبيبة (الطائي،
١٩٩٨):

إنّي وربّ الرّاقصات إلى منى

بجنوب مكة هذيهنّ مقلدُ

أولى على هلك الطعام أليّة
أبداً ولكنّي أبين وأنشد
وصى بها جدّي وعلمني أبي
نقض الوعاء وكلّ زاد ينفد
فاحفظ حميتك لا أبا لك واحترس
لا تخرقنه فأرة أو جذد

وذكر الأعشى ميمون القيسي وصية أبيه له بإكرام الضيف، فقال
(القيسي، ١٩٥٠):

الضيف أوصيكم بالضيف إن له
حقاً على فأعطيه وأعترف

وذكر مالك بن حريم الهمداني وصية أبيه له بالكرم، فقال
(البكري، ١٩٧١):

أجود على العاني وأحذر ذمه
إذا صنّ بالمعروف كلّ بخيل

بذلك أوصاني حريمُ بن مالكٍ

بأن قليل السدْمُ غير قليلٍ

كذلك فإنَّ الكرمَ إحدى الصفات الأساسية التي تُذكر في المراثي.
قال مالك بن عُويمر المتنخل يرثي أباه، ويذكر مناقبه التي منها
الكرم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أبو مالكٍ قاصرٌ فقره

على نفسه ومُشيّع غناه

وقال عنتره بن شدّاد العبسي يرثي مالك بن زهير العبسي،
ويصفه بالكرم (الجزري، ٢٠١٠):

لقد جلبا جلبًا لمصرع مالكٍ

وكان كريمًا ماجدًا لهجانٍ

وقد ذُكر الكرم وإكرام الضيف في هذا الموضع لأنه مُنافٍ للتوفير،
وكان الكرم في الأسرة العربية بهدف «حفظ الوجه» واتباع التقاليد،
بالإضافة إلى المُفاخرة والتَّمُدُّح والتَّنَافُس كما ذُكر في بعد الذكورة.
وظهر جليًا حرص عمرو بن كلثوم التغلبي على «حفظ وجهه»
والظهور بمظهر جيد أمام ضيوفه بنى الطماح ودعوى، وهذا كان

سبب إكرامه لهم، قال عمرو (التبريزي، ١٩٨٠):

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي الطُّمَّاحِ عَنَّا
وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا
فَعَجَّلْنَا الْقَرْيَ أَنْ تَشْتَمُونَا
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قَرَاكُمْ
قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طُحُونَا

وعدم الإنفاق أيضا مدعاة للهجاء. قام عامر بن مالك بأسر مقبذ بن زُرارة التميمي، فلم يغد لقيط بن زُرارة أخاه بالمال ولم يحرره من أسره، فهجا لقيط على فعله عدة شعراء، قال شريح بن الأحوص الكلابي العامري (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لَقَيْطُ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ
وَلَكِنْ جِلْمَكَ لَا يَهْتَدِي
وَلَمَّا أَمْنْتَ وَسَاغَ الشُّرَا
بُ وَاحْتَلَّ بَيْتُكَ فِي ثَهْمِدِ

رفعت برجلَيْكَ فوق الفِرا
 ش تُهْدِي القاصدَ في مَعْبَدِ
 وأسلمته عند جدِّ القتالِ
 وتبخل بالمال أن تفتدي
 وقال في ذلك عوف بن عطية (الأصفهاني، ٢٠١٠):
 هَلَا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ
 عَشْرًا تَنَافُوحٌ فِي سَرَارَةِ وَاوٍ
 لَا تَأْكُلُ الْإِبِلُ الْغِرَاثُ نَبَاتَهُ
 مَا إِنْ يَقُومُ عِمَادُهُ بِعِمَادِ
 هَلَا كَزَزْتُ عَلَى أَحْيِكَ مَعْبَدِ
 وَالْعَامِ—رَى يَقُودُهُ بِصِفَادِ
 وَذَكَرْتُ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرْبَةً
 وَالْخَيْلُ تَعْدُو بِالصَّفَاحِ بَدَادِ
 لَوْ كُنْتُ إِذْ لَا تَسْقُطِيعُ فِدِيَّتَهُ
 بِهِجَانٍ أَنْتُمْ طَارِفٌ وَتَلَادِ

لَكِنْ تَرَكْتَهُ فِي عَمِيقِ قَعْرِهَا
جَزَرًا لَخَامِعَةٍ وَطَيْرِ عَوَادٍ
لَوْ كُنْتَ مُسْتَحْيَا لِعَرْضِكَ مَرَّةً
قَاتَلْتَ أَوْ لَفَدَيْتَ بِالْأَنْوَادِ

الضَّغْطُ الْأَسْرَى عَلَى ذَوِي الْكُرْمِ الزَّائِدِ

والكرم يستخدم لهذه الأغراض المذكورة فقط، وليس لشيء آخر،
ومن الخطأ القول إنَّ العرب في الجاهلية كانوا كرماء لأجل الكرم
ذاته - لا ينفي هذا بالطبع وجود من لا تشمله هذه القاعدة، ولكنهم
استثناء طبيعي في أي مجتمع - بل قد مارس الأهل ضغطًا على
أصحاب الكرم الزائد الذي خرج عن أهدافه - المفاخرة، والتمدح،
واتِّباع التقاليد، و«حفظ الوجه» - وقد أتى لوم الأقارب نتيجة
لمعرفتهم أنَّ للكرم أهدافًا لا يخرج عنها. اشتكى حاتم الطائي من
لوم زوجته له على كرمه الزائد، وردَّ عليها، وفي ردِّه إشارة إلى
حرصه على «حفظ الوجه» فالمال يذهب، ويبقى كلام الناس عن
الكريم، قال حاتم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

أَمَاوِيُّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحٍ
 وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
 أَمَاوِيُّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلٍ
 إِذَا جَاءَ يَوْمًا حُلٌّ فِي مَالِنَا النَّذْرُ
 أَمَاوِيُّ إِمَّا مَانِعٌ فَمُبِينٌ
 وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزُّجْرُ
 أَمَاوِيُّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
 إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

ولم تكن زوجة حاتم هي لائمه الوحيدة، بل سبقها جدّه سعد
 إلى لومه، وجدّه لامه على كرمه بعد أن ذبح قطعان إبله لضيوفه،
 فتركه جدّه ورحل عنه، فقال حاتم والقفاخر بالكرم مقروناً
 بالشجاعة واضح في لهجته (شيخو، ١٩٩١):

ولي نية في المجيد والبذل لم تكن
 تأنقها فيما مضى أحد قبلي

وأجعلُ ماليَ دونَ عرضيَ جُفَّةً
 لنفسيَ فاستغنى بما كانَ مِنّ فضلي
 ولي معَ بذلِ المالِ والبأسِ ضوْلَةٌ
 إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذِها العُصْلُ
 وما ضُرّني أن سارَ سَعْدُ بأهْلِهِ
 وأفرزني في الدارِ ليسَ معي أهلي
 وهذا الأسود بن يعفرُ النهشليّ قد ردَّ على ابنته للومها كرمه
 الزائد، فقال (الأصفهانيّ، ٢٠١٠):
 وقالت لا أراك تُليقُ شيئاً
 أتهلكُ ما جمعتَ وتستفيدُ
 فقلتُ بحسبِها ينسُ وعارُ
 ومُرْتَجِلُ إذا رَحَلَ الوفودُ
 فلومي إن بدا لك أو أفيقي
 فقبْلَكَ فاتني وهو الحميدُ

أَبُو الْعَوْرَاءِ ثُمَّ أَكْفَدَ عَلَيْهِ
 وَقَيْسٌ فَاتَنَى وَأَخَى يَزِيدُ
 مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَنَقِيتُ وَحْدِي
 وَقَدْ يُغْنِي رَبَاعَتَهُ الْوَحِيدُ
 فَلَوْلَا الشَّامِتُونَ أَخَذْتُ حَقِّي
 وَإِنْ كَانَتْ بِمَطْلَبِهِ كُؤُودُ

وعانى حُطَّائِطُ بْنُ يَعْفرَ النَّهْشَلِيَّ نفسَ المعاناة مع أمه رُهم بنت
 الغُبَابِ، التي لامته على كرمه الزائد، فسبرر لها بأن الكرم مهم
 للنسيادة - الفخر والمنافسة التي تملئها الذكورة - وصون العرض -
 «حفظ الوجه» - كما أن الكرم لم يُنقص من طعام أحد، أو أودى بأحد
 إلى أن يهزل ويموت، قال حُطَّائِطُ (الأصفهاني، ٢٠١٠):

تَقُولُ ابْنَةُ الْغُبَابِ رُهمُ خَرِبْتَنِي
 حُطَّائِطُ لَمْ تَتْرُكْ لِنَفْسِكَ مَقْعَدًا
 إِذَا مَا جَمَعْنَا صِرْمَةً بَعْدَ هُجْمَةٍ
 تَكُونُ عَلَيْنَا كَابِنُ أُمِّكَ أَسْوَدًا
 فَقُلْتُ وَلَمْ أَغَيِ الْجَوَابَ تَأْمَلِي
 أَكَا نَ هُزَالًا خَتَفَ زَيْدٌ وَأَرْبَدًا

أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي
أَرَى مَا قَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدًا
ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ
لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبُّهُ غَدًا
ذَرِينِي فَلَا أَعْيَا بِمَا خَلَّ سَاخَتِي
أَسْوَدُ فُكُفِّي أَوْ أَطْيَعُ الْمُسَوَّدَا
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعَرْضِي وَقَايَةً
يَقْبِي الْمَالُ عَرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَجَارَةَ أَهْلِي بِالْقَصِيمَةِ لَا يَكُنْ
عَلَيَّ وَلَمْ أَظْلَمْ لِسَانُكَ مَبْرَدَا
وَأَتَّهَمْتُ زَوْجَةً أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِي إِيَّاهُ أَيْضًا بِالتَّبْذِيرِ، فَرَدَّ عَلَيْهَا
قَائِلًا (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فِي ثَلَاثِينَ ذَعَّعْتُهَا حَقُوقُ
أَصْبَحْتُ أُمُّ حَبِيتٍ تَشْكُونِي

زعمت لي بأنني أفسدُ المالَ

لِ وَأزويه عن قضاء ديوني

أُملتُ أن أكون عبداً لمالي

وتَهَنَّا بنافعِ المالِ دوني

وقد اشتهرت عتبة بنت عفيف - وهي أم حاتم الطائي - بالكرم أيضاً، إلى أن ضاق إخوتها ذرعاً بأمر كرمها، فأخذوا أموالها، ومنعوها عنها، ثم أعادوها بعد عدة سنوات لها على أن لا تعود إلى التبذير، إلا أنها عادت لإنفاق أموالها على الناس، وقد بررت عتبة أن كرمها لأنها عانت الجوع، ولا تريد لأحد معاناته - وقد خرج هذا التبرير من الأسباب السابقة الذكر للكرم، إلا أنه يعد استثناء لقلّة من استخدموه - فقالت (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لِعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضْنِي الْجُوعُ عَضَّةً

فَأَلَيْتُ إِلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَانِبَا

فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمَى الْيَوْمَ أَعْفَنِي

فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا

فَمَاذَا عَسَاكُمْ أَنْ تَقُولُوا لِأَخْتِكُمْ

بِسُوءِ عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ مَا بِنَا

وماذا تروون اليوم إلا طبيعة

فكيف بتركي يابن أم الطباشير

وقد رفض مالك بن جبّار الطائي مساعدة ابن عمه حاتم الطائي
في تنافسه على الكرم مع بني لأم، قال حاتم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يا مال إحدى صروف الدهر قد طرقت

يا مال ما أنتم عنها بزحزاح

يا مال جاءت حياض الموت واردة

من بين غمر فخصناه وخصاح

فرد عليه مالك وقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

إنّا بنو عمكم لا أن نباعلكم

ولا نجاوركُم إلا على نّاح

وقد بلوتك إذ نلت الثراء فلم

ألقك بالمال إلا غير مرتاح

وقد عدّ طرفة بن العبد القيسي الأسباب التي أودت إلى خلاف بينه
وبين عشيرته، وكان منها الإنفاق الزائد، قال طرفة (القيسي، ٢٠٠٢):

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي
 وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِي
 إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا
 وَأَقْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعْيزِ الْمَعْبُدِ
 رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي
 وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمُقَدِّدِ
 أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضِرِ الْوَعْيَ
 وَأَنْ أَشْهَدِ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتِ مُخْلَدِي
 فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَبِيتِي
 فَدَعْنِي أَبَايَرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

دراسات سابقة عن الضغط الأسرى على ذوى الكرم الزائد

تطرقت على (٢٠١٣) إلى محاولة العاذلة في الجاهلية ثني
 الكريم عن كرمه، واستخدامها الحجج التي تصب في اتجاه التأثير
 السلبي للكرم على موارد الأسرة ومستوى حياتها، وأكدت الباحثة
 على قوة الضغط الكبيرة التي مارستها العاذلة، ولكن الباحثة
 وصلت إلى نتيجة مفادها أن خصلة الكرم الراسخة في نفس الكريم

تفوّقت على لوم العاذلة، واستمرّ الكريم في كرمه.

وصايا الأهل بمساعدة الناس

ووصايا الأهل أيضًا تدلّ على أنّ الفرد في الجاهليّة لم يكن
براجماتيًّا نفعيًّا، بل كان مأمورًا بمساعدة الآخرين. أوصى نو
الإصبع العدوانيّ ابنه باستخدام ماله بما يعود بالخير على الناس،
فقال (الأصفهانيّ، ٢٠١٠):

أُسَيْدُ إِنْ مَالاً مَلَكَ

تَ قَبِرْ بِهِ سَيْرًا جَمِيلًا

وأوصى ليبد بن ربيعة العامريّ ابنه بنفس الوصيّة، فقال
(العامريّ، ٢٠٠٤):

وَأَفْعَلْ بِمَالِكَ مَا بَدَا

لَكَ إِنْ مُعَانًا أَوْ مُعِينًا

وأوصى أبو قيس بن الأسلت ابنه قيس بالإحسان للفقير، فقال
(الأصفهانيّ، ٢٠١٠):

أَقِيسُ إِنْ هَلَكْتُ وَأَنْتَ حَيٌّ

فَلَا تَعْذَمْ مُوَاضِلَةَ الْفَقِيرِ

ونكر عمرو بن معد يكرب الزبيدي وصايا أبيه له بالحفاظ على
ما ورثه من المجد بفعل الخير وترك الأخلاق السيئة، قال عمرو
(الزبيدي، ١٩٨٥):

إِنِّي حَوَيْتُ عَلَى الْأَقْوَامِ مَكْرُمَةً
قَدْ مَأْوَخَذَنِي مَا يَتَّقُونَ أَبِي
فَقَالَ لِي قَوْلُ ذِي رَأْيٍ وَمَقْدِرَةٍ
مُجَرَّبٍ عَاقِلٍ نَزَهَ عَنِ الرِّيبِ

قد بلغت مجداً فحاذر أن تُدنسه
أب كريم وجد غير مُؤْتَشِبِ
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به
فقد تركتك ذا مال وذا نسب
واترك خلائق قوم لا خلاق لهم
واعمد لأخلاق أهل الفضل والأدب
وان دعيت لغدر أو أمرت به
فاهرب بنفسك عنه أبد الهرب

وأوصت سبيعة بنت الأحب النصرية ابنها بحفظ محارم مكة،

وعدم الظلم فيها، فقالت (المعافري، ١٩٩٠):

أُبْنَى لَا تَظْلَمُ بِمَكَّةَ

لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا بُنَى

وَلَا يَغُرَّنْكَ الْعُرُورُ

أُبْنَى مَنْ يَظْلَمُ بِمَكَّةَ

يَلْقَ أَطْرَافَ الشُّرُورِ

تأثير التوجه طويل المدى في المجتمع

ودرجة مجتمع ما على مقياس بعد التوجه طويل المدى تؤثر على علاقة الأفراد ببعضهم البعض، فالأفراد في المجتمعات ذات التوجه طويل المدى لا يتمسكون كثيراً بعاداتهم وتقاليدهم، بل يخضعونها لمنفعتهم، حيث المنفعة أهم من التقيد بالتقاليد، فلا يتعامل الأفراد مع مجتمعهم بمقياس عاطفي، بل بمقياس عقلي، يسمح لهم بانتقاد المجتمع ورموزه وماضيه في حال عدم تحقيق المنفعة، فبالنَّالَى فَإِنَّ الْفَخْرَ بِالْمَجْتَمَعِ لَيْسَ أَعْمَى، وَالتَّعَلُّمُ مِنَ الْمَجْتَمَعَاتِ الْآخَرَى وَارِدٌ وَمَقْبُولٌ.

يتمصف الأفراد بالمثابرة، وهي العامل الأساسي للنجاح،

ويؤمنون بتوفير المال من أجل مستقبل أفضل، وليس هناك ميل لمساعدة الآخرين اتباعاً لتقاليد معينة فقط، بل تتصف الشخصيات بالبراغماتية، وأكد هوفستيد Hofstede (٢٠١١) إلى وجود علاقة طردية بين درجة بعد التوجه طويل المدى والنمو الاقتصادي للمجتمع أو الدولة.

أما المجتمعات ذات التوجه قصير المدى، ففيها الأفراد متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم بشكل كبير، وهذا التمسك مصدره الأساسي فخر الأفراد بماضيهم، واعتبار كل شيء فيه جميلاً ومثالياً، فبالقái يجب تقليده، وهو فخر عاطفي، وليس خاضعاً لمقاييس عقلية، وينطوي عليه تعظيم المجتمع وقادته ورموزه، ورفض التعلم من المجتمعات الأخرى أو التأثر بها، والأصولية، والتعصب، وتناقل الحكم والأمثال بكثرة لأنها جزء من الماضي.

لا يتصف الأفراد بالثابرة ولا الصبر، وغالباً ما يعززون نجاحهم أو فشلهم للحظ أو لعوامل خارجية كنوع من التبرير النفسي لعدم أهمية الصبر والثابرة، ويتصفون بمساعدة الآخرين، والإنفاق غير المحسوب، وغالباً ما تكون هذه الصفات لـ «حفظ الوجه».

المجتمع العربي الجاهلي على مقياس التوجه طويل المدى

اتباع العادات والتقاليد القبلية

والتأمل في الشعر الجاهلي يعطى إشارة واضحة بميل المجتمع

الجاهلي لدرجة عالية من التوجّه قصير المدى، وهذا منطقي ومنسجم مع ميل الأسرة لتلك الدرجة، إذ أنّ الأسرة هي نواة تشكّل ثقافة الأفراد، ومنها ينطلقون لمجتمعاتهم حاملين ما تعوّدوا عليه في أسرهم.

ذكر لبيد بن ربيعة العامري مفتخرًا التزام أفراد قبيلته بالعادات والتقاليد التي توارثوها، فصدرها سادات لا يخطؤون، وهم بناء مجد قديم، فقال لبيد (التبريزي، ١٩٨٠):

مِنْ مَعْشَرٍ سُنْتُ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ
وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
أَنْ يَفْرَعُوا تَلَقَّ الْمَغَافِرُ عِنْدَهُمْ
وَالسُّنُّ يَلْمَعُ كَالْكَوَاكِبِ لَأُمِّهَا
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ
إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ الْهَسْوَى أَحْلَامُهَا
فَبِنُوا لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَكُهُ
فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا

وقد تمّ مناقشة الفخر القبلي بالتفصيل في الفصل الخاصّ بالفردية، ونذكر منها على سبيل المثال أبيات عبيد بن عبد العزى

الذي افتخر بقومه بنى سلامان بن مفرج فقال (البغدادى، ١٩٩٩):

لَنَا الْغُرَفُ الْعُلْيَا مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى
ظَفَرْنَا بِهَا وَالنَّاسُ بَعْدُ تَوَابِعُ
لَنَا جَبَلًا عِزٌّ قَدِيمٌ بِنَاهُمَا
تَلِيمَانٍ لَا يَأْلُوهُمَا مَنْ يُتَالَعُ
فَكَمْ وَافِدٍ مِنَّا شَرِيفٌ مَقَامُهُ
وَكَمْ حَافِظٌ لِلْقَرْنِ وَالْقَرْنُ وَادِعُ
وَمَنْ مُطْعِمٌ يَوْمَ الصَّبَا غَيْرَ جَامِدٍ
إِذَا شَمَخَ عَنْ أَبْنَائِهِنَّ الْمَوَاضِعُ
يُشَرِّفُ أَقْوَامًا سَوَانَا ثِيَابُنَا
وَتَبْقَى لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوهَا سَمَائِعُ
إِذَا نَحْنُ ذَارَعْنَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَى
قَبِيلًا فَمَا يَسْطِيعُنَا مَنْ يُذَارَعُ
وَمِنَّا بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ وَمُنْذِرُ
وَجْفَنَةُ مِنَّا وَالْقُرُومُ الزَّايِعُ

قَبَائِلُ مِنْ غَسَّانَ تَسْمُو بِعَامِرٍ
إِذَا انْتَسَبَتْ وَالْأَزْدُ بَعْدَ الْجَوَامِعِ
أَدَانَ لَنَا النُّعْمَانُ قَيْسًا وَجَنْدِفًا
أَدَانَ وَلَمْ يَمْنَعِ رَبِيعَةُ مَا بَعُ

الكرم في القبيلة

كذلك فقد تميّز الأفراد في القبيلة بالكرم، وكان هذا لنفس
الأسباب المذكورة سابقاً في الأسرة - التّفاخر و«حفظ الوجه» - قال
امروء القيس الكندي في إنفاق ماله من أجل الحصول على المجد
(الهاشمي، ١٩٦٩):

وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ
كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْفَى لِمَجْدٍ مُؤَثِّلٍ
وَقَدْ يَدْرِكُ الْمَجْدُ الْمُؤَثِّلَ أَمْثَالِي

وقال السّموأل الحارثي يصف قومه بالكرم ومفتخراً فيهم
(الطائي، ١٩٦٩):

فَنَحْنُ كَمَا الْمَزِينُ مَا فِي بَصَابِنَا
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلٍ

فلم يكن توفير المال غاية عند الأفراد الكرماء، على الرغم من وصول بعضهم لنتيجة أن التوفير مهم لضمان مستقبل أفضل، ولكن أشياء أخرى أهم - المجد و«حفظ الوجه». ذكر علقمة الفحل التميمي أن البخل أبوم لمال الرجل ولكن صاحبه مذموم، فقال (الهاشمي، ١٩٦٨):

وَالْجُودُ نَافِيَةٌ لِلْمَالِ مُهْلِكَةٌ
وَالْبُخْلُ مَبْقٍ لِأَهْلِيهِ وَمَذْمُومٌ

وقال الشنفرى الأزدي في نفس المعنى (الهاشمي، ١٩٦٩):

وَأَعْدَمُ أَحْيَانًا وَأَغْنَى وَإِنَّمَا
يُنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمَتَبَذِّلُ

وانفاق المال في الخير يستوجب المديح. مدح زهير بن أبي سلمى المزني هرم بن سنان المزي والحارث بن عوف المزي، حين دفعا ديات القتلى في داحس والغبراء من مالهما الخاص، وأوقفا حرب أبناء عمومتهما عيس وذبيان، قال زهير (التبريزي، ١٩٨٠):

تَدَارَكْتُمَا عَيْبًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَمَا

تَفَانُوا وَذَقُوا بَيْنَهُمْ عَطَرَ مَنْشِمٍ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السِّلْمِ وَاسِعًا

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمَ

وقال أيضا يمدح بنى مرة قوم هرم بن سنان والحاتر بن عوف

واصفًا إياهم بالكرم (الأصفهاني، ٢٠١٠):

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ

وَعِنْدَ الْمُقْلَيْنِ الشَّمَاخَةُ وَالْبَذْلُ

وقال الأعشى ميمون القيسي يمدح المخلق بن خنثم بالكرم

(الهاشمي، ١٩٦٩):

تَرَى الْجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ

كَمَا زَانَ مَسْتَنَ الْهِنْدُؤَانِي رَوْثُ

يَدَاكَ يَدَا صَدَقٍ فَكُفْ مَبِيدَةً

وَأُخْرَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالْمَالِ تَنْفَقُ

والبخل مبغوض، ومدعاة للهزاء، فبالتالي فإن الأفراد يمارسون

ضغطًا على بعضهم للكرم، فيساعد الفرد الآخرين «حفظًا لوجهه»،
وهذا سبب أساسي للكرم، قال طرفة بن العبد البكري في هجاء
البخيل (التبريزي، ١٩٨٠):

أرى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِعَالِهِ
كَتَبَرِ غَوَى فِي الْبَطَالَةِ مُفِيدِ
تَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا
ضَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ ضَفِيحٍ مُنْضِدِ

وقد أكد عدى بن زيد العبّادي على ضغط الناس على بعضها
للكرم، فهي تذلل البخيل وتبغضه، قال عدى (القرشي، ١٩٨١):

وَاللَّخْلِقِ إِذْ لَالَ لِمَنْ كَانَ بِاخِلَا
ضَنِينًا وَمَنْ يَبْخُلُ يُذَلِّ وَيُزْهَدِ
وَالْبَخْلَةَ الْأُولَى لِمَنْ كَانَ بِاخِلَا
أَعْفُ وَمَنْ يَبْخُلُ يُلْمُ وَيُزْهَدِ
وَأَبْذَتْ لِي الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ أَنَّهُ
وَلَوْ خَبَّ مَنْ لَا يُصْلِحُ الْمَالَ يُفْسِدُ

دراسات سابقة عن الكرم في القبيلة

خالف هذا الفصل ما جاء به عدّة باحثين عن أسباب ودوافع الكرم، فقد ذكر طقّوش (٢٠٠٩) مثلاً أن الكرم في الجاهلية هو رد فعل إيجابى على قسوة الحياة، وعدّد مجموعة من مظاهر الكرم، وأكد ضيف (٢٠٠٨) أن الكرم هو أهمّ صفة من صفات العرب في الجاهلية، وسببها جذب حياة الصحراء القاسية، وقد ذهبت على (٢٠١٣) إلى أن الكرم شكّر قيمة إنسانية واجتماعية رافقت عدّة قيم اتّسمت بها الشخصية العربية الجاهلية مثل الشجاعة والوفاء والأمانة والصدق والنّجدة، بل وتجاوز معنى الكرم عند الباحثة إلى معاني أوسع ليّشمل المروءة والإباء والصّبر على الدّنية، ويخالف البخل ودناءة النّفس.

والباحثون السّابقون وإن ذهبوا إلى أسباب مختلفة للكرم -على الرّغم أنّهم لم يجيئوا بمنهج علمى لبحث هذه الأسباب، بل ذكروا آرائهم الشخصية، أو ما تعارف عليه الباحثون السّابقون - إلا أنّهم ذكروا صراحةً تمدّح العرب به، أو تجنّب الهجاء بالبخل، وهى الإشارات الواضحة على علاقة الكرم بارتفاع درجات الذّكورة والتّوجّه قصير المدى، فقال طقّوش (٢٠٠٩) عن الجاهليّ مثلاً: «فكان يتباهى بكثرة الضيوف، وذبح الإبل وإطعامها للمحتاجين»، وقال أيضاً: «ومن أسباب الهجاء عند الشعراء فى الجاهلية إطفاء

النار عندما تمتنح الأضياف الكلاب»، وقال ضيف (٢٠٠٨) يصف الجاهليين: «ومن سننهم أنهم كانوا يوقدون النار ليلاً على الكثران والجبال، ليهتدى إليهم القائلون والضالون في الفياض، فإذا وفدوا عليهم آمنوهم حتى لو كانوا من عدوهم. ويدور في شعرهم الفخر بهذه النيران وأن كلابهم لا تنبح ضيوفهم لما تعودت من كثرة الغادين والرائحين»، وقالت على (٢٠١٣): «ومن الغايات التي قصد الكريم الوصول إليها، كنت اكتساب الحمد والثناء، فالكرم هو وسيلة للذات الطامحة إلى بلوغ المجد، والفوز بالحمد والإشادة، وفي تحقيق هذه العاية ما يضمن الوجود المثبت للذات، والحضور القوي في محيطها المجتمعي» وقالت أيضاً: «ولم يفت الشعراء الجاهليين، ولا سيما ممن عرفوا بالكرم، الحديث عما يجلبه البخل للذات من ذم، ينتقص من هيبتها الاجتماعية، ويقلل من رصيدها الإنساني عند الآخر».

أما على (١٩٩٣) فقد نفى صفة الكرم عن الأعراب عامة في الجاهلية، ووصفهم بـ «المادية المفرطة».

المروءة

ويساعد أفراد القبيلة الجاهلية بعضهم البعض، قال عبيد بن الأبرص الأسدي موصياً بالمساعدة في أي مكان (التبريزي، ١٩٨٠):

سَاعِدْ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ بِهَا
وَلَا تَقُلْ إِنِّي غَرِيبٌ
قَدْ يَوْضَلُ النَّازِحُ النَّائِي وَقَدْ
يُقَطِّعُ نَوَ السُّهُمَةِ الْقَرِيبُ

فلم يكن الأفراد في الجاهلية براجماتيين نفعيين، قال حاتم الطائي يصف نفسه بالأخلاق الحسنة الثابتة التي لا تغيرها الأحوال والمنافع (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فَأَقْسَمْتُ لَا أَمْشِي عَلَى سِرِّ جَارَتِي
يَدُ الدُّهْرِ مَا دَامَ الْحِمَامُ يَغْرُدُ
وَلَا أَشْتَرِي مَالًا بَغْدَرْ عِلْمَتُهُ
أَلَا كُلُّ مَالٍ خَالِطُ الْغَدْرِ أَنْكَدُ
إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ
فَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعْبَدُ
يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيْبًا
وَيُعْطَى إِذَا ضَنَّ الْبَخِيلُ الْمُصْرَدُ

إِذَا مَا الْبَخِيلُ الْخَبُّ أَخْمَدُ نَارَهُ
 أَقْبُولُ لَنْ يَضْلَى بِنَارِي أَوْقِدُوا
 تَوْشَعُ قَلِيلًا أَوْ يَكُنْ تَمَّ حَسْبُنَا
 وَمُوقِدَهَا الْبَارِي أَعْفُ وَأَحْمَدُ
 كَذَاكَ أُمُورُ النَّاسِ رَاضٍ دَنِيَّةُ
 وَسَامَ إِلَى فَرْعِ الْعَلَا مُتَوَرِّدُ
 فَمِنْهُمْ جَوَادُ قَدْ تَلَفَتْ حَوْلَهُ
 وَمِنْهُمْ لَنِيْمٌ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ
 وَدَاعٌ دَعَانِي دَعْوَةٌ فَاجْتَبَتْهُ
 وَهَلْ يَدْعُ الدَّاعِينَ إِلَّا الْيَلْتَدُّ

على الرغم من هذه الوصايا بالمرودة والنجدة، إلا أن هناك من
 رأى أن الأفراد في المجتمع لم يتصعوا بها، قال أوس بن حجر
 المازني التميمي يشكو من قلة خير الناس في المجتمع (الدينوري،

(١٩٥٨):

وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ
خِفَافَ الْعُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلاً
بَنَى أُمُّ بَنِي الْمَالِ الْكَثِيرَ يَرُونَهُ
وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأُمْرِ خَفِيفًا

دراسات سابقة عن المروءة

ذهبت علي (٢٠١٣) إلى وجود صفة المروءة في العرب في الجاهليّة، وإعاثة المحتاج والمهوف، بينما رأى علي (١٩٩٣) أنّ مساعدة الآخرين لم تكن موجودة أبداً في عرب الجاهليّة، بل كانوا يقطعون الطريق وينهبون القوافل ويقتلون من أجل المال، كما كانوا ينقلون على أحلافهم من أجل مصالحهم.

المثابرة والصبر

والمجتمع الجاهليّ يحمل درجة عالية من التّوجه قصير المدى، ولكنّه ليس على الطرف المطلق منه، فبالإضافة إلى ما سبق من ذكر مظاهر الدّرجة العالية من التّوجه قصير المدى، إلّا أنّ هناك بعض المظاهر الأساسيّة التي تُعدّ من مظاهر التّوجه طويل المدى، مثل المثابرة والصّبر. ذكر امروء القيس الكندي رحلته ومثابرته في الحياة، فقال (الكندي، ٢٠٠٤):

ألم أنضُ المطى بكل خرق
أَمَقَ الطُّولُ لِمَاعِ السُّرَابِ
وأركبُ في اللُّهَامِ المَجْرَ حَتَّى
أُنَالِ مَآكِلَ القُحْمِ الرِّغَابِ
وَكُلُّ مَكَارِمِ الأخْلَاقِ صَارَتْ
إِلَيْهِ هَمَّتِي وَبِهِ اكْتِسَابِي
وقد طَوَّقْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى
رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

ودعا عدى بن زيد العبَّادى للسَّعى والعمل الجاد، فقال (القرشى،

: (١٩٨١)

ولا تَقْعُدَنَّ عَنْ سَعْيٍ مَا قَدْ وَرِثْتَهُ
وما اسْطَعْتَ مِنْ خَيْرٍ لِنَفْسِكَ فَازِدِي

وأكد لبید بن ربیعۃ العامری علی أهمیة العزم لإنجاح الأمور،

فقال (القَبْرِیزِی، ١٩٨٠):

رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مِرَّةٍ

حَصِدٍ وَنَجَحُ صَرِيمَةٍ إِبرَاهِمُهَا

والشعراء الصعاليك كَوْنُوا مجتمعا مختلفا يميل لدرجات أعلى
من الفردية كما ذكر سابقا، فكان من الطبيعي الدعوة إلى المثابرة
والسعى لطلب الرزق، فهي الصفات التي تميز فردا عن آخر، وليس
النسب. خاطب عروة بن الورد العبسي -مُشرع ومنظر مجتمع
الصعاليك - زوجته في ضرورة السعى للغنى، فقال (الأصفهاني،
٢٠١٠):

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَإِنِّي

رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

وقال أيضا في أهمية السعى الجاد (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لَعَلَّ ارْتِيَادِي فِي الْبِلَادِ وَبُغْيَتِي

وَشَدَى حِيَازِيَمِ الْمُطَيَّةِ بِالرَّحْلِ

سَيُدْفَعُنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ

يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ

ونذكر أيضا صفات الصعلوك القدوة، والتي يتمنى أن يراها في كلِّ

الصعاليك، ومنها العمل الجاد (العيسى، ١٩٩٨):

لحي الله صُعلوكًا إذا جنَّ ليلُهُ
مصافى المشاش ألفا كلَّ مجزٍ
يُعَدُّ الغنى من نفسه كلَّ ليلةٍ
أصاب قِراها من صديقٍ ميسرٍ
ينامُ عِشاءً ثم يَصبحُ ناعسًا
يُحْكُ الخصى عن جنبه المتعَفِّرِ
قليلُ التماسِ الزَّادِ إلا لنفسيهِ
إذا هو أمسى كالعريشِ المجوِّرِ
يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يَستعينُهُ
ويُمسى طليحًا كالبعيرِ المحسَّرِ
ولكنَّ صُعلوكًا صفيحةً وجهه
كضوءِ شهابِ القابضِ المتنَوِّرِ
مُطلًا على أعدائِهِ يَزجرونه
بساحتهم زَجَرَ المنيحِ المشهَرِ

إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ

تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنْظِرِ

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا

حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

وقد ظهر من يدعو للقناعة والرضا، فهذا الأضبط بن قريع

التميمي قد دعا للرضا بقسمة الدهر، ولكنه لم يحدد إن كان رضا

وتكاسلا، أم رضا وعملا، قال الأضبط (الأصفهاني، ٢٠١٠):

فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ

مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِيشَهُ نَفْعَةٌ

وذكر عدة شعراء الصبر أيضا، وهو من أهم صفات الأفراد في

المجتمعات ذات التوجه طويل المدى، قال زهير بن جناد الكلبي

في حرب له على غطفان (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَلَوْ لَا صَبْرُنَا يَوْمَ التَّقِينَا

لَقِينَا مِثْلَ مَا لَقِيتَ ضِدَاءُ

غَدَاةٌ تُعَرِّضُوا لِبَنِي بَغِيضٍ

وَصَدَقُ الطَّعْنُ لِلنُّوْكَى بِشَفَاءٍ

وقال كعب حداد الفهمي - وهو أخو تأبط شراً - في إحدى غارات الصعاليك يدعوهم للصبر (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يَا قَوْمَ أَمَّا إِذَا لَقِيتُمْ فَاصْبِرُوا

وَلَا تَخِيْمُوا جَزَعًا فَتَذْبِرُوا

ودعا قيس بن زهير العبسي إلى عدم استعجال الأمور، وانتظار النتائج البعيدة، وهذا أساس وجوه الدرجة العالية من التوجه طويل المدى، قال قيس (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمَّهُ

فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمُسْتَدِيمٍ

دراسات سابقة عن المثابرة والصبر

ذكر علي (١٩٩٣) أنَّ الحياة في الجاهلية كانت بسيطة وبطيئة إلى أقصى حدٍّ، فلم يكن الرجل يعمل إلا في رعاية الإبل، فهو عمل بسيط ولا يتطلب مجهوداً، وأكد الباحث أيضاً احتقار العرب لأهل الحرف، بل ورفضهم النسب معهم، كما قارن الباحث بين

حياة الرجل والمرأة، ووصل إلى نتيجة مفادها أنَّ المرأة أكثر نشاطاً،
ومنوطمها مسؤوليات وواجبات أكثر من الرجل، مثل رعاية الأبناء
وتحضير الطعام، بالإضافة لبعض المهن مثل الغزل.

التساهل

تعريف بُعد التساهل

يُتَصَف الأفراد في مجموعات ما بالأريحية العالية في التعبير عن المرح والسعادة، وإعطائها وقتاً وأولوية في الحياة، بينما يشعر أفراد آخرون بضغطات اجتماعية تحدّ من هذه الأريحية على التعبير، وقد حاول باحثون كُثْر ربط درجة هذه الأريحية بمتغيرات ديموجرافية مثل العمر، أو أخرى اقتصادية مثل مستوى الدخل، إلا أنّ هذه المتغيرات أثبتت تأثيرات ضعيفة أو معدومة في الكثير من الدراسات، وحديثاً بدأ الحديث في الأدب عن عوامل ثقافية تؤثر في القدرة على التعبير عن المرح والسعادة، وهذه العوامل شكّلت البعد السادس من عوامل الثقافة، وهو بُعد التساهل. فبالنّسبة إلى من الممكن تعريف بُعد التساهل على أنّه مستوى الأريحية الذي توفره الثقافة للتعبير عن المرح والسعادة، أو درجة الميل العالي في مجموعة ما لإشباع الرغبات الأساسية والطبيعية المرتبطة بالمتعة والمرح، والتعبير عنها بدون قيود اجتماعية، أمّا الدّرجة المنخفضة من التساهل فتُسمّى التّحفّظ، والذي يمكن تعريفه على أنّه الدّرجة العالية من كبح وتنظيم التعبير عن المرح في مجموعة ما، أو درجة الضّغط على أريحية التعبير عن المرح والمتعة.

تأثير التساهل في الأسرة والمجتمع

ولهذا البعد تأثير على علاقة الأفراد ببعضهم البعض في أسرهم ومجتمعاتهم - شأنه شأن الأبعاد الثقافية الأخرى - ولم يتم الفصل بين الأسرة والمجتمع في هذا الفصل نظراً لحدثة هذا البعد في الأدب، وعدم وجود الدراسات الكافية عليه، مما يحيطه ببعض الغموض، وعدم القدرة على الفصل في كل المظاهر.

في الأسر والمجتمعات ذات الدرجة العالية من التساهل، يتمتع الأفراد بمستويات عالية من السعادة والتفاؤل، ويميلون لتذكر الأحداث المفرحة في حياتهم، ويملكون حق التعبير عن الفرح بشكل خاص والمشاعر بشكل عام، فيستطيعون التعبير عن فرحهم دون قيود اجتماعية، ولديهم الحق في الحصول على وقت ومال كافيين للمتعة، مما يزيد من انتشار النوادي الرياضية والترفيهية مثلاً، والعلاقات بين الجنسين أيضاً سهلة ومتاحة وليس عليها قيود اجتماعية، فيكثر اختلاط الجنسين في المدارس والجامعات والنوادي والأماكن العامة، كذلك فإن نسب شرب الكحول وتعاطي المخدرات أعلى من معدلاتها في المجتمعات الأخرى.

على الطرف الآخر، هناك الأسر والمجتمعات ذات الدرجة العالية من التحفظ، حيث يفرض على الأفراد عدة قيود أخلاقية واجتماعية تخص التعبير عن الفرح، والمشاعر الإيجابية أو

السلبية، ويميل الأفراد إلى تذكر الشاعر السلبية وليس من الضروري تخصيص وقت للمتعة، فليس لها أهمية أو أولوية كبيرة، والعلاقات بين الجنسين تنسم بالتحفظ، وتقل نسب شرب الكحول وتعاطي المخدرات عن معدلاتها في المجتمعات الأخرى.

المجتمع العربي الجاهلي على مقياس التساهل

لم يتم العثور في الشعر الجاهلي على وصايا آباء لأبنائهم، أو ما يشير بشكل أو بآخر إلى درجة معينة للأسرة الجاهلية على هذا البعد، ولكن تحليل الشعر يدل على درجة متوسطة من التساهل في المجتمع الجاهلي، وهذه الدرجة تشكلت من تعدد المظاهر وتباينها، حيث تواجدت في المجتمع مظاهر تدل على التساهل وأخرى تشير إلى التحفظ، وسنبداً بذكر مظاهر التحفظ.

الجذبة وعدم المزاح

أشار عدى بن زيد العبّادي إلى ضغوط اجتماعية على المرح حين أوصى بعدم المزاح أو إبداء الرأي في مجالس الرجال، فقد رأى أن المزاح يقلل من شأن صاحبه، ويُسفه رأيه حتى لو كان صائباً، قال عدى (العبّادي، ١٩٦٥):

إِذَا أَنْتَ فَاكَهْتَ الرِّجَالَ فَلَا تَلْعَ

وَقُلْ مِثْلَ مَا قَالُوا وَلَا تَتَزَنَّدِ

إِذَا أَنْتَ طَالَبْتَ الرِّجَالَ نَوَالَهُمْ
فَعِيفٌ وَلَا تَأْتِ بِجَهْدٍ فَتَنْكَدِ
وَإِيَّاكَ مِنْ فَرْطِ الْمَزَاحِ فَإِنَّهُ
جَدِيرٌ بِتَسْفِيهِ الْحَلِيمِ الْمُسَدِّ

دراسات سابقة عن الجذبة وعدم المزاح
رأى على (١٩٩٣) أن العرب في الجاهلية لم يميلوا إلى الدعابة
والضحك وكانوا يرون فيها ما يخالف المروءة، ولا تليق بإنسان
كريم، بل كانوا يميلون للعبوس والصرامة.

الحزن

كما أن نبرة الحزن في الشعر الجاهلي عالية، والأمثلة على ذلك
كثيرة، قال الحارث بن حلزة اليشكري (الأصفهاني، ٢٠١٠):

مَنْ حَاكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ
نَ الدَّهْرِ مَا عَلَى عَمْدَا
أَوْدَى بِمَادَبِّنَا وَقَدْ
تَرَكَوْا لَنَا خَلْقًا وَجُرْدَا

خيلي وفارسها وزب

أبيك كان أعز فقد

وقد مضى بن عمرو الجرهمي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يا أيها الحي بيروا إن قُصركم

أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

إننا كما أنتم كنا فغيرنا

دهر بضرّف كما صرنا تصيرونا

أزجوا المطى وأرخوا من أزمتها

قيل الممات وقضوا ما تُقضونا

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا

بالبعى فيه فقد صرنا أفانينا

كنا زماناً ملوك الناس قبلكم

ناوى بلاداً حراماً كان مسكوناً

وقال عبيد بن عبد العزى السلامي يتذكر محبوبته رميم

(البغدادي، ١٩٩٩):

وَقَدْ كَانَ فِي الْهَجْرَانِ لَوْ كُنْتَ نَاسِيًا
 رَمِيمٌ وَهَلْ يُنْسَى رَبِيعٌ وَضِيفُ
 وَلَمْ تُنَبِّنِي الْأَيَّامُ وَالْبَغْيُ بَيْنَنَا
 رَمِيمٌ وَلَا قَذْفُ النَّوَى حَسِينَ تَقْذِفُ
 وَلَمْ يَحُلْ فِي عَيْنِي بَدِيلُ مَكَانِهَا
 وَلَمْ يَلْتَبَسْ بِي حَبْلٌ مَنِ يَتَغَطَّفُ
 وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ الزَّبِيدِيَّ (الطَّائِي، ١٩٩٨):

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ
 بَوَّاتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدًا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَفُ
 تُوْ لَا يَرُدُّ بُكَائِي رَفْدًا
 أَلْبَسَتْهُ أَثْوَابُهُ
 وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
 أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ
 أَعْدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا

ذَهَبَ الدِّينَ أَحَبُّهُمْ

وَبَقِيَْتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

المقدمة الطَّلِيَّة

واتَّحاه الشعراء للمقدمة الطَّلِيَّة لافتتاح قصائدهم إشارة واضحة إلى تذكُّر الذكريات الحريية، وقد كثر استخدام المقدمة الطَّلِيَّة، بل كانت أشهر مقدمة تُمتنح بها القصيدة، وكانت مرتبطة بالحزن ورحيل المحبوبة، والأمثلة عليها كثيرة، قال امرؤ القيس الكندي (التبريزي، ١٩٨٠):

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فخول

فتوضَّح فالمقراة لم يعفُ رسمها

لما نسجتُها من جنوب وشمال

تري بغير الأرام في غوصاتها

وقيعانها كأنه حبٌ فلفل

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
 لَدَى سُمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٍ
 وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ
 يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجْمَلُ
 وَأَنْ شِفَائِي عِبْرَةٌ * مَهْرَاقَةٌ
 فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ

وقال أيضا (الكندى، ٢٠٠٤):

لَنْ طَلُّ بَيْنَ الْجُدْيَةِ وَالْجَبَلِ
 مَخْلُ قَدِيمُ الْعَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطَّيْلُ
 عَفَا غَيْرَ مُرْتَابٍ وَمَرَّ كَسْرَ حَبٍ
 وَمُنْخَفَضٍ طَامَ تَنْكَزٍ وَاضْمَخَلِ

وقال طرفة بن العبد البكري (الشبريزي، ١٩٨٠):

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ نَهَمَدِ
 تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَدِ

وقال زهير بن أسى سلمى المزني (التبريزي، ١٩٨٠):

أَمِنَ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ
بِخُومَانَةِ الدُّرَاجِ فَلْتَلِّمْ
وَدَارُ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا
مَرَّاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَهُ
وَأُطْلَاؤُهَا يَنْهَضُونَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً
فَلَأْيَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ ثَوَمٍ
أَثَافِي مَفْعًا فِي مُعَرِّبٍ مَرَجٍ
وَنُؤْيَا كَجَذَمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلِّمْ

وقال أيضًا (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لَمَنْ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحَجَرِ
أَقْوِينَ مَذْجَجٍ وَمَذْ نَهْرٍ
لِعَبِّ الزَّمانِ بِها وَغَيرِها
بَعْدَى نَوافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ

وقال أيضاً (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لَمَنْ طَلُّ بِرامَةٍ لا يَرِيمُ
عفا وأحالَهُ عَهْدُ قَدِيمٍ
تُطالِعُنِي خَيالاتٌ لَنَلَمِي
كَمَا يَتَطالَعُ الدِّينَ الغَرِيمُ

وقال لبَّيد بن ربيعة العامري (التبريزي، ١٩٨٠):

عَفَّتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها
بِمَعْنى تَأبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها
فَمَدافِعُ الرِّيانِ عَرَى رَسْمِها
خَلَقَها كَمَا ضَمَّنَ الوُجى بِسَلامِها

دَمِنْ تَجَرُّمٍ بَعْدَ عَهْدِ أَبِيسَاسَا
حَجَجُ خَلَوْنَ خِلَالُهَا وَحَرَامُهَا

وقال عنتره بن شداد العبسي (القبريزي، ٢٠١٠):

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مَقَرِّمٍ
أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ
يَا دَارَ غِبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي
وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ غِبْلَةٍ وَاسْلَمِي
فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا
فَذَنْ لَأَقْضَى حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ
وَتَحُلُّ غِبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا
بِالْحَزَنِ فَالضَّمَانِ فَالْمُتَلَمِّمِ
حُبَيْتٍ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدِهِ
أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ

وقال أيضا (العبسي، ٢٠٠٤):

طال الثَّوَاءُ على رُسوم المنزل
 بين اللّكّيك وبين ذات الحَرَمِ
 فوقفتُ في عرصاتِها مُتَحِيرًا
 أسلُ الديار كفعل مَنْ لَمْ يَذْهَبْ
 لعبت بها الأنواءُ بعد أنيسها
 والزّامساتُ وكلُّ جون مُسَبِّل
 أفمن بكاءِ حمامةٍ في أيكَةٍ
 ذرفتُ دموعك فوق ظَهْرِ المحمِلِ
 كالذَّرِّ أو قَضَضِ الجُمانِ تَقَطَّعتْ
 مِنْهُ عَقَائِدُ سِلْكِهِ لَمْ يَوْضِلِ
 وقال الحارث بن حلزة اليشكري (التبريزي، ١٩٨٠):
 أَذِنْتَنَا بَيْنَهَا أَشْمَاءُ
 رَبُّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
 بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءُ
 فَأَذْنَى دِيَارَهَا الْخَلْصَاءُ

فالمحيَاةُ فالصَّفاحُ فأعنا
قُ فتاقِ فعاذبُ فالوفاءُ
فرياضُ القطا فأوديةُ الشرِّ
بُوبُ فالشُّعْبَتَانِ فالأَبلاءُ

وقال النابغة الذبياني (التبريزي، ١٩٨٠):

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسُّفْدِ
أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
وقفتُ فيها أَصِيلاً كى أُسائِلُها
غَيْتُ جواباً وما بالرُّبعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أوارى لَأَيَّاماً أُبَيِّنُها
والنُّوى كالخَوْضِ بالظَلُومةِ الجَلَدِ

وقال أيضاً (الذبياني، ١٩٩٦):

عفا ذو حُسا مِنْ فَرَّتَنِي فالقوارِغُ
فجنبنا أريكِ فالقِلاعُ الدِّواقِغُ

فمَجْتَمَعُ الأَشْرَاجِ غَيْرَ رَسْمِهَا
 مَصَافٍ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِغُ
 تَوَهَّمْتُ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتُهَا
 لِبِسْتِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِغُ
 رَمَادُ كَكُحْلِ الْعَيْنِ لِأَيَّا أُبَيِّنُهُ
 وَنَوَى كَجَذَمِ الْحَوْضِ أَثْلُمُ خَاشِعُ
 كَأَنَّ مَجَرَ الرَّامِسَاتِ ذِيُولَهَا
 عَلَيْهِ حَصِيرُ نَمَقَتِهِ الصَّوَاتِغُ
 عَلَى ظَهَرِ مَبْنَاةٍ جَدِيدٍ سُيُورُهَا
 يَطُوفُ بِهَا وَشَطِ اللَّطِيمَةِ بَائِعُ
 فَكَفَكْتُ مَنَى عِبْرَةً فَرَدَدْتُهَا
 عَلَى الذَّحْرِ مِنْهَا مَسْتَهْلٌ وَدَامِعُ

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي (التبريزي، ١٩٨٠):

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ
 فَالْقُطَيْبِيَّاتُ فَالذُّنُوبُ

فَرَاكِسٌ فَتُعِيلِبَاتُ
فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالْقَلِيبُ
فَعَرْدَةٌ فَتَقَا حَبِيرٌ
لَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبُ
وَبَدَّلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَحُوشًا
وَعَيَّرَتْ حَالَهَا الْخُطُوبُ

وقال العباس بن مرداس السلمى (الأصفهاني، ٢٠١٠):

هَلْ تَعْرِفُ الطُّنْلَ الْقَدِيمَ كَأَنَّهُ
وَشُمُّ بِأَسْفَلِ ذِي الْخِيَامِ مُرْجِعُ
بَقِيَّتِ مَعَارِفِهِ عَلَى مَرِّ الصَّبَا
بَعْدَ الْجَمِيعِ كَأَنَّهُ قَدْ يَمْرُغُ
دَارُ الْتَى صَادَتْ فَوَادِكُ بَعْدَمَا
شَمِلَ الْمَفَارِقُ مِنْكَ شَيْبُ أَرْوَعُ
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تُرَاجُ إِلَى الصَّبَا
وَعَلَّتْكَ مِنْهُ شَبِيبَةٌ لَا تُرْجِعُ

وقال سعية بن عريض الحارثي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

يادار سُعدى بمَقْضى تَلعةِ النُّعمِ

حُيِّيتِ دارًا على الإقواءِ والقِدَمِ

عُجْنَا فما كَلَمْتَنَا الدَّارُ إذ سُئِلَتْ

وما بها عن جوابٍ خَلَتْ من صممِ

وما بجزعِكَ إلا الوحشُ ساكنةٌ

وهامدٌ من رَمادِ القَدْرِ والحُمَمِ

وقال الربيع بن أبي الحقيق القريظي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

دورٌ عَفَتْ بِقَرَى الخابورِ غَيْرُهَا

بعدَ الأنيسِ سَوافى الرِّيحِ والطرُ

إنْ تَمَسَّ دارُكَ مَمْنٌ كان ساكنُها

وحشًا فَذَلِكَ صَرَفُ الذَّهْرِ والغَيْرِ

وقَدْ تَحَلَّ بِهَا بَيْضُ ترائِبُها

كَأَنَّها بَينَ كُثبانِ النُّقا البقرُ

وقال لقيط بن زرارَةَ التميمي (الأصفهاني، ٢٠١٠):

لَنْ دَمْنَةُ أَقْفَرْتُ بِالْجَنَابِ

إِلَى السَّفْحِ بَيْنَ الْمَلَأِ فَالْهَضَابِ

بَكَيْتُ لِعُرْفَانِ آيَاتِهَا

وَهَاجَ لَكَ الشُّوقُ نَعْبُ الْغُرَابِ

وقال مالك بن عويمر المتنخل (الأصمهاني، ٢٠١٠):

عَرَفْتُ بِأَجْدُثٍ فَبِعَافٍ عَرُوقِ

غَلَامَاتٍ كَتَخْبِيرِ النَّمَاطِ

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَّاتِ فِيهَا

قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيَاطِ

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي (الجزري، ٢٠١٠):

أَتَعْرِفُ مِنْ هُنَيْدَةَ رَسْمَ دَارِ

بَحْرَجِي ذُرُوقَ فِإِلَى لَوَاهَا

وَمِنْهَا مَنْزِلُ بَيْرَاقِ خَبْتِ

عَفْتُ حُقْبَا وَغَيْرَهَا بِلَاهَا

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي (القرشي، ١٩٨١):

عَرَفْتُ الدَّارَ قَدْ أَقَوْتُ سِنِينَا
 لَزَيْنَبَ إِذْ تَحَلَّ بِهَا قَطِينَا
 وَأَذْرَتْهَا جَوَافِلُ مُعْصِفَاتٍ
 كَمَا تُذْرى المُلَمْلَمَةُ الطَّحِينَا
 وَسَافَرْتَ الرِّيحُ بِهِنَّ عُصْرًا
 بِأَذْيَالٍ يَرْخُنَ وَيَغْتَدِينَا
 فَأَبْقَيْنَ الطُّلُوعَ مُخْبِيَاتٍ
 ثَلَاثًا كَالْحَمَائِمِ قَدْ بَلِينَا
 وَأَرْيَا لِعَهْدٍ مُرْتَدَاتٍ
 أَطْلَنَ بِهَا الصُّفُونُ إِذَا افْتُلِينَا

وقال حاجز بن عوف الأزدي (البغدادى، ١٩٩٩):

سَأَلْتُ فَلَمْ تَكَلِّمْنِي الرُّسُومُ
 فَظَلْتُ كَأَنَّنِي فِيهَا مُسْقِيمُ
 بِقَارِعَةِ الْغَرِيفِ قَذَاتِ مَشْيِ
 إِلَى الْعَصْدَاءِ لَيْسَ بِهَا مُقِيمُ

مَنَازِلُ غَذَبَةِ الْأَنْيَابِ خُودِ
فَمَا إِنْ مِثْلُهَا فِي النَّاسِ نِيْمُ
فَأَمَّا إِنْ صَرَفْتُ فَنَغِيرُ بَغْضِ
وَلَكِنْ قَدْ تُغْدِيْنِي الْهُمُومُ

وقال زهير بن مسعود الضَّبِّي (البغدادى، ١٩٩٩):

أَقْفَرُ مَنْ سَلِمَى يَنَاضِيبُ
فَبِطْنُ ذِي قَارِ فَعُرْقُوبُ
قَوَاسِطُ أَقْفَرٍ مِنْ أَهْلِهِ
فَذَاتُ قَرْقَيْنِ فَمَلْحُوبُ
مَنَازِلُ الْحَيِّ إِذَا الْحَيُّ نَمَ
تَشَقَّبَهُمْ عَنْكَ الْأَشَاعِيبُ

وقال عامر بن جوين الطَّائِي (البغدادى، ١٩٩٩):

هَاجَ رَسْمٌ دَارِسٌ طَرَبًا
فَطَوِيلًا ظَلَّتْ مُكْتَبِيَا

أَنْ رَأَيْتَ الدَّارَ مَوْجِسَةً
 بِلُغَاظِ كَمَ لَهَا رَجَبَا
 دَارَ هِنْدٍ بِالنُّتَارِ وَقَدْ
 رَثَ حَبْلُ الْعَهْدِ فَاِنْقَضَا
 بَيْنَ سَيْلِ الْوَادِيَيْنِ كَمَا
 نَعَمَ ابْنَا مُنْذِرٍ كُتُبَا
 أَبَاتِكَ الطَّيْرُ إِذْ نَفَخَتْ
 وَالْغُرَابُ الْوَحْفُ إِذْ نَعَبَا
 أَنْ هِنْدًا غَيْرَ مُسْقِبَةٍ
 بِالدِّيَارِ كَالَّذِي حَبَبَا

دراسات سابقة عن المقدمة الطللية

تطرَّق حامد (٢٠١١) إلى المقدمة الطللية، ووصفها بأنها إضاعة
 الشاعر لذاته، ثم البحث عنها في الطلل، فالمقدمة الطللية إذا
 ذات مدلول نفسي حزين، تُصوِّر انفعالات الشاعر المضطربة،
 وأشجانه، وتعكس خلوه نفسه من الشاعر الجميلة التي سكنتها،
 ورأى معمرى (٢٠١٨) أن الأطلال في الشعر الجاهلي قد تجاوزت

معناها المادى، حيث عنى بها الشاعر نفسه، وأسقط تغير حالها على تغير مشاعره، فكان البكاء على الأطلال وسيلة مناسبة لنقل الصورة الحزينة فى نفس الشاعر.

التعفف عن الحاجات الأساسية كالنوم والأكل

ومن المظاهر التى زادت فى ارتفاع درجة التحفظ فى المجتمع الجاهلى التعفف عن الحاجات الأساسية مثل الأكل والنوم، وهذا التعفف نتيجة لضغوط اجتماعية تصف الفرد كثير الأكل أو النوم بصفات غير إيجابية مثل الكسل أو قلة المروءة، فيتعفف الفرد عنها، ويفتخر بذلك، وقد ذكر عدة شعراء -تفاخراً- تعففهم عن الطعام، فمثلاً ذكر الشنفرى الأزدى تعففه عن الاستعجال بالأكل خوفاً من التصاق تهمة الجشع به، قال الشنفرى (الهاشمى)،
(١٩٦٩):

وإنْ مُدَّتْ الأيْدِي إلى الزَّادِ لمْ أَكُنْ

بأعجلهمْ إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أعجلُ

وقال أيضاً (الهاشمى، ١٩٦٩):

وَأَعْدُوْ خَمِيصَ البَطْنِ لَا يَسْتَفِرُّنِي

إلى الزَّادِ حَرَمٌ أَوْ قُرْوَادُ مُوَكَّلُ

ومن الضغوط الاجتماعية التي دفعت بالشنفرى إلى التعفف عن الأكل أنه لا يريد أن يرى فضلاً لأحد عليه، قال الشنفرى فى ذلك (الهاشمى، ١٩٦٩):

أديمُ بطلَ الجوعِ حتَّى أميتهُ
وأصربُ عنه الدُّكرَ صفحاً فأذهلُ
وأستفُّ ثُربَ الأرضِ كي لا يرى له
على من الطَّوْلُ امرؤُ مُتَطوِّلُ
ولولا اجتنابُ الذَّامِ يُلَفُّ مشربُ
يُعاشُ بهِ إلا لَدَيَّ ومأكُلُ
ولكنَّ نفساً مُرةً لا تقيمُ بي
على الضَّيْمِ إلا ريثما أتحوِّلُ

وكان تعفف عنتره العبسى عن الأكل لنفسه هذا السبب، (العبسى، ٢٠٠٤):

ولَقَدْ أبَيْتُ على الطَّوى وأظْلُهُ
حتَّى أنالَ بهِ كَرِيمَ المأكُلِ

وهو نفس السبب الذى تعفف من أجله أوس بن حجر المازنى عن

الأكل أيضاً، قال أوس (الدينوري، ١٩٥٨):

تَرَكْتُ الْخَبِيثَ لَمْ أَشَارِكْ وَلَمْ أَبْقِ

وَلَكِنْ أَعَفَّ اللَّهُ مَالِي وَمَطْعَمِي

وهناك من افتخر بتترك النوم - الذي يعدّ حاجة إنسانية أساسية، وفيه راحة ورفاهية - فهذا تأبط شرّاً قد افتخر بقلّة نومه وربطها بفروسيّته، فقال يصف نفسه (الأصفهاني، ٢٠١٠):

قَلِيلٌ غَرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِّهِ

نَمُّ الشَّارِ أَوْ يَلْقَى كَمِيّاً مُقْنَعَا

ورثي دريد بن الصّمة الجشمي عمّه خالد بن الحارث، ووصفه متفاخراً بأنّه قليل النّوم، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَلَيْسَ بِمَكْبَابٍ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ

نَوُومٍ إِذَا مَا أَتْلَجُوا فِي الْمُقَرَّبِ

وَلَكِنَّهُ بِذَلَاجٍ لَيْلٍ إِذَا سَرَى

يُنْدُ سُرَاهُ كُلُّ هَابٍ مُمَلِّسٍ

اللهو والمرح

وإذا كانت المظاهر السابقة تشير إلى ارتفاع درجة التحفظ في المجتمع الجاهلي، فإن هناك مظاهراً أخرى تشير في الاتجاه المعاكس، منها مظاهر اللهو والمرح. قال زهير بن مسعود الضبي يصف ليالي قومه (البغدادي، ١٩٩٩):

يُسمَعُ لِلسَّامِرِ فِيهِمْ إِذَا
أَمَسُوا أَغَانِيَّ وَتَطْرِبُ

دراسات سابقة عن اللهو والمرح

وصف علي (١٩٩٣) حياة الشباب في الجاهلية، وقال أنها مليئة باللهو وتمضية الوقت بالعبث، فكان الجاهليون يتسكعون ويحاولون جلب انتباه النساء بلبسهم وزينتهم.

شرب الخمر

ذكر شرب الخمر في الفصل الخاص ببعد عدم التيقن كنتيجة لارتفاع نسبة القلق من الغموض، وكوسيلة للتكيف والتعامل مع هذه النسبة المرتفعة، فكان الخمر مقروناً بالحرب، ولكن الخمر ارتبط في مواضع أخرى بالمتعة واللهو، وفي هذا إشارة إلى شرب الخمر يهدف المرح، قال لييد بن ربيعة العامري (التبريزي، ١٩٨٠):

بل أنت لا تدريين كم من ليلة
 طَلَقَ لَذِيذَ لَهْوِهَا وَبَدَامُهَا
 قَدْ بَسْتُ سَامِرَهَا وَغَايَةَ تَاجِرِ
 وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزُّ مُدَامُهَا
 أُغْلَى السُّبَاءُ بِكُلِّ أَذْكَنَ عَاتِقِ
 أَوْ جَوْنَةٍ قَبِضَتْ وَفُضُّ خِتَامُهَا
 بِصُحُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذَبِ كَرِينَةٍ
 بِمَوْتَرٍ تَاتَأَلُوهُ إِبْهَامُهَا
 بَادَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسِحْرَةٍ
 لِأَعْلُ مِنْهَا حِينَ هَبَ نِيَامُهَا

وقال الأعشى ميمون القيسي (التبريزي، ١٩٨٠):

لَمْ يَلْهِنِي اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقَبُهُ
 وَلَا اللَّذَازَةُ مِنْ كَأْسٍ وَلَا الْكَتْلُ
 فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دِرْنِي وَقَدْ ثَمَلُوا
 شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمْلُ

دراسات سابقة عن شرب الخمر

ذكر على (١٩٩٣) شيوع الخمر في مجالس العرب في الجاهلية، وعده إحدى متع الحياة الثلاث بالنسبة للشباب، وهي الخمر والنساء والقمار، وأكد انتشار الخمرات في كل مكان، كما سقى بعض من تعفموا عن شرب الخمر، مثل الوليد بن المغيرة المخزومي، وعبدالله بن جدعان التيمي، وقيس بن عاصم المذقري، وعامر بن الظرب العدواني، وورقة بن نوفل الأسدي، وزهير بن أبي سلمى المزني، والنابغة الذبياني، إلا أنني لم أعثر على شعر في ذلك.

استباحة النساء

وقد يترافق مع الخمر وجود النساء، قال طرفة بن العبد يذكر أهمية الخمر والحرب والجنس في حياته (التبريزي، ١٩٨٠):

ولولا ثلاث هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْعَتَى

وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي

فَمِنْهُنَّ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبِي

كُمَيْتِ مَتَى مَا تُعَلِّ بِالماءِ تُزِيدِ

وَكَرِي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنِّبًا

كَمِيدِ الْغُضَا نَبَهْتَهُ التَّوَرْدُ

وتَقْصِرُ يَوْمَ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجَبٌ

بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْعَمْدِ

وقال عبيد بن عبد العزى السلامى فى أهميّة صحبة الفرسان
والخمر والنساء فى حياته (البغدادى، ١٩٩٩):

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِى ثَلَاثٍ هِىَ الْمَنَى

فَمَنْ نَالَهَا مِنْ بَعْدُ لَا يَتَخَوَّفُ

صَحَابَةَ فَتَيَانَ عَلَى تَاعِجِيَّةٍ

مَنَاسِمُهَا بِالْأَمْعَزِ الْمَحَلِّ تَرْعَفُ

وَكَأْسُ بَأْيَدِ السَّاقِيَيْنِ رَوِيَّةٌ

يُمَدَّانِ رَأُوقِيَهُمَا حِينَ تُنْزَفُ

وَرَبَّةٌ خَدِرٍ يَنْفُحُ الْمِسْكَ جَيْبُهَا

تَضُوعُ رِيَّاهَا بِهِ حِينَ تُصَدَّفُ

إِذَا سُلِبَتْ فَوْقَ الْحَشِيَّاتِ أَشْرَقَتْ

كَمَا أَشْرَقَ الدِّعْصُ الْهَجَانُ الْمُصَيَّفُ

وقال عدى بن زيد العبادى يذكر وجود القيان والخمر فى أحد

مجالسه (ابن خلكان، ١٩٩٤):

وَدَعُوا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا فُجَاءَتْ
قَيْنَسَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
قَدَّمَتْهُ عَلَى عُقَارِ كَعَيْنِ الدَّ
يَكُ ضَفَى سُلَافِهَا الرَّاوِقُ
مُرَّةً قَبْلَ مَزْجِهَا فَإِذَا مَا
مُزِجَتْ لَذَّ طَعْمُهَا مَنِ يَذُوقُ
وَطْفًا فَوْقَهَا فَتَقِيحُ كَالِيَا
قَوَتْ حُمْرُ يَزِينُهَا التَّصْفِيْقُ
ثُمَّ كَانَ الْمِزَاجُ مَاءً سَحَابِ
لَا صَدَى آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ

أما الفحل اليشكرى فقد ذكر الخمر مرتبطًا بعلاقة جنسية مع

امراة، فقال (الطائى، ١٩٦٩):

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا
ةِ الْخَدِرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
الْكَاعِبِ الْحَمَاءِ تَرُ
فُلُ فِي الدَّمَقِ فِي الْخَرِيرِ
فَدَقَمْتُهَا فَتَدَافَعْتُ
مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسْتُ
كَتَنَفَّسِ الظَّبْيِ الْغَرِيرِ
فَدَنْتُ وَقَالَتْ يَا مَذْخَلُ
مَا بِجَسَمِكَ مِنْ حَرُورِ
مَا شَفَ جِسْمِي غَيْرَ حَبِّكَ
فَاهْدُئْ عَنِّي وَسِيرِ
وَأَحْبُبْهَا وَتَحَبُّنِي
وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِ

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ

بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ

فَإِنَّا انْتَشَيْتُ فَإِنَّنِي

رَبُّ الْخُورَنَسَقِ وَالْمَسْدِيرِ

وَإِنَّا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي

رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

وذكر المرقش الأكبر البكري علاقة جمعته بفتاة أيام شبابه،
فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

وَرُبُّ أَسِيلَةِ الْخَدَيْنِ بِكُرٍ

مُنْعَمَةٌ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ

وَنُوَ أَشْرُ شَتَيْتِ الثُّبَّتِ عَذْبُ

نَقَى اللَّوْنِ بَرَّاقُ بَرُودُ

لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَبَابِي

وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ

أَنَاسُ كُلِّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلَا

عَنَانِي مِنْهُمْ وَضَلَّ جَدِيدُ

وافتحّر ورقة بن نوفل الأسدى القرشى بعلاقة جنسية له أيام
شبابه، فقال (الأصفهاني، ٢٠١٠):

ولقد دخلت البيت يخشى أهله
بعد الهدوء وبعدما سقط الندى
فوجدت فيه حرة قد زينت
بالحلى تحسبه بها جمر الغضا
فنعمت بالأ إذ أتيت فراشها
وسقطت منها حين جئت على هوى
فلتلك لذات الشباب قضيتها
عنى فسائل بعضهم ماذا قضى

وقال امرؤ القيس يذكر علاقة له بامرأة (الكندى، ٢٠٠٤):

يا رب غانية لهوت بها
ومشيت متبدا على رسلى

وقال أيضا يصف علاقة جنسية مع امرأة متزوجة (الدينورى، ١٩٥٨):

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ
فَقَالَتْ سَبَّكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي
أَلَسْتُ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَخْوَالِي
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا
وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ خَلْفَةً فَاجِرٍ
لَنَامُوا وَمَا إِنَّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ
هَضَرْتُ بَغْضَنَ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ
وَصَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقٌّ كَلَامُنَا
وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَغْبَةً أَيْ إِذْلالٍ
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا
عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ

وقال يصف مراودته لعنيزة، ويذكر علاقات جنسية سابقة له
(التبريزي، ١٩٨٠):

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدَرَ خَدَرَ عَنِيْزَةً
 فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
 تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيْطُ بِنَا مَعًا
 عَقَرْتُ بِعَيْرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلِ
 فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ
 وَلَا تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَّاكَ الْمَعْلَلِ
 فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ
 فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوِّلِ
 إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
 بِشَقٍّ وَتَحَقَّى شَقُّهَا لَمْ يُخَوِّلِ
 وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ عِلَاقَةَ لَهُ مَعَ امْرَأَةٍ (التَّبْرِيزِي، ١٩٨٠):
 وَبِيْضَةً خَدِرٍ لَا يَرَامُ خِبَاؤُهَا
 تَمْتَمَعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

تجاوزتُ أخراً إليها ومَعشراً
على جِراساً لو يُسروْنَ مَقْتلى
إذا ما الثريا في السماءِ تعرّضتْ
تعرّضْ أثناء الوشاحِ الفصلِ
فجئتُ وقد نضتْ لنومِ ثيابها
لدى السّترِ إلا لبسة المتفضّلِ
فقالَت يمين الله ما لك حيلةُ
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
خرّجتُ بها أمشي تجرّ وراءنا
على أثرينا ذيلَ مرطٍ مَرَحَلِ
فلما أجزنا ساحة الحى واتّحى
بنا بطنُ خَبَتِ ذى حِقافِ عَقَنَقَلِ
هصرتُ بفؤدي رأسها فتمايلتْ
عليّ هضيمَ الكشحِ رِيا المُخلخلِ

إِذَا التَّفَتَتْ نَحْوَى تَضَوُّعِ رِيحِهَا
نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَا الْقَرْنَفِ
مُهْفَهْفَةً بَيضاءَ عَيْرٍ مُفَاضَةٍ
تَرَانِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ

ووصف بعض الشعراء علاقات لهم مع أكثر من امرأة، قال عدى
بن زيد العبَّادى (الدينورى، ١٩٥٨):

بَنَاتِ كِرَامٍ لَمْ يُرْبُنْ بِضُرَّةٍ
دُمَى شَرَقَاتٍ بِالْعَبِيرِ رَوَادِعَا
لَهَوْتُ لِهِنَّ بَيْنَ بَرٍّ وَرَشْدَةٍ
وَلَمْ آلْ عَنْ عَهْدِ الْأَجْبَةِ خَادِعَا
يُسَارِقْنَ مِ الْأَسْتَارِ طَرْفًا مُفْتَرَا
أَوْ يُبْرِزْنَ مِنْ فَتَقِ الْخُدُورِ الْأَصَابِعَا

وقال عدى بن وادع الأزدي (البغدادى، ١٩٩٩):

وَحُورٌ قَدْ خَزَزَتْ لِهِنَّ طَرْفَى
لَذِيذَاتِ الْمَوَدَّةِ وَالْعِنَاقِ

يَدْفَنُ الزَّعْفَرَانُ عَلَى خُدُودِ

نَوَاعِمٍ لَا كَلْفَنَ وَلَا بَهَاقِ

كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ مُتَوْنٌ بَيْضٌ

جَلَّتْهَا الشَّمْسُ فِي ذُرِّ الشَّرَاقِ

لَذِيذَاتِ الشُّبَابِ مُخْضَرَاتِ

مَخَاصِرُهُنَّ فِي نَشْرِ رَقَاقِ

ويبدو من شعر امرئ القيس الكندي أن علاقته بفرتني وهر

علاقة متزامنة، قل امرؤ القيس (الكندي، ٢٠٠٤):

أَغَادِي الصُّبُوحِ عِنْدَ هَرٍّ وَفَرْتَنِي

وَلِيدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِي غَيْرُ هَرٍّ

إِذَا ذَقْتُ فَاها قَلْتُ طَعْمَ مَدَامَةٍ

مَعْتَقَةً مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التُّجُرُّ

هُمَا نَعَجَتَانِ مِنْ نَعَاجِ تَبَالَةٍ

لَدَى جُونُزَيْنٍ أَوْ كَبْعَضِ دَمِي هَكَرٍّ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ مِنْكُ مِنْهُمَا

بِرَائِحَةٍ مِنَ اللَّطِيمَةِ وَالْقَطْرِ

وفي المقابل فقد ذكر القليل من الشعراء تعفّفهم عن العلاقة مع النساء، قال الشنفرى الأزدي يصف نفسه بأنه ليس ذاك الفتى الذى يتكحل ويتعطر لينال إعجاب النساء (الهاشمي، ١٩٦٩):

وَلَمْتُ بِمَهْيَافٍ يُغْشَى سَوَامِهِ

مُجْدَعَةٌ سُقْبَانُهَا وَهَى بُهْلُ

وَلَا جُبًّا أَكْهَى مُرَبِّ بِعَرَبِهِ

يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

وَلَا خَرِقَ هَيِّقٍ كَأَنَّ فَوَادُهُ

يَظُلُّ بِهِ الْكَاءُ يَغْلُو وَيَسْفُرُ

وَلَا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلُ

يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ

وذكر عنقرة بن شدّاد العبسي لعبلة عدم تزيّنه وتعطره لانشغاله بالحرب، فقال (العبسي، ٢٠٠٤):

عَجِبْتُ عُيْلَةً مِنْ فَتَى مُتَبَذِّلٍ

عَارَى الْأَشَاجِعِ شَاحِبِ كَالْبُصْلِ

شَعَثِ الْمَفَارِقِ مُنْهَجِ سِرْبَالُهُ

لَمْ يَنْهَنْ حَوْلًا وَلَمْ يَتَرَجَّلِ

لَا يَكْتَسِي إِلَّا الْحَدِيدَ إِذَا اكْتَسَى

وَكِذَاكَ كُلُّ مُغَاوِرٍ مُسْتَبْسِلِ

قَدْ طَالَمَا لَبَسَ الْحَدِيدَ فَإِنَّمَا

صَدَأُ الْحَدِيدِ بِجِلْدِهِ لَمْ يُغْسَلِ

وذكر عنقرة تعففه عن النظر إلى النساء لقيمة خلقية عنده

(العبسي، ٢٠٠٤):

وَأَغْضُ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي

حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا

دراسات سابقة عن استباحة النساء

أشار ضيف (٢٠٠٨) إلى شيوع استباحة النساء في المجتمع

الجاهلي، وعدد عدة مهن كانت تقوم بها الإماء، من ضمن هذه

المهن «عاهرات يتّخذن الأُحدان» و«قينات يضربن على الزهر وغيره
فسي حوانيت الخمارين»، وذكر طقّوش (٢٠٠٩) وجود ما يُعرف بـ
«صاحبات الرايات» في المجتمع الجاهلي، وهنّ بغايا يضعن على
أبوابهنّ أعلامًا، ولا يمنعن من يأتيهنّ، وأكّد النّعيمات والسويدات
(٢٠١٤) وجود «صاحبات الرايات» في الجاهلية كعلامة على مكان
يُمارس فيه البغاء، الذي انتشر كثيرًا لعدّة أسباب منها الانتفاع
المادي لأصحاب الإماء، وكذلك وُجد الزنا السري بكثرة، وهو اتّخاذ
الخدن، وليس العرض لأي رجل مثل «صاحبات الرايات».

المراجع

المراجع العربية:

- ابن خَلَّكان، شمس الدين بن أحمد. (١٩٩٤). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق احسان عباس). بيروت: دار صادر.
- أبو الرِّبِّ، ابتسام نايف صالح. (٢٠٠٦). صور الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي. أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- الأسدي، عبيد بن الأبرص. (١٩٩٤). ديوان عبيد بن الأبرص. (تحقيق أشرف أحمد عدرة). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الأصفهاني، أبو الفرج، (٢٠١٠). الأغاني (إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب. (١٩٦٣). الأصمعيّات، الطبعة الثالثة (تحقيق أحمد محمد شاكر أبو الأشبال وعبد السلام محمد هارون). القاهرة: دار المعارف.
- الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم. (١٩٦٢). جمهرة أنساب العرب، الطبعة الخامسة (تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون). القاهرة: دار المعارف.
- برؤونة، محمد. (٢٠٠٩). شعر الضعاليك: قراءة في

المتن. Insaniyat/إنسانيات. Revue algérienne
d'anthropologie et de sciences sociales (٤٦)،
ص. ٦٥-٨٢.

البغدادي، ابن ميمون محمد بن المبارك. (١٩٩٩). منتهى
الطلب من أشعار العرب (تحقيق وشرح د. محمد نبيل طريفى).
بيروت: دار صادر.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. (١٩٧١). قُصَلُ المقال
في شرح كتاب الأمثال (تحقيق د. إحسان عباس). بيروت: مؤسسة
الرسالة.

التبريزي، يحيى بن علي. (١٩٨٠). شرح المعلقات العشر
(تحقيق سمير شمس) بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الجزري، ابن الأثير. (٢٠١٠). الكامل في التاريخ (علّق عليه
سيد البغاري). القاهرة: دار الحديث.

حامد، أبوهدايا ضوالبيت. (٢٠١١). الذات الضائعة في القصيدة
الجاهلية: دراسة في المقدمة الطللية وصورة الحيوان. مجلة كلية
الآداب - جامعة بنها. ص. ٢١٩-٢٥٤.

الحوفي، أحمد محمد. (١٩٦٣). المرأة في الشعر الجاهلي،
الطبعة الثانية. القاهرة: دار الفكر العربي.

خضر، فتحى. (٢٠٠٥). وصايا الآباء في الشعر الجاهلي
والإسلامي. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)،

١٩ (٤)، ص. ١١٦٩-١١٩٦.

الدينوري، ابن قتيبة. (١٩٥٨). الشعر والشعراء (تحقيق أحمد محمد شاكر). القاهرة: دار المعارف.

الذبياني، النابغة. (١٩٩٦). ديوان النابغة الذبياني، الطبعة الثالثة (تحقيق عباس عبد الساتر). بيروت: دار الكتب العلمية. الزبيدي، عمرو بن معدى كرب. (١٩٨٥). شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي، الطبعة الثانية (جمع وتنسيق مطاع الطراييشي). دمشق: مجمع اللغة العربية.

الزوزني، حسين بن أحمد. (١٩٩٣). شرح المعلقات السبع (تحقيق لجنة التحقيق في الدار العالمية). بيروت: الدار العالمية. السعيد، عبد الكريم حضير، وخواوي، سهام رشيد. (٢٠١٧). التهديد والوعيد في الشعر الجاهلي. مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ٣١. ص. ١-١٣.

سليمان، ختام. (٢٠١٥). شعر الحكمة بين الجاهلية والإسلام: شعر الطائف أنموذجاً. مجلة الأستاذ. ٢١٤ (١).

شيخو، لويس. (١٩٩١). شعراء النصرانية قبل الإسلام، الطبعة الرابعة. بيروت: دار المشرق.

الضبي، الفضل بن محمد. (١٩٢٠). المفضليات (شرح القاسم الأنباري). بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.

ضيف، شوقي (٢٠٠٨). تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي.

- القاهرة: دار المعارف.
- الطائي، أبو تمام حبيب. (١٩٩٨). ديوان الحماسة (تحقيق أحمد حسن بسج). بيروت: دار الكتب العلمية.
- طقوش، محمد سهيل. (٢٠٠٩). تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار النفائس.
- العامري، لبيد بن ربيعة. (٢٠٠٤). ديوان لبيد بن ربيعة (عناية حمدو طماس). بيروت: دار المعرفة.
- العبادي، عدى بن زيد. (١٩٦٥). ديوان عدى بن زيد العبّادي (تحقيق وجمع محمد جبار المعبد). بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع.
- عبدالرحيم، عبد الرحيم عصام أحمد، وأحمد، بشير محمد بشير (٢٠١٧). الأبعاد الاجتماعية والنفسية في شعر الصّعاليك. مجلة العلوم التربوية – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
- العيسى، عروة بن الورد. (١٩٩٨). ديوان عروة بن الورد أمير الصّعاليك (دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد). بيروت: دار الكتب العلمية.
- العيسى، عنتر بن شدّاد. (٢٠٠٤). ديوان عنتر بن شدّاد، الطبعة الثانية (عناية وشرح حمدو طماس). بيروت: دار المعرفة.
- علي، جواد. (١٩٩٣). الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية. بغداد: جامعة بغداد.

على، رباح. (٢٠١٣). البحث عن الذات في الشعر الجاهلي.
رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

الفجّاوي، عمر عبد الله، والعمري، ليلى توفيق، وقورشة،
أمجد محمّد. (٢٠١٤). آراء الإمام الشّافعي المتعلّقة ببعض
العادات الجاهلية: عرض ودراسة Al-Imam Al Shafi's

Views about Some Pre-Islamic Traditions:
A Presentation and an Analysis. Dirasat:
Human and Social Sciences ٤٨ (٣٣٧٥)، ١٧-١.pp.

القالى، اسماعيل بن القاسم. (١٩٧٦). ذيل الأمالي والنّوادر
(تقديم محمّد عبد الجواد الأصمعي). القاهرة: الهيئة المصريّة
العامة للكتاب.

القرشي، أبو زيد. (١٩٨١). جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة
والإسلام (تحقيق على محمد البجاوي). القاهرة: دار نهضة مصر.
القيسي، الأعشى ميمون. (١٩٥٠). ديوان الأعشى الكبير:
ميمون بن قيس (شرح وتعليق د. محمّد حسين). القاهرة: مكتبة
الآداب.

القيسي، طرفة بن العبد. (٢٠٠٢). ديوان طرفة بن العبد
(تحقيق مهدي محمد ناصر الدين). بيروت: دار الكتب العلميّة.
الكندي، امرؤ القيس. (٢٠٠٤). ديوان امرؤ القيس، الطّبعة
الخامسة (ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشّافي). بيروت: دار

الكتب العلميّة.

الزّنى، زهير بن أبى سلمى. (١٩٨٨). ديوان زهير بن أبى سلمى. (شرح وتقديم على حسن فاعور). بيروت: دار الكتب العلميّة.

المعافى، عبد الملك بن هشام. (١٩٩٠). السيرة النبويّة (سيرة ابن هشام)، الطّبعة الثالثة، (تحقيق عمر عبد السلام تدمرى). دمشق: دار الكتاب العربى.

معمرى، فواز. (٢٠١٨). جماليّات المكان فى الشّعر الجاهلى. أطروحة دكتوراه. جامعة محمّد بوضياف، المسيلة، الجزائر. النّعيمات، سلامة صالح، والسّويدات، عائشة سليمان. (٢٠١٤). البغاء عند العرب قبل الإسلام. المجلة الأردنيّة للعلوم الاجتماعيّة. (١)٧. ص. ٩-١.

الهاشمى، أحمد بن ابراهيم. (١٩٦٩). جواهر الأدب فى أدبيّات وإنشاء لغة العرب. القاهرة: المكتبة التّجاريّة الكبرى.

English References

Dimensionalizing Hofstede, G. (٢٠١١). cultures: The Hofstede model in context. Online readings in psychology and culture, (١)٢, ٢٦-٨.pp

.Hofstede, G., Hofstede, G. and Minkov, M
 Cultures and organizations: Software (٢٠١٠)
 of the mind, intercultural cooperation and its
 ٣rd edition, New York, .importance for survival
 .NY: McGraw-Hill
 Human Ignorance .(٢٠١٣) .Khan, A
 (Jahiliyyah): Past & Present. Dialogue
 .(٤)٨ ,(Pakistan
 Out of Jahiliyya. .(٢٠٠٤) ,.Rodgers-Miller, B.D
 Historic and Modern Incarnations of Polygamy
 in the Islamic World. William & Mary Journal
 .٥٦٢-٥٦٦.pp ,(٣)١١ ,of Women & the Law
 Culturally Speaking .(٢٠٠٨) Spencer-Oatey, H
 Culture, Communication and Politeness
 .2nd edition. London: Continuum .Theory
 Pew Research Center's Religion & Public Life
 The Global Religious Landscape. .(٢٠١٢) .Project
 Available at: [http://www.pewforum.
 global-religious-landscape-exec//١٨/١٢/٢٠١٢/org](http://www.pewforum.global-religious-landscape-exec//١٨/١٢/٢٠١٢/org)
 .[٢٠١٨ .Jun ٨ [Accessed

٥	مقدمة
١١	بعد المسافة
١١	تعريف ببعد بعد المسافة
١٢	تأثير بعد المسافة فى الأسرة
١٤	الأسرة العربية الجاهلية على مقياس بعد المسافة
١٤	عناية الأبناء بأبائهم عند كبر سنهم
١٥	احترام الأبناء لوصايا الآباء
١٥	دراسات سابقة عن احترام الأبناء لوصايا الآباء
١٦	احترام الأبناء لوصايا كبار الن
١٦	تأثير بعد المسافة فى المجتمع
١٨	المجتمع العربى الجاهلى على مقياس بعد المسافة
١٨	الطبقة
١٩	دراسات سابقة عن الطبقة
١٩	أهمية النسب القبلى
٢١	احترام الأعلى شأما
٢٣	تكافؤ المستهدف بالتأر مع القليل
٢٣	دراسات سابقة عن تكافؤ المستهدف بالتأر مع القليل

٢٣.....	طاعة الأفراد للسادة والملوك
٢٥.....	مدح الملوك والسادة
٣٧.....	رد الملوك على الهجاء
٣٧.....	دراسات سابقة عن علاقة الأفراد بالملوك والسادة
٤٠.....	الذكورة
٤٠.....	تعريف ببعد الذكورة
٤١.....	تأثير الذكورة في الأسرة
٤٢.....	الأسرة العربية الجاهلية على مقياس الذكورة
٤٢.....	القرارات الأسرية شأن الرجال
٤٣.....	دراسات سابقة عن كون القرارات الأسرية شأن الرجال
٤٣.....	الأعمال المنزلية والتربية والتطبيب شأن النساء
٤٥.....	دراسات سابقة عن الأدوار الأسرية للمرأة
٤٦.....	وأد البنات
٤٦.....	حماية نساء الأسرة
٤٨.....	وصايا الآباء للأبناء بالحرب
٤٩.....	تأثير الذكورة في المجتمع
٥٠.....	المجتمع العربي الجاهلي على مقياس الذكورة
٥٠.....	التحدى
٥٣.....	التهديد والوعيد
٦٢.....	دراسات سابقة عن التهديد والوعيد

التنافس والغيرة.....	٦٣
دراسات سابقة عن التحدى والتنافس والغيرة.....	٦٨
ذكر الإنجازات والفخر بها.....	٦٩
تأثير الذكورة فى علاقة الأفراد بالملوك والسادة.....	٨٥
قتل كليب التغلبى للبيدين عنبسة الغساني.....	٨٦
قتل عمرو بن كلثوم التغلبى لعمرو بن هند اللخمى.....	٨٩
تهديد وهجاء عمرو بن كلثوم التغلبى للنعمان بن المنذر اللخمى.....	٩٠
إساءة الحارث بن ظالم المرى لجوار الأسود بن المنذر اللخمى.....	٩١
قتل الحارث بن ظالم المرى لشرحبيل ابن الأسود بن المنذر اللخمى.....	٩٣
عراك الحارث بن ظالم المرى مع عمرو بن الإطنابة الخزرجى.....	٩٤
قتل الأسود بن عباد الجديسى لعمليق الطسمى.....	٩٦
الفخر بالنفس ووصفها.....	٩٩
المبالغة فى وصف النفس.....	١٠٢
دراسات سابقة عن الحماسة.....	١٠٤
وصف الأدوات الحربية.....	١٠٥
دراسات سابقة عن وصف الأدوات الحربية.....	١١٢
أدوار النساء فى الحروب.....	١١٣
دراسات سابقة عن أدوار النساء فى الحروب.....	١١٩
الفردية.....	١٢١
تعريف ببعد الفردية.....	١٢١

١٢٢.....	تأثير الفردية في الأسرة.
١٢٦.....	الأسرة العربية الجاهلية على مقياس الفردية.
١٢٦.....	العيش في مناطق جغرافية متقاربة.
١٢٧.....	دراسات سابقة عن العيش في مناطق جغرافية متقاربة.
١٢٧.....	نصرة الأقارب لبعضهم
١٣١.....	الثأر شأن أسري.
١٣٥.....	دراسات سابقة عن كون الثأر شأن أسري.
١٣٥.....	الفخر بالأسرة وإنجازاتها.
١٣٩.....	دراسات سابقة عن الفخر بالأسرة وإنجازاتها.
١٣٩.....	وراثـة الإنجازات الأسرية.
١٤٠.....	أهمية النسب الأسري.
١٤١.....	دراسات سابقة عن أهمية النسب الأسري.
١٤٢.....	انعدام الخصوصية الأسرية.
١٤٢.....	أثر الشائعة في الأسرة والتعامل معها.
١٤٤.....	تأثير الفردية في المجتمع.
١٤٧.....	المجتمع العربي الجاهلي على مقياس الفردية.
١٤٧.....	العصبية القبلية.
١٥٤.....	دراسات سابقة عن العصبية القبلية.
١٥٤.....	نصرة القبيلة لأفرادها.
١٥٧.....	دراسات سابقة عن نصرـة القبيلة لأفرادها.

١٥٧.....	النَّارُ شَانُ قَبْلَى.....
١٥٩.....	دراسات سابقة عن كون النَّارِ شَانُ قَبْلَى.....
١٥٩.....	الولاء المطلق للقبيلة.....
١٦٠.....	حروب القبيلة الواحدة.....
١٦٠.....	داحس والغبراء.....
١٦٣.....	البسوس.....
١٦٨.....	أيام بين الأوس والخزرج.....
١٧٢.....	تأثير الفردية في علاقة الأفراد بالملوك والسادة.....
١٧٢.....	قتل عمرو بن كلثوم التغلبي لعمرو بن هند اللخمي.....
١٧٤.....	هزيمة الحارث بن أبي شمر الغساني في تغلب ومقتل أخيه.....
١٧٥.....	قتل أبو حنّش التغلبي لشرحبيل بن الحارث الكندي.....
١٧٥.....	تهديد عامر بن جوين الطائي للمنذر بن النعمان اللخمي.....
١٧٧.....	تهديد عارق الطائي لعمرو بن هند اللخمي.....
١٧٩.....	عمرو بن هند اللخمي والعبديون.....
١٨١.....	قتل علياء بن الحارث الأسدي لحجر بن الحارث الكندي.....
١٨٣.....	مظاهر ارتفاع درجة الجماعية والذكورة في المجتمع العربي الجاهلي.....
١٨٤.....	التَّحْدَى بصيغة الجماعة.....
١٨٦.....	التَّهْدِيدُ والوعيد بصيغة الجماعة.....
١٩٢.....	التَّنَافُسُ والغيرة بصيغة الجماعة.....
١٩٤.....	دراسات سابقة عن التَّنَافُسِ والغيرة بصيغة الجماعة.....

١٩٥.....	ذكر إنجازات القبيلة والفخر بها.
٢٠٥.....	المبالغة في وصف القبيلة.
٢١١.....	وصف الأدوات الحربية الخاصة بالقبيلة.
٢١٣.....	دراسات سابقة عن وصف الأدوات الحربية الخاصة بالقبيلة.
٢١٣.....	أهمية النسب ووراثة الأمجاد القبلية.
٢١٥.....	دراسات سابقة عن أهمية النسب ووراثة الأمجاد القبلية.
٢١٥.....	انعدام الخصوصية في القبيلة.
٢١٨.....	أثر الشائعة في القبيلة والتعامل معها.
٢٢٠.....	الفكر الواحد والنظرة إلى أصحاب الأفكار الجديدة.
٢٢١.....	الصعاليك.
٢٢٧.....	دراسات عن الفكر الواحد والنظرة إلى أصحاب الأفكار الجديدة.
٢٢٨.....	عدم التيقن.
٢٢٨.....	تعريف ببعد عدم التيقن.
٢٢٩.....	تأثير عدم التيقن في الأسرة.
٢٣٠.....	الأسرة العربية الجاهلية على مقياس عدم التيقن.
٢٣٠.....	وضوح وصرامة وصايا الآباء للأبناء.
٢٣٩.....	دراسات سابقة عن وصايا الآباء للأبناء.
٢٤٠.....	تأثير عدم التيقن في المجتمع.
٢٤١.....	المجتمع العربي الجاهلي على مقياس عدم التيقن.
٢٤١.....	القلق من الدهر وتقلب أحواله.

انتشار الخمر.....	٢٥١
دراسات سابقة عن انتشار الخمر.....	٢٦٢
الأحلاف والحاجة إلى القوانين.....	٢٦٢
دراسات سابقة عن الأحلاف والحاجة إلى القوانين.....	٢٦٤
الحكمة والنصيحة.....	٢٦٤
دراسات سابقة عن الحكمة والنصيحة.....	٢٧٠
التَّوَجُّه طویل المدى.....	٢٧٢
تعريف ببعد التَّوَجُّه طویل المدى.....	٢٧٢
تأثير التَّوَجُّه طویل المدى في الأسرة.....	٢٧٢
الأسرة العربيَّة الجاهليَّة على مقياس التَّوَجُّه طویل المدى.....	٢٧٥
تقديس الماضي المتمثل بالتقاليد ووصايا الآباء، والفخر به.....	٢٧٥
دراسات سابقة عن تقديس الماضي المتمثل بالتقاليد ووصايا الآباء، والفخر به.....	٢٧٧
الكرم في الأسرة.....	٢٧٧
الضَّغط الأسريَّ على ذوی الكرم الزَّائد.....	٢٨٢
دراسات سابقة عن الضَّغط الأسريَّ على ذوی الكرم الزَّائد.....	٢٨٩
وصايا الأهل بمساعدة النَّاس.....	٢٩٠
تأثير التَّوَجُّه طویل المدى على المجتمع.....	٢٩٢
المجتمع العربيَّ الجاهليَّ على مقياس التَّوَجُّه طویل المدى.....	٢٩٣
اتباع العادات والتقاليد القبليَّة.....	٢٩٣
الكرم في القبيلة.....	٢٩٦

دراسات سابقة عن الكرم في القبيلة.....	٣٠٠
المروءة.....	٣٠١
دراسات سابقة عن المروءة.....	٣٠٤
المثابرة والصبر.....	٣٠٤
دراسات سابقة عن المثابرة والصبر.....	٣٠٩
التساهل.....	٣١١
تعريف ببُعد التساهل.....	٣١١
تأثير التساهل في الأسرة والمجتمع.....	٣١٢
المجتمع العربي الجاهلي على مقياس التساهل.....	٣١٣
الجدية وعدم المزاح.....	٣١٣
دراسات سابقة عن الجدية وعدم المزاح.....	٣١٤
الحزن.....	٣١٤
المقدمة الطللية.....	٣١٧
دراسات سابقة عن المقدمة الطللية.....	٣٣٠
التعفف عن الحاجات الأساسية كالنوم والأكل.....	٣٣١
اللهو والمرح.....	٣٣٤
دراسات سابقة عن اللهو والمرح.....	٣٣٤
شرب الخمر.....	٣٣٤
دراسات سابقة عن شرب الخمر.....	٣٣٦
استباحة النساء.....	٣٣٦

- دراسات سابقة عن استباحة النساء..... ٣٤٨
- المراجع..... ٣٥١
- المراجع العربيّة:..... ٣٥١
- English References..... ٣٥٦



ثقافة العرب في الجاهلية

هذا الكتاب دراسة موضوعية لثقافة العرب في فترة ما قبل الإسلام، والمعروفة في الأدب بالجاهلية، إذ إن دراسة هذه الفترة لها أهميتها التاريخية، حيث تمثل البيئة التي ظهر فيها الدين الإسلامي، الذي يعد من أكثر الديانات اتباعاً. وقد تم التعامل مع شعراء هذه الفترة من خلال البحث عن شعرهم في مراجع الأدب العربي وتحليله بناء على نظرية حديثة في الثقافة لم يسبق عرضها في أي كتاب من قبل، إذ يتعرض لأحداث مهمة في هذه الفترة مثل: حرب البسوس، داحس، الفراء، قتل عمرو بن هند، وظهور الصعاليك، مبيناً الأسباب التي أدت إلى هذه الحروب.

١٠/١٧٥٧٣



6 222018 403893

